سلسلة شروحات الشيخ

١٠

شرح تفسير أسماء الله الحسنى

تأليف الإمام

عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي

المتوفى سنة (١٣٧٦) رحمه الله تعالى

شرح فضيلة الشيخ

أ.د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي

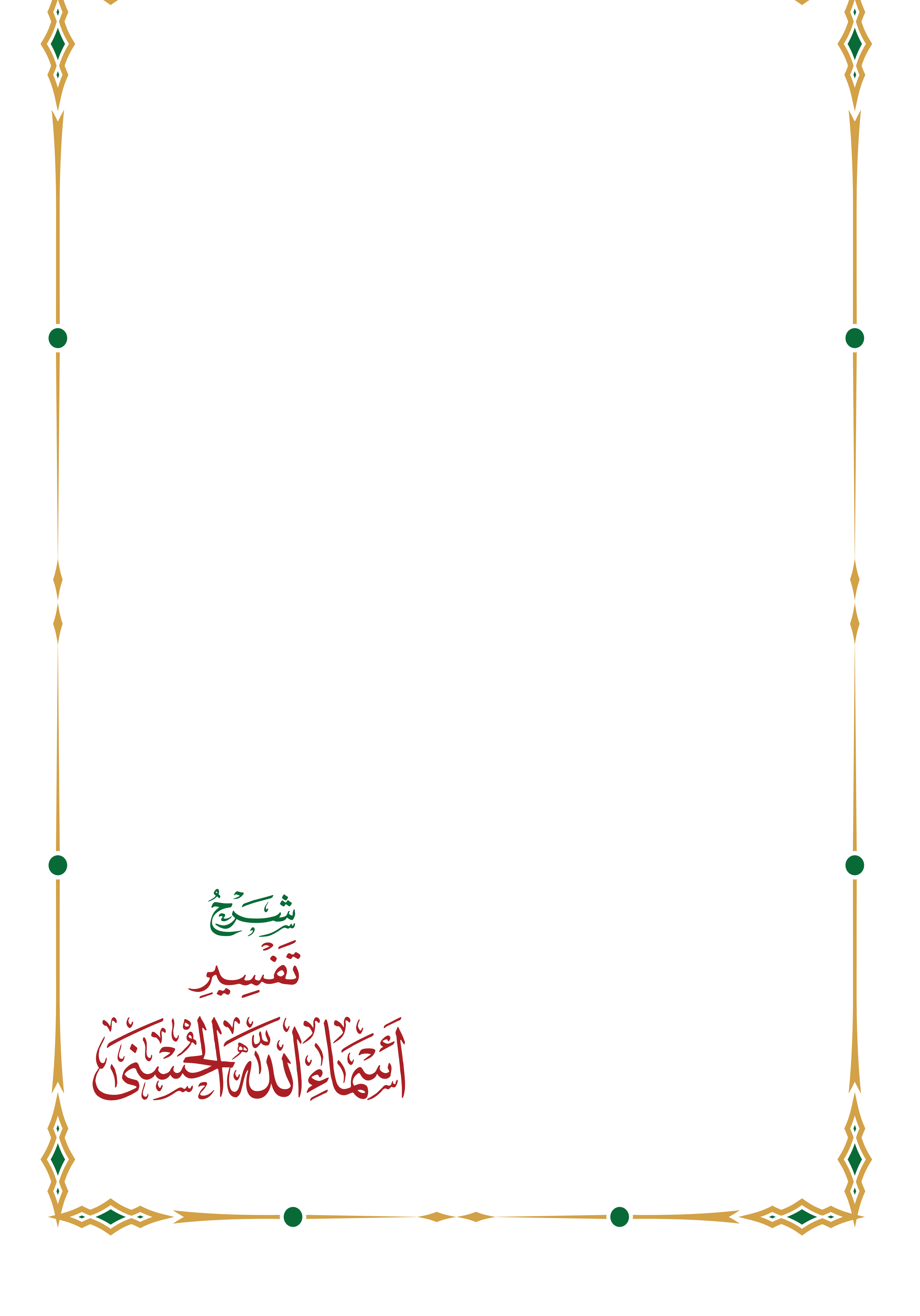
أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية

والمدرس بالمسجد النبوي

الشيخ لم يراجع التفريغ

النسخة الأولى




شرح
تفسير
أسماء الله الحسنى



١٠

شرح تفسير أسماء الله الحسنى

تأليف الإمام

عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي

المتوفى سنة (١٣٧٦) رحمه الله تعالى

شرح فضيلة الشيخ

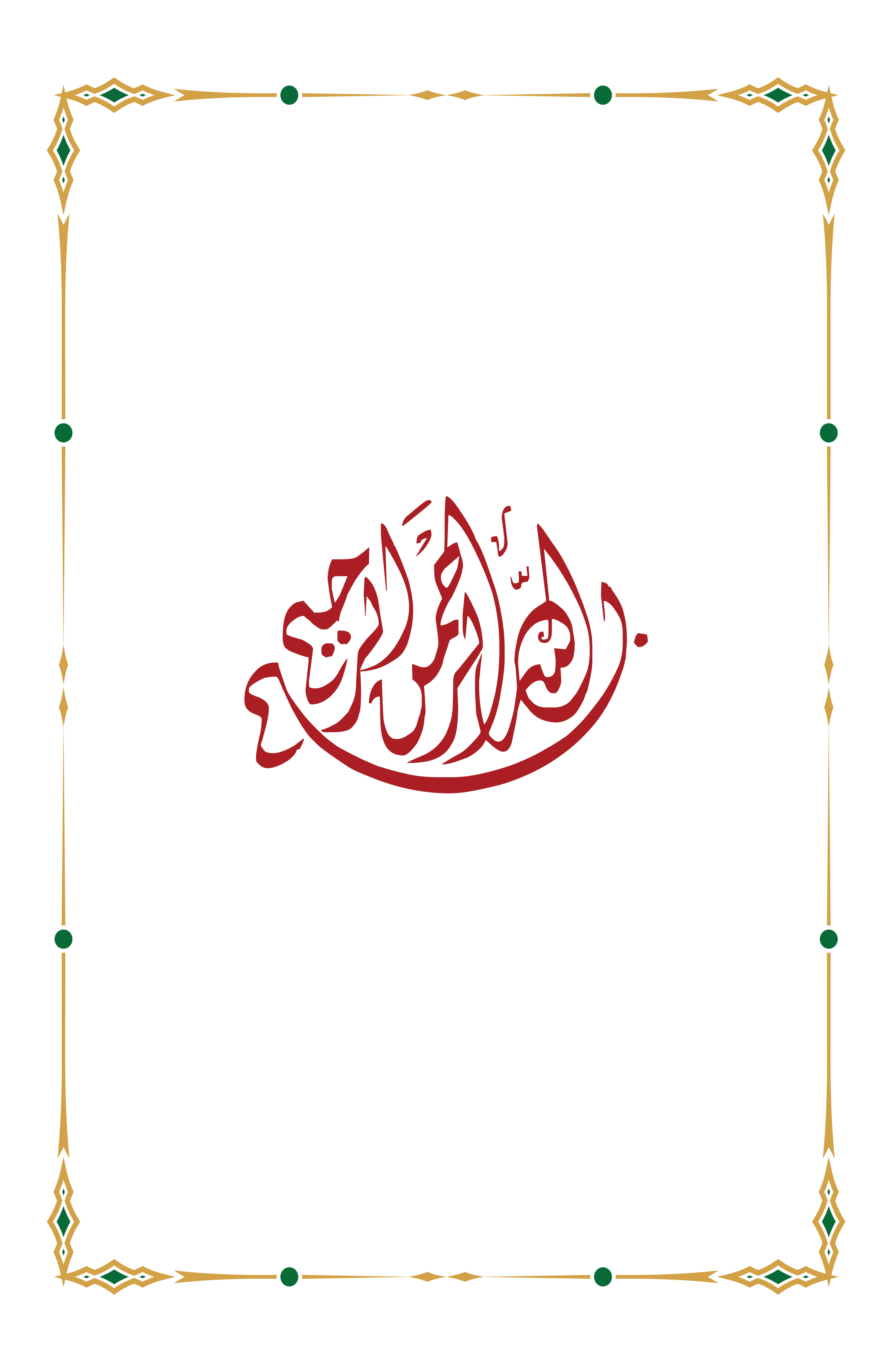
أ.د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي

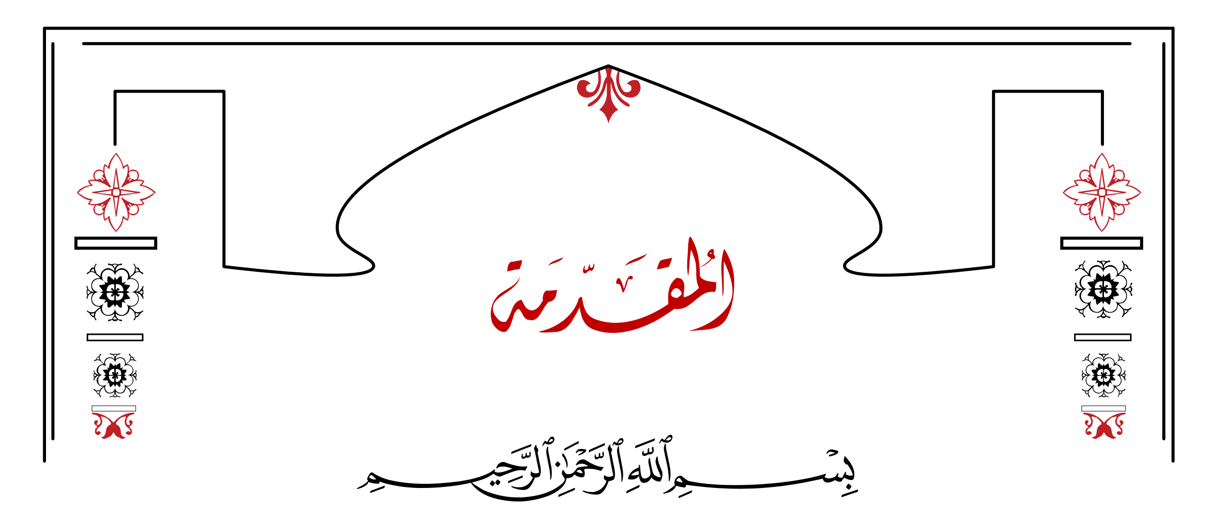
أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية

والمدرس بالمسجد النبوي

الشيخ لم يراجع التفريغ

النسخة الأولى


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا: أما بعد:

هذا مجلسٌ من مجالس الخير والعلم نتدارس فيه شرحَ معاني أسماءِ الله ﷻ، ولا شك أنَّ هذا من أعظم العلم، ومن خير ما يَصْرِفُ الإنسانُ وَقْتَهُ فيه، فإنَّ معرفةَ الله ﷻ بأسمائه وصفاته هو خيرُ ما حَصَّلَتْهُ النفوس واكْتَسَبَتْهُ القلوب وأدركته العقول، بل إنَّ هذا أعظمُ الغايات وأَوْلىٰ الأولويات و أوجب الواجبات، هذا المجلسُ سوف نتدارس فيه بعون الله ﷻ ما أورده الشيخُ العلّامةُ عبدُ الرحمن بنُ سِعْدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره من ذِكْرِ أسماء الله ﷻ وصفاته التي تَضَمَّنَتْها هذه الأسماء مَعَ شَرْحِها شَرْحًا موجَزًا.

وقبل أن نبدأ في شرح ما أورد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقدم بمقدمات ثلاث:

أولًا: هذا المتن الذي ندرسه بإذن الله في هذه المجالس هو شرح الأسماء الحسنىٰ التي أوردها الشيخ ابن سِعْدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره، وكان قد أورد في آخر سورة النحل من تفسيره في آخر الجزء الخامس من الطبعة القديمة جمعًا من الأسماء مَعَ شَرْحِها، وذَكَرَ أنها كثيرةُ الورود في كتاب الله سبحانه، وأُفْرِدَتْ بعدَ ذلك بالطَّبْعِ كما أنها في الطبَعات الأخيرة جُعِلَتْ في خاتمة الكتاب.

والمؤلف عَلَمٌ معروفٌ من كبار العلماء المسلمين في القرن الرابع عشر وهو الشيخُ عبد الرحمن بنُ ناصر السعدي المولود سنة ١٣٠٧ والمتوفىٰ سنة ١٣٧٦، كان عالمـًا مُبَرِّزاً في شتىٰ العلوم، في العقيدة والتفسير والفقه و الأصول وفي غيرها من العلوم.

أما المقدمة الثانية: فإنها تتعلق بأهمية العلم بأسماء الله وصفاته، ولاشك أنّ هذا كما أَسْلَفْتُ من أحسن و أعظم ما يكون من العلم، بل كُلُّ العلوم تتضاءَلَ أمام هذا العلم، بل إنّ كل العلوم إنما هي مرادةٌ للوصول إلىٰ هذا العلم، هذا عِلْمٌ مقصودٌ لذاته، وكل العلوم مقصودةٌ لغيرها، أعني مقصودةٌ للوصول إلىٰ هذا العلم.

وتظهر أهميةُ العلم بأسماء الله وصفاته من خلال ما يأتي:

أولًا: أن الله ﷻ أَمَرَ بالعلم بأسمائه وصفاته في آيات شتّىٰ، فكَمْ في كتاب الله «**واعلموا**» ويكونُ الأمر بالعلم بأسمائه وصفاته ﷻ، ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ إلىٰ غير ذلك من هذه الآيات التي فيها الأمرُ بالعلم بأسماء الله ﷻ وصفاته ولا شك أننا **نستفيد من هذه النصوص فائدَتَيْن:**

الفائدة الأولىٰ: أن هذا العلم واجبٌ ؛ لأن الأمرَ إذا جاء في النصوص في الكتاب والسنة ولم يوجَدْ له صارفٌ فإنه يدل علىٰ الوجوب، كما بيّن هذا علماء الأصول.

ونستفيد فائدةً ثانية: وهي أن الله ﷻ يُحِبُّ مِنّا أَنْ نَعْلَمَ أسماءَهُ وصفاتِهِ، وهذه قاعدة « **كُلُّ ما أَمَرَ اللهُ به أمراً شرعيًا فإنه يُحِبُّهُ** »، إذن ربك ﷻ يحب أن تَعْلَمَ أسماءَه وصفاته، إذن عليك أن تَجِدَّ وتجتهدَ في الوصول إلىٰ ما يحب ﷻ.

ثانيًا: العلم بأسماء الله وصفاته هو الغاية من خَلْقِ الخَلْقِ، يقول سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ تأمَّلْ يا رعاك الله ، اللهُ سبحانه خَلَقَ هذا الخَلْقَ «**السمواتِ والأرضَ وما بينهما**» لأجل أن يَعْلَمَ العباد أسماءَه وصفاتِهِ، لكي يعلموا أنَّ لَهُ العلم، وأن له القدرة، إلىٰ غير ذلك مما ثَبَتَ له ﷻ مِنْ نعوت الجلال والجمال والحَمْدِ والإحسان.

أمرٌ ثالث يَحُثُّنا على الجِدِّ في معرفه أسماء الله وصفاته: أنَّ العلم بأسماء الله وصفاته يَفْتَحُ البابَ أمامَ عبوديّاتٍ عظيمةٍ للقلب والجوارح، بل إن العلم بأسماء الله وصفاته هو السبيل لعبادة الله سبحانه، أرأيت لو أنه قد قيل لنا: اعبدوا ربًا لا تعرفوا عنه شيئًا أكان هذا

ممكنًا ؟ واللهِ إنّ هذا لَمِنْ تكليفِ ما لا يُطاق، لكنْ من رَحِمَهُ اللَّهُ سبحانه أنْ عرَّفَنا شيئًا من أسمائه وصفاته حتىٰ تتوجّه له القلوب والجوارح بالعبادة، فإذا عَلِمَ العبد أن الله رحمن رحيم وأنه غفور ودود اكتسب عبوديةَ المحبة وعبوديةَ الرجاء، وإذا عَلِمَ أنه عزيز قوي شديد العقاب أورثه هذا الخوف والوَجَلَ من الله عَزَّ وَجَلَّ، وهكذا في بقيه أسماء الله وصفاته.

وما أحسنَ ما قال أبو القاسم التَّيْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الحجة: إنه لو أراد رجلٌ أن يَخْطِبَ مَوْلِيَّةَ رَجُلٍ أو يزوِّجَهُ سأل عن كل صغير وكبير، سأل عن اسمه وكنيته واسم أبيه وجده وكلِّ شيء عنه، فكيفَ بالله العظيم الذي نحبه ونرجوه ونخافه ونعبده، أليس أَوْلىٰ أن نعلم أسماءه وصفاته ونعلمَ تفسيرَها، وصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ، فهذا أولىٰ ما ينبغي علىٰ الإنسان أَنْ يَسْعىٰ في معرفَتِهِ.

فائدةٌ رابعةٌ تحثُّنا علىٰ معرفه أسماء الله وصفاته: أن هذه المعرفة هي التوحيد العِلْمي الذي يقود إلىٰ التوحيد العملي.

فإن التوحيد نوعان: توحيد علمي، وتوحيد عملي، وأولُ ما يستقر في القلب التوحيد العلمي ثم يترقّىٰ منه إلىٰ التوحيد العملي، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هذا هو التوحيد العلمي ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ هذا هو التوحيد العملي ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، إذن ينبغي علىٰ الإنسان أن يحرص علىٰ تحقيق هذا التوحيد ثم يَرْقىٰ إلىٰ تحقيق ثَمَرَتِهِ وهو عبودية الله عَزَّ وَجَلَّ، توحيدُهُ بالعبادة ليحققَ بذلك التوحيدَ بنوعَيْه.

فائدةٌ خامسة: ألا وهي أن هذا العلم طريقٌ موصلةٌ إلىٰ رضىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ وجَنَّتِهِ، فإنْ كنت من طلاب الجنة فاحرص علىٰ هذا الباب العظيم من أبواب الخير، ألم تسمعْ إلىٰ قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثابتِ في الصحيح «**إن لله تسعةً وتسعينَ اسمًا، مائةً إلا واحداً، مَنْ أحصاها دَخَلَ الجنة**» إذا كنت حريصا علىٰ الجنة فدونك يا رعاك الله، وإحصاءُ أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ يتضمّن الآتي: يتضمن معرفةَ هذه الأسماء وحفظَها والعلمَ بمعناها ودعاءَ الله عَزَّ وَجَلَّ بها دعاءَ العبادة ودعاءَ المسالة، إذا قمت بهذا فإنك تكون ممن وفقه الله عَزَّ وَجَلَّ لإحصاء أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أما المقدمة الثالثة: فإنها في شيءٍ يسيرٍ من ضوابطِ باب الأسماء الحسنىٰ عند أهل السنة والجماعة:

أولًا: يجب أَنْ نَعْلَمَ أن أسماء الله تعالىٰ حُسْنىٰ، وقد بيّنَ هذا ربنا في كتابه في أربعة مواضع، بين أن أسماءه «حسنىٰ»، في سورة الأعراف ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ وفي سورة الإسراء ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وفي سورة طه ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وفي سوره الحشر ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ و «حسنىٰ» مؤنث «أحسن»، تقول: حَسَنٌ وحَسَنَةٌ وأَحْسَنُ وحُسْنىٰ، ومعنىٰ كونها حسنىٰ: أي أنها بالغةٌ الغايةَ في الحُسْن، فلا حُسْنَ فوق حُسْنِها.

ومَنْ تأمّلَ في أسماء الله ﷻ أدرك حقاً ويقينًا أنها أسماءٌ حسنى، وذلك يظهر من عدة وجوه:

أولًا: كُلُّ اسمٍ من أسماء الله ﷻ لو تأمَّلْتَهُ يا رعاك الله وجدته قد بلغ الغاية في الحُسن ؛ فإن جميع أسماء الله تبارك وتعالى دالةٌ علىٰ معانٍ هي أحسنُ ما يكون، وهي أعظمُ ما يكون، وهي أفضلُ ما يكون.

الأمر الثاني: أن هذه الأسماء دالّةٌ علىٰ أعظم وأقدس مُسَمّىً، وهو الله تبارك وتعالى، فكيف لا تكون حسنىٰ بعد ذلك !

أما الأمر الثالث: فهو أنها مُنَزَّهَةٌ عن كل عَيْبٍ، وعن كل نقص، فاسْتَحَقَّتْ أَنْ تكون أسماءً حُسْنىٰ.

وأَوْجُهُ حُسْنِ أسماء الله ﷻ كثيرةٌ، وتظهرُ للمتأمِّلِ المتدبِّر، فكُلُّ اسمٍ من أسماء الله ﷻ إنْ نَظَرْتَ إلىٰ معناه وجدته قد بلغ في الحسنِ الغايةَ، ثم لو نَظَرْتَ في بعض الأسماء لوجدت أن الاسم الواحد قد دل علىٰ عدة معانٍ كلُّها حَقٌّ، وكلُّها أحسنُ ما يكون من المعاني، وهذا من عجائب أسماء الله الحسنىٰ، تأمَّلْ في اسم الله «العزيز»، تأمل في اسم الله «الحكيم»، تأمل في اسم الله «الودود»، تأمل في اسم الله «الجبار»، تأمل في غير ذلك من الأسماء، تجد أن الاسم الواحد دل علىٰ معنيَيْنِ أو علىٰ ثلاثة معانٍ، أو علىٰ أربعة معانٍ، وكلُّها أحسنُ ما يكون، وسَيَمُرُّ معنا هذا بإذن الله ﷻ في الدروس القادمة.

أيضًا: من حُسْنِ أسماء الله ﷻ أن تَنْظُرَ إلىٰ الحُسْنِ الذي يظهر من خلال اقترانِ الأسماء الحسنىٰ بعضِها ببعض، فكل اسمٍ مِنْ حيثُ هُوَ بالغٌ في الحُسْنِ غايَتَهُ، وإذا ضُمَّ إلىٰ غيره من الأسماء فإنه يكتسب حُسْنـًا فَوْقَ حُسْنٍ، تأمَّلْ إلىٰ اقتران اسم الله «العزيز» بـ«الحكيم»، كيف أن الله ﷻ له العزة ولكنْ لَمّا كان هذا الاسمُ مقترنًا بالحكيم في مواضعَ كثيرةٍ دَلَّ هذا أن عزةَ اللهِ ﷻ ليست عزةً فيها طَيْشٌ أو فيها عَبَثٌ، أو فيها ظُلْمٌ، بل إنها عِزّةٌ بحِكْمة، كما أن الله ﷻ هو الحكيم، لكنَّ حِكْمَتَهُ لا يُخالِطُها ولا يُقارِنُها ضَعْفٌ، وإنما هي حِكْمَةٌ من عزيزٍ ﷻ، وهكذا إذا تأمَّلْتَ في اقتران الغفور بالرحيم، واقترانِ الواحد بالقهار، إلىٰ غير ذلك من هذه الْمُقْتَرَنات، بل إن هذا الأمرَ يظهر جَلِيّـًا لو تأمّلْتَ في الأسماء الأربعة التي أخبر الله عز و جل بها، والتي تدل علىٰ الإحاطةِ الزمانيةِ و الإحاطةِ المكانيةِ لله ﷻ ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾، والكلامُ عن هذه الأسماء الأربعة وما دَلَّتْ عليه من حيثُ اقترانُ بعضِها ببعض يطول به المقام، وسيأتي إن شاء الله شيءٌ من ذلك في قادم الدروس.

أيضًا: لو تأمَّلْتَ في أسماء الله ﷻ لَظَهَرَ لَكَ أنـه لا يوجـد تـرادفٌ في أسـماء الله، لا تَجِدُ أنَّ اسمـًا يدل علىٰ المعنىٰ الـذي دل عليـه اسـمٌ آخـرُ بتمامِهِ، هـذا لا يوجـد، لكـنْ تَجِدُ أن بعضَ الأسماء أَخُصُّ من بعض، أو أن بعض الأسماء كالتفصيل لبعض.

تأمَّلْ مثلًا في اسـم الله «العلـيم» واسـمه «الخبيـر»، فـالعليم دالٌّ علىٰ اتِّصـافِ الله عـز و جل بصفة العلم، والخبيرُ دال علىٰ اتصـاف الله عـز وجـل بعلـم خـاص وهـو العلـم بخبايـا الأمور، تأمّلْ في اسم الله «الخالق» واسـم الله «البـارئ»، الخـالق دال علىٰ اتصـاف الله عـز و جل بصفه الخَلْق، والبارئ دال علىٰ اتصاف الله ﷻ بخَلْقِ مـا لـه روحٌ، إذن أسـماء الله ﷻ تجد أن بينها عمومـًا وخصوصـًا في المعـاني، وهـذا أيضـًا مـن حُسْـنِ أسـماء الله ﷻ، وهـذا البابُ بابٌ عظيمٌ، والمجـالُ فيـه رَحْـبٌ لِمَـنْ تَأَمَّلَهُ، وأوصيك يـا رعـاك الله، وأنـت في هـذا الشـهر الكـريم أَنْ تلاحـظ هـذا الاقـتران في كتـاب الله وأنـت تتلـوه، لا تمـرَّ علىٰ مثـل هـذه المواضـع -وما أكثرَها في كتاب الله- لا تمرَّ عليها مرورَ الكـرام، وإنمـا قِـفْ وتـدَبَّرْ وأَعْـطِ نفسَكَ حَظَّها مِنَ التأمُّلِ واكتسابِ هذا العلم العظيم المورِثِ للإيمان.

ومن ضوابط هذا الباب أيضًا عند أهل السنة والجماعة ثانية أن نَعْلَمَ أن أسماء الله ﷻ قد قَسَّمَها العلماءُ بعدة اعتبارات، ومن تلك التقسيمات أن أسماء الله ﷻ تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولًا: أسماء الجلال والجمال: كاسمه تعالىٰ «**الله**» وكاسمه تعالىٰ «**العظيم**» وكاسمه تعالىٰ «**السيد**».

ثانيًا: أسماء القُدْرَةِ والفِعْل: كاسمه تعالىٰ «**الرب**»، وكذلك ما دل عليه كثيرٌ من أسماء الله ﷻ كالخالق والرازق والرَّزاق وما إلىٰ ذلك.

النوع الثالث: أسماء الرحمة والإحسان: كاسمه تعالىٰ «**الرحمن**» وكاسمه تعالىٰ «**الرحيم**»، وكاسمه تعالىٰ «**الودود**»، وما إلىٰ ذلك، إذن هذه لو تأمَّلْتَها فإنها تُقَرِّبُ لَكَ فَهْمَ معاني أسماء الله الحسنىٰ.

أيضًا من الضوابط عند أهل السنة: أَنْ نَعْلَمَ كيف يكون إيمانُنا بأسماء الله سبحانه.

إيمانُنا بأسماء الله سبحانه يتضمّن الآتي:

أولًا: أَنْ نعتقدَ أن الله تعالىٰ هو الذي سمّىٰ نَفْسَهُ بهذه الأسماء، فليس العبادُ هُمُ الذين سَمَّوُا اللهَ تعالىٰ بأسمائه، وفي الحديث الذي خَرَّجَهُ أحمدُ وغيرُه قال ﷺ: «**أسالك بكُلِّ اسمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ**» إذن تسميةُ الله بأسمائه مِنْ قِبَلِهِ هُوَ، لا مِنْ قِبَلِ عبادِهِ، فنعتقد أن الله تعالىٰ من أسمائه كذا وكذا وكذا مما جاء في الكتاب والسنة.

الأمر الثاني: أَنْ نؤمن بما دَلَّ عليه الاسمُ من المعنىٰ، أسماء الله ﷻ كُلُّ اسمٍ منها دالٌّ علىٰ معنىً، ولا يمكن أن تكون أسماء الله ﷻ أسماءً جامدةً لا تدل علىٰ معنىً كما يقوله مَنْ يقوله من المخالفين للحق في هذا الباب، بل أسماء الله دالةٌ علىٰ معانٍ عظيمةٍ ونُعوتٍ شريفةٍ يجب أن تؤمن بما دَلَّتْ عليه.

الأمر الثالث: أن نؤمن بما يدل عليه الاسم من الأثر، فأسماء الله عز و جل منها ما له آثارٌ في الخَلْق، إذن لابد أن تعتقد بوجود هذه الآثار في الخَلْق، فاسم الله «**الغفور**» يدل علىٰ أنه متصف بالمغفرة وأنه يغفر لعباده إذا شاء ﷻ، وقِسْ علىٰ هذا.

الأمرُ الرابع: دعاءُ الله بأسمائه وصفاته لقوله سبحانه: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا**﴾ « **ادعوه بها** » قال أهل التفسير: «**ادعوه**» بمعنىٰ «**سمُّوه**»، وهذا صحيحٌ من جهة **اللغة**، دَعَوْتُكَ فلانـًا أو أُدْعوني بفلان أو سَمُّوني بذلك، فالله يسمىٰ بهذه الأسماء الواردة في الكتاب والسنة.

ثانيًا: ادعوه بها دعاءَ مسألةٍ، ادعوا اللهَ ﷻ بما جاء في الكتاب والسنة من أسمائه، ومن الأدب أن تراعيَ الاسمَ المناسبَ لمقتضىٰ الحال، تَنَبَّهْ إلىٰ هذا وأنت في شهر الدعاء، إذا أردت المغفرة فادعُ الله باسمه الغفور والغفار، وإذا أردت الرحمة فادْعُهُ باسمه الرحمن والرحيم، فهذا أحسنُ ما يكون من الوسيلة إليه تبارك وتعالى، وهكذا.

والأمر الثالث: ادعوه بها دعاءَ عبادة، وكُلُّ اسمٍ من أسماء الله ﷻ له عبوديةٌ تَخُصُّهُ لا يَشْرَكُهُ فيها غيرُه، فالعبودية باسم الله تعالىٰ «الغفور» ليست هي العبودية باسمه تعالىٰ «العزيز»، ليست هي العبودية باسمه تعالىٰ «الحكيم»، ليست هي العبودية باسمه تعالىٰ «الودود»، فلكلِّ اسمٍ عبوديةٌ تُناسِبُهُ وتليق به، وهذا بابٌ عظيمٌ يَعْرِفُهُ العُبّادُ العالِمون.

الضابط الرابع: ولعلي أَقِفُ في الضوابط عليه لضيق الوقت أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ الذي عَلِمْناهُ من أسماء الله تعالىٰ إنما هو بعضُها لا كلُّها، الله ﷻ أَعْلَمَ عبادَهُ ببعض أسمائه لا بجميعها، وثمةَ أسماءٌ اخْتَصَّ اللهُ ﷻ بعِلْمِها، يدل علىٰ هذا قوله ﷺ في الحديث سالف الذكر: **«أسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحداً من خَلْقك، أو استأثرت به في عِلْمِ الغَيْبِ عندك»**.

إذن دل هذا أن ما نعرفه من أسماء الله ﷻ هو بعضُ هذه الأسماء، وربما هو أقلُّها، وثمةَ أسماءٌ أخرىٰ تدل علىٰ نُعوتٍ ومحامدَ عظيمةٍ لا يَعْلَمُها العِباد، ويبيِّنُها تبارك وتعالى لعباده يومَ القيامة، بدليل ما ثَبَتَ في الصحيحين أن النبي ﷺ لَمّا يسجدُ تحتَ العرش لأجل الشفاعة قال ﷺ: " فيفتحُ عليَّ بمحامدَ لا أُحْسِنُها الآن "، واللهُ ﷻ إنما يُحْمَدُ بأسمائه وصفاته تبارك وتعالى.

هذه مقدماتٌ مُمَهِّداتٌ لفَهْمِ ودَرْكِ ما سيأتي في معرفة أسماء الله سبحانه وتعالى.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقد تكرَّرَ كثيرٌ من أسماء الله الحسنىٰ في القرآن بحَسَبِ المناسبات، والحاجةُ داعيةٌ إلىٰ التنبيه إلىٰ معانيها الجامعةِ، فنقول: قد تكرر اسمُ «الرَّبِّ» في آياتٍ كثيرة.



الشَّرح

تكرر كثيراً في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ ذِكْرُ أسمائه الجليلةِ العظيمةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وذلك لعظيم حاجةِ العباد إلىٰ ذلك، وأنت إذا تأمَّلْتَ قَلَّ أَنْ تَجِدَ آيةً لَمْ يُذْكَرْ في أثنائِها أو خاتِمَتِها اسمٌ من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ وربما أكثر، وهذا يدلُّكَ علىٰ أنّ الحاجةَ إلىٰ ذلك عظيمةٌ؛ فإن من سنة الله سبحانه أنه كلَّما اشتدَّتْ حاجةُ العباد إلىٰ الشيء فإن الله تعالىٰ يتفضّلُ بهذا الشيء أكثر، لَمّا كانت حاجةُ العباد إلىٰ الطعام والشراب عظيمةً فإن الله سبحانه أنعم بالطعام والشراب، ولما كانت حاجةُ العباد إلىٰ الماء أكثرَ أنعم الله بالماء أكثر، ولما كانت حاجةُ العباد إلىٰ الهواء أكثر وأكثر أنعم الله بالهواء أكثر وأكثر، ولا شك أن حاجةَ العباد إلىٰ معرفه أسمائه وصفاته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أعظمُ مِنْ ذلكَ كُلِّهِ، فإنَّ ما مضىٰ بِهِ حياةُ الأبدان، وأما معرفةُ أسماء الله وصفاته فَبِها حياةُ القلوب، إذن مِنْ نعمةِ الله عَزَّ وَجَلَّ علينا أنْ بيَّنَ لنا شيئًا من أسمائه وصفاته حتىٰ نُقْبِلَ عليه بالعبادة، عبادةِ القلب وعبادةِ الجوارح، ولذا كَثُرَ في الكتب الْمُنَزَّلَةِ وعلىٰ أَلْسِنَةِ الرسل عليهم الصلاة والسلام ذِكْرُ أسماء الله وصفاته، ولا شك أنَّ حَظَّ كتابِ الله الذي أنزله علىٰ نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك أعظمُ مما كان في الكتب السابقة كما بيّنَ هذا أهلُ العِلْمِ، ونحمدُ الله كثيراً علىٰ ذلك.



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

قد تكرر اسم الرب في آيات كثيرة، فالرب هو المُرَبّي جميعَ عبادِهِ بالتَّدْبير وأصنافِ النِّعَمِ، وأَخُصُّ مِنْ هذا تَرْبِيَتُهُ لأَصْفيائِهِ بإصْلاحِ قلوبِهِمْ وأَرْواحِهِمْ وأخلاقِهِمْ، ولهذا كَثُرَ دعاؤُهُمْ لَهُ بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة.

الشَّرح

هذا أوّلُ اسمٍ ذَكَرَهُ الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ، **اسم الله «الرب» و «الرب» جاء في النصوص على ثلاثة أَنْحاء:** جاء مضافًا، وجاء مُنكّرًا، وجاء محلًّا بأَلْ.

جاء مضافًا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾ ﴿رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، إلىٰ غيرِ ذلك.

وجاء مُنكّرًا: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ ﴿بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ﴾.

وجاء مُحلًّا بأل في السنة: كما في صحيح مسلم من قوله ﷺ **«أما الركوع فعظِّموا فيه الرب»**.

إذن علىٰ هذه الأنحاء الثلاثة جاء هذا الاسمُ الجليلُ في الكتاب والسنة.

«الرب» اختلف علماء اللغة: هل هو وصفٌ أو مصدر، منهم مَنْ قال: هو وَصْفٌ و وَزْنُهُ **«فَعَلٌ»**، **«ربٌ»** على وزن **«فَعَلٌ»**، ومنهم من قال: إنه علىٰ وزن **«فاعِلٌ»** **«رابٌّ»**، هذا هو أَصْلُهُ، ثم حُذِفَتِ الألفُ لكثرة استعمال هذا الاسم، وقالت طائفة من علماء اللغة: إنه مصدرٌ وليس وصفًا ، مصدرٌ من **«ربّاه يُربّيه ربًّا»**، و بالتالي فاسمه تعالىٰ **«الرب»** مصدر بمعنىٰ الفاعل، **وعلى كل حال، معاني الرب في اللغة أشهرُها ما يأتي:**

أولًا: أن الربَّ بمعنىٰ **«المالِك»**، مالكُ الشيء: ربُّهُ، يدل علىٰ ذلك ما ثبت في الصحيح من قوله ﷺ في ضالّة الإبل: حتىٰ يَلْقاها رَبُّها.

ثانيًا: أن الربَّ هو **«السيد»** كما في سورة يوسف قال ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني: عند سَيِّدِكَ.

المعنى الثالث: أنّ الربَّ هو الْمُرَبّي من التربية، والتربية هي بمعنىٰ التدبير والإصلاح والقيام علىٰ الشيء من حالٍ إلىٰ حالٍ حتىٰ يَبْلُغَ تمامَهَ، كما قال ﷻ ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ ربائبكم: يعني التي تُرَبّونَهُنَّ، فَهُنَّ رَبائِبُ لَكُمْ.

والمعنى الرابع: أنّ الرّبَّ هو المتصرِّفُ في الشيء، الذي يَسوسُهُ، ومِنْ هذا قولُ صفوانَ رضي الله عنه لأبي سفيانَ يومَ حُنَيْن: لَأَنْ يَرُبَّني رجلٌ من قريش أحبُّ إليّ مِنْ أَنْ يَرُبَّني رجلٌ مِنْ هوازن، يَرُبَّني: يعني يَسوسُني ويتصرّفُ في شَأْني.

وهذه المعاني كُلُّها حَقٌّ في حَقِّ اللهِ تبارك وتعالى: فالله تبارك وتعالى هو المالك ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ، فالله عز وجل هو المالك لكل شيء حتىٰ الْمُلوك وحتىٰ الْمَمالِكُ، فكل شيءٍ اللهُ تبارك وتعالى مالِكُهُ، وهو سبحانه السيدُ الذي بَلَغَ الغايَةَ في السُّؤْدُدِ، وبَلَغَ الغايةَ في العَظَمَةِ تبارك وتعالى، وثبت في الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**إنّ اللهَ هو السيّد** » والله ﷻ هو الذي ربّىٰ عبادَهُ، وهذا هو المعنىٰ الذي أشار إليه الشيخُ رحمه الله ، وتربيةُ الله للعباد: تربيةٌ معنويةٌ وتربيةٌ حِسِّيَّةٌ، تربيةٌ حسيةٌ بما أَغْدَقَ تبارك وتعالى وأَنْعَمَ علىٰ العباد من صنوف النعم التي يكتسبونها وتَصْلُحُ بها أجسادُهُمْ، وتَصْلُحُ بها حياتُهُمْ، فهذا من تربية الله عز وجل، وتدبيرِه وإصلاحِه لعبادِه.

وثمةَ تربيةٌ أعظمُ، وهيٰ التربية المعنوية، وهي ما يُرَبّي اللهُ عز وجل بِهِ قلوبَ العبادِ ويُصْلِحُ أرواحَهُمْ، وهو الدينُ والإيمانُ والعلمُ الشرعي، وهو سبحانه المتصرف في كل شيء، ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ فلا حركةَ ولا سَكَنَةَ ولا صغيرَ ولا كبيرَ إلا بتدبيرٍ من العليّ الكبيرِ تبارك وتعالى.

إذن هذا هو ما يتعلق بمعنىٰ اسم «**الرب**» له ﷻ، يبقىٰ بعد ذلك: **ما الفائدة الإيمانية والمَسْلكيةُ التي نستفيدُها من إيماننا باسم الله «الرب»:**

نستفيد أولًا: أن الله تبارك وتعالى له الكمالُ الْمُطْلَقُ، وله الحَمْدُ كلُّهُ، وله الثناءُ كُلُّهُ ؛ لأنه لم يَكُنْ ربًّا إلّا ولأنه قد جَمَعَ كُلَّ صفاتِ الجمال وكلِّ صفاتِ الكمال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

نؤمن باسم الله الرب فنعلم ثانيًا: أن الله تبارك وتعالى هو الذي بيده كلُّ شيء، وهو الذي يتصرفُ في كلِّ شيء، هو الذي يُعْطي وهو الذي يَمْنَعُ، هو الذي يرفع وهو الذي يَخْفِضُ،

هو الذي يُعِزُّ وهو الذي يُذِلُّ، هو الذي يُحْيي وهو الذي يميت، فمَنْ آمن بهذا كيف ينصرف عنه ﷻ إلىٰ غيره، بل يجب علىٰ كل إنسان أَنْ يُفَوِّضَ أَمْرَهُ إلىٰ الله الرب ﷻ، ويترك تفويضًا له ﷻ وتوكُّلاً عليه كلَّ شيءٍ سواه، ياالله العجب من أناس يلجؤون إلىٰ غير الله؛ لأنهم يعتقدون فيما يلجؤون إليه النفعَ والضرَّ مع أن الله ﷻ هو «الرب»، أيُّ إيمانٍ هذا مِنْكَ باسمه «الرب»، أتعتقدُ يا عبدالله أن الله هو «الرب»، ثم تلجأ إلىٰ غيره في تفريج الهموم وتنفيس الكروب وإزالة المصاعب، سبحان الله العظيم.

أين إيمانُ العبد باسمه «الرب» وهو يعتقد أن غير الله ﷻ هو الذي يتصرف في الكون إما أربعون وإما سبعة وإما أربعة وإما واحد قُطْبٌ أو غَوْثٌ أو وَتَدٌ أو غيرُ ذلك ! سبحان الله العظيم ! أيُّ إيمانٍ هذا بربوبية الله ﷻ مع اعتقاد أن غيرَ الله ﷻ هو الذي يدبِّرُ ويُصَرِّفُ ويُؤَثِّرُ استقلالاً دونَ الله ﷻ.

نستفيد أمراً ثالثاً مهماً: ألا وهو: أنَّ مَنْ رَضِيَ بالله ربًا فقد حازَ الخيرَ كُلَّهُ، آمِنْ بالله ربًا، ارْضَ بالله ربًا وأبْشِرْ بالخير كلِّه.

أولاً: ستذوق طعمَ الإيمان،قال ﷺ كما في صحيح مسلم: «**ذاق طعمَ الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمدﷺ رسولاً**»، أبشر بالخير إن رضيت بالله ربًا.

ثانيًا: إنْ رضيتَ بالله ربًا دخلتَ الجنة، إن رضيت بالله ربًا غفر اللهُ لَكَ ذَنْبَكَ، قالﷺ: كما في صحيح مسلم «**يا أبا سعيد -يعني أبا سعيد الخدري-: من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا غُفر له ذنبه**» إذا رضيت بالله ربًا، رضيت بحُكْمِهِ، رضيت بحِكْمَتِهِ، رضيتَ بحدودِهِ، رضيت بقَدَرِه، هذا هو الذي يكون راضيًا بالله ﷻ ربًا، وهي درجةٌ رفيعةٌ ينبغي علىٰ كل مسلم أَنْ يسعىٰ في الوصول إليها.





قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الله هو المألوه المعبود ذو الألوهية والعبودية على خَلْقِهِ أجمعين لِمَا اتّصَفَ بِهِ مِنْ صفات الألوهية التي هي صفاتُ الكمال.



الشَّرح

هذا الاسم الثاني من أسماء الله تعالىٰ التي أوردها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ «الله»، هذا الاسمُ الجليلُ العظيمُ الذي هو أعظمُ الأسماء وأشرفُ الأسماء وأحسنُ الأسماء، بل هو الاسمُ الأعظمُ لله عَزَّ وَجَلَّ في قول طائفةٍ من أهل العلم.

هذا الاسمُ العظيمُ عَلَمٌ علىٰ الذّاتِ العَلِيَّةِ، وما تَجاسَرَ أحدٌ من الخَلْقِ قَطُّ أَنْ يتسمّىٰ بهذا الاسم، وهذا الاسمُ العظيمُ هو الجامِعُ لجميع نُعوتِ الجلال والجمال وصفاتِ الفِعْلِ والقُدْرةِ والحَمْدِ والإِحْسان، فهو أجمعُ الأسماء لصفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ ولأجل هذا كانت بقيةُ الأسماء تُضاف إليه، ولا يضافُ إليها، فيُقال: الله الرحمن، والله الرحيم، والله الملك، والله القدوس، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ إلىٰ آخر ما جاء في آخر الحَشْرِ، ولا يُقال: العكس، لا يُقال: الرحمن هو الله، إنما يُقال: الله هو الرحمن، وهذا مُطَّرِدٌ في نصوص الكتاب والسنة.

قد يقول قائل: وماذا تقول فيما جاء في أول سورة إبراهيم ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فإن اسمَ الجلالة هاهنا جاء مجرورًا، فهل جاء صفةً للعزيز الحميد؟ والجواب عن هذا من وجهين:

أولًا: أن من القُرّاءِ مَنْ قرأ برفعِ اسم الجلالة، كنافعٍ وأبي جعفرٍ وغيرِهما، وهذا الرفعُ إما علىٰ أنه مبتدأ، اسمُ الجلالة مبتدأ، وما بعده خبر، أو علىٰ أنه خبرٌ لمبتدأ محذوف «هو الله».

والوجه الثاني: أنْ يُقال: إنَّ الجرَّ -وهي قراءةُ الجمهور- يمكن أن تُوَجَّهَ بتَوْجيهَيْنِ:

التوجيه الأول:أنّ الجرَّ هاهنا إنما جاء من باب تأخير الموصوف عن الصفة، وهذا وإنْ كانَ خلافَ الأَصْلِ إلّا أنه يَقَعُ ويَجْري في كلام العرب، فإنك تقول مثلًا: مَرَرْتُ بالكريم محمدٍ، و إن كان الأصل: مررت بمحمد الكريم، لكنْ، هذا استعمالٌ صحيحٌ، وله شواهدُ لُغويّة.

أو يقال -وهو التوجيه الثاني-: إن الجر هاهنا كان على البَدَلِيَّةِ، فاسم الجلالة «**الله**» في هذه الآية إنما كان بَدَلًا لا صِفَةً.

المقصود أن هذا الاسمَ العظيمَ هو أعظمُ الأسماء، وهو الذي يدل على جميع الأسماء والصفات بأنواع الدِّلالات الثلاثةِ، دِلالةِ المطابقةِ، والتضمُّنِ، واللّزوم.

واختلف أهلُ العلم في هذا الاسم الجليل، هل هو مشتقٌّ أو غيرُ مشتق ؟ وإذا كان مشتقًا، فمِنْ أيِّ شيءٍ اشْتُقَّ ؟ في مبحثٍ طويلٍ خلاصَتُهُ أنَّ الراجحَ أنَّ هذا الاسمَ العظيمَ اسمٌ مشتقٌّ، وأنّ «**الله**» الأصلُ فيه «**الإله**»، ثم حُذِفَتِ الهَمْزَةُ لكثرة الاستعمال فقيل: «**الله**»، وهذا هو الذي رجَّحَهُ جماعةٌ كبيرةٌ مِنْ أهلِ العلم المحقّقين، والإله «**فِعَالٌ**» بمعنى «**مفعول**»، «**إله**» بمعنى «**مألوه**»، و«**مألوه**» بمعنى «**معبود**»، وعليه فإن اسم الجلالة «**الله**» بمعنى «**المعبود**»، وذلك أن العرب لا تعرف في لُغَتِها «**أَلَهَ يَأْلَهُ**» إلّا بمعنى «**عَبَدَ يَعْبُدُ**»، وإذا قيل: إنّ ثمةَ معانٍ أخرى فهي عند التحقيق راجعةٌ إلى هذا المعنى.

إذن « **الله** » تعني المعبود، فهو المعبود وحده لا شريك له، وكُلُّ ما عُبِدَ سواه فإنّ عبادته عبادةٌ باطلةٌ، فاللهُ ﷻ هو الحقُّ وما سواه فباطلٌ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ و مَنْ آمَنَ بأنَّ اللهَ لَهُ هذا الاسمُ العظيمُ فإنَّ إيمانَهُ بهذا الاسْمِ يقتضي منه أَنْ يكونَ اللهُ ﷻ معبودَهُ لا شريك له، ولا يتوجَّهَ بأيِّ نوعٍ من أنواع العبادة إلّا إليه ﷻ، ومتى اخْتَلَّ عندَهُ هذا الأمرُ، فإن إيمانَهُ بهذا الاسم العظيم لا شك أنه إيمانٌ مُخْتَلٌّ،أو إيمانٌ مَقْدوحٌ فيه، أو إيمان مُنْتَقِضٌ.

كما أن إيمانَ المؤمن بهذا الاسم العظيم يقتضي أنْ يؤمن أنّ له جميعَ الأسماء والصفاتِ الحسنىٰ ؛ لأنه كما ذَكَرْتُ: «الله» بمعنىٰ «المألوه»، ولم يَكُنِ اللهُ ﷻ هو الإلهَ الحقَّ إلّا لأنّ له جميعَ أنواع الكمالات بإطلاقِها، فما مِنْ كمالٍ إلّا ولله تبارك وتعالى الغايةُ فيه، وما سواه فإنه عبدٌ مربوبٌ مخلوقٌ لهذا العظيم تبارك وتعالى، فهذا بعضُ ما يقتضيه الإيمانُ بهذا الاسم العظيم «الله».



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المَلِكُ المالك الذي له الملك فهو الموصوف بصفة الملك وهىٰ صفات العظمة والكبرياء والقهر والتدبير الذي لـه التصـرف المطلق في الخلـق والأمـر والجزاء ولـه جميـع العـالم العلـوي والسفلي كلهم عبيد ومماليك ومضطرون إليه.

الشَّرح

ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ هاهنا اسمين «**الْمَلِكُ، والمالِكُ**»، وهذان اسمان عظيمان شريفان تَسمّىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بهما، فهو سبحانه الْمَلِكُ، وهو سبحانه المالك، وهو كذلك المليك، وقد جاء هذا في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾

والمالك: من المِلْك، فالمالك هو الذي يحتوي الشيءَ ويتصرّفُ فيه بأنواع التصـرّفاتِ، ويكون مُسْتَبِدّاً فيه، أنت تَمْلِكُ هـذا الشـيء، تملـك القلـم وتملـك السيارة وتملـك البيـت بمعنىٰ أنك تحتويه ويَنْفُذُ تَصَرُّفُكَ فيه بَيْعًا وشراءً وهِبَةً وما إلىٰ ذلك.

أما الملِك: فَمَنْ لَهُ الْمُلْكُ، أي السلطانُ ونفاذُ الأمر،فهذا هو الْمَلِك، واللهُ عَزَّ وَجَلَّ هو المالك وهو الملِك، فالله عَزَّ وَجَلَّ هو المالك لكل شيء، ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ كلُّ شيء فهو مِلْكٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يتصرف فيه كيف يشاء، ومِلْكُ العباد إنما هو استخلاف من الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ فليس ثمةَ مِلْكٌ مُطلَقٌ حقيقيٌّ إلّا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أما العبدُ فإنّ مِلْكَهُ مِلْكٌ نسبيٌّ وناقصٌ ومحكومٌ أيضًا.

مِلْكٌ نسبيٌّ، فهو يَمْلِكُ شيئًا قليلًا مهما كان غنيًا ومهما كَثُرَ ما يَمْلِكُهُ، فإنه في الحقيقة ليس بشيء أمامَ بقية الأشياء، ثم هو مِلْكٌ ناقصٌ، تَصَرُّفُهُ فيه تَصَرُّفٌ ناقصٌ محكومٌ بأمرِ الله تعالىٰ الشـرعي، ومحكـومٌ بـأمر الله تعـالىٰ القَـدَري، فهـو لا يسـتطيع أن يتصـرف فيـه إلّا في ضَوْءِ ما جاء في الشريعة بَيْعًا وشراءً وهبةً وما إلىٰ ذلك، هذا إنْ كان مسلمًا قائمًا بحـدود الله عَزَّ وَجَلَّ، كذلك هو لا يتصرف فيه إلّا بأمر الله عَزَّ وَجَلَّ القَدَري، فالله عَزَّ وَجَلَّ هو الـذي يعطـي، والله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي يمنع، والله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي يَسْلُبُ، ثم إن هذا الإنسانَ لَمْ يَكُنْ مالِكًا شَيئًا، ثـم إنّ اللهَ

ﷻ أعطاه إياه، ثم إنه إذا مات فَقَدَ مِلْكَ كُلِّ شيءٍ، وانْتَقَلَتْ مِلْكِيَّةُ الأشياء إلىٰ غيره، أما الله ﷻ فإنَّ مِلْكَهُ كاملٌ، و إنَّ مِلْكَهُ مُطْلَقٌ، و إنَّ مِلْكَهُ عامٌّ، وإنّ مِلْكَهُ دائمٌ تبارك وتعالى، كلُّ شيء فهو مِلْكٌ له ﷻ، بل هو مالِكُ الْمُلْكِ سبحانه وتعالى، حتىٰ إنه يَمْلِكُ الملوك وممالِيكَها وممالِكَها، فكُلُّ شيءٍ مملوكٌ لله تبارك وتعالى، هو الذي يتصرّفُ فيه كيف يشاء.

كما أنه تبارك وتعالى هو المَلِكُ الذي له الْمُلْكُ الحَقُّ سبحانه وتعالى، وقد يكون لبعض العباد مُلْكٌ بحَسَبِ ما هُمْ عليه، ولكنه أيضا مُلْكٌ ناقصٌ محكومٌ بأمرِ الله الشرعي ومحكومٌ بأمر الله القَدَري، أما مُلْكُ الله ﷻ فإنه مُلْكٌ مُطْلَقٌ، فهو الذي له السلطان، وهو الذي له نُفوذُ الأَمْرِ، وهو الذي يدبر كلَّ شيء تبارك وتعالى، حتىٰ الملوكُ، بل هو الذي أعطىٰ الملوك الْمُلْكَ، وهو الذي يَنْزِعُ ذلكَ إذا شاء ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ ويظهرُ هذا الْمُلْكُ ويتجلّىٰ جَلِيًّا يومَ القيامة، ولذا قال تبارك وتعالى ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ ﴿مَلِكِ يوم الدِّيْن﴾ علىٰ القراءةِ الأخرىٰ، وإنما ذُكِرَ في هذه الآية أن الله تبارك وتعالى هو مَلِكُ يوم الدين مع أنه مَلِكُ الدنيا ومَلِكُ الآخرة ومَلِكُ كل شيء، وذلك لأنه يتجلّىٰ مُلْكُهُ تبارك وتعالى يومَ القيامة، فلا يُصْبِحُ لأحدٍ مُلْكٌ ألبتة، ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله يَطْوِي السَّمَاءَ و يَقْبِضُ الأَرْضَ بِيَمِينِهِ و يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ**».

يومَ القيامة يتجرّدُ كُلُّ مَلِكٍ عن مُلْكِهِ ولا يبقي مَلِكٌ إلّا الْمَلِكُ الواحد القهّار تبارك وتعالى، و إيمانُنا بهذين الاسمين العظيمين يقتضي منّا خوفًا ورجاء معًا، أما الخوف: فهو لاعتقادنا بأن الله ﷻ هو المالك الْمَلِكُ في الدنيا والآخرة، وهو الذي يتصرف بما يشاء، وهو الذي يعطي ويمنع، وهو الذي يرفع ويخفض، وهو الذي يُعِزُّ ويذل تبارك وتعالى، إذن اللهُ ﷻ له الْمُلْكُ وله الملكوت وله الجبروت، وهذه صفاتٌ تقتضي الخوفَ والوَجَلَ مِنْ هذا العظيم الملك الجبار تبارك وتعالى.

كما أنها تقتضي الرجاءَ في الله ﷻ وتقتضي حُسْنَ الظَنِّ بِهِ ﷻ وتقتضي تفويضَ الأمور إليه ﷻ وحُسْنَ التوكل عليه، فإذا نَزَلَتْ نازلةٌ بالعبد فإنه يفوِّضُ الأمرَ إلىٰ الله ويتوكَّلُ عليه ويَبُثُّ شَكْواهُ إليه، و يُبْشِرُ بأنّ ربَّهُ ﷻ قادرٌ علىٰ كُلِّ شيء، قادرٌ علىٰ أنْ يزيلَ هذا الكَرْبَ في طَرْفَةِ عَيْنٍ، لِمَ؟ لأنَّ لَهُ الْمُلْكَ، ولأنَّ له الْمِلْكَ ﷻ، ولا أَحَدَ يُغالِبُ اللهَ ﷻ، لا أَحَدَ يُمانِعُ اللهَ ﷻ، وهل يمكن أن يكون هذا واللهُ ﷻ له الجبروت و الملكوت و العظمةُ ﷻ ؟! لا يمكن أن يكون هذا ألبتة.

إذن هذا الإيمان يقتضي من العبد أن يكون راجيًا في الله ﷻ مُحْسِنًا الظنَّ به سبحانه، مُسَلِّمًا لقضائه، راضيًا بقَدَرِهِ، وهذا يُكْسِبُهُ أنواعًا من الإيمان في نَفْسِهِ، فهذه المعاني لا ينبغي أنْ تفوتَ علىٰ ذِهْنِكَ يا أيها المسلم، وبالتالي فإنه يَخْرُجُ من قلبك إنْ حَقَّقْتَ هذا الإيمانَ كلُّ تَعَلُّقٍ بغير الله ﷻ، بل يكونُ تَعَلُّقُكَ بالله ﷻ، فأنت تستغني بالغنيّ ﷻ عن كُلِّ ما سواه، لا تُعَلِّقُ قَلْبَكَ إلّا بِمَنْ بيده ملكوت كل شيء، ومَنْ له ما في السموات وما في الأرض، ولا ينصرفُ قَلْبُكَ رغبةً أو رهبةً أو رجاءً في غيرِهِ ﷻ، لا تَلْتَفِتُ إلىٰ الناس ولا تَسْأَلُهُمْ، وهذا الذي ربّىٰ الإسلامُ أهلَه عليه، هذا النبيُّ ﷺ أخذ العهدَ علىٰ جماعةٍ من أصحابه رضي الله عنهم أن لا يسألوا الناس شيئًا استغناءً بالْمَلِكِ ﷻ عن المملوكين، حتىٰ إنَّ أَحَدَهُمْ كان يكونُ علىٰ بعيره، فَيَسْقُطُ سَوْطُهُ، فلا يسأل أحدًا مِمَّنْ حَوْلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ إيّاه، بل يَنْزِلُ ويأخذُه بنفسِه، لم؟ لأنه لا يسألُ الناسَ شيئًا، يستغني بالله عن كل أحدٍ حتىٰ ولو كان شيئًا يسيرًا كهذا الأمر اليسير، الاستغناءُ بالله الْمَلِكِ ثمرةٌ من ثمرات الإيمان بأنه سبحانه مالكُ الْمُلْكِ ﷻ.





الواحد الأحد فهو الذي توحد بجميع الكمالات بحيث لا يشاركه فيها مشارك ويجب علىٰ العبيد توحيده عقدًا وقولًا وعملًا بأن يعترفوا بكماله المطلق وتفرده بالوحدانية ويفردوه بأنواع العبادة.

الشَّرح

الواحد الأحد اسمان جليلان لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والأحد أبلغ من الواحد وكلاهما ثابت في الكتاب والسنة.

أما الواحد فجاء في عدة مواضع في القرآن ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ أما الأحد فما جاء إلا في موضع واحد في سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وكلا هذين الاسمين يدلّان علىٰ ثبوت الوحدانية لله عَزَّوَجَلَّ، وانتبه: الوَحدانية مفسرة عند علماء أهل السنة بأنه سبحانه الواحد في ذاته فلا نظير له، والواحد في صفاته فلا مثيل له، والواحد في عبادته فلا شريك له، هذا هو التفسير الصحيح لوَحدانية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، و انتبه فلعلك تقرأ في تفسير هذا الاسم وفي تفسير هذه الصفة ما قد يتذرّع به بعض أهل البدع لنفي صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إذ يُدْخِلون في تفسير هذا الاسم ما يَصِلُ بهم إلىٰ نفي صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا مبحث له موضع آخرُ من حيث شَرْحُهُ.

المقصود أن وحدانية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ترجع إلىٰ هذه الأمور الثلاثة، الله عَزَّوَجَلَّ له الأحدية في ذاته فلا نظير له ولا كُفْءَ له ولا شبيه له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بل هو الواحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، وهو كذلك الواحد في صفاته فلا مثيل ولا شبيه له عَزَّوَجَلَّ، صفات الله شيء اختص الله عَزَّوَجَلَّ به، ومن وقع في التشبيه فقد وقع في أمر عظيم، و التشبيه مذموم في جانبيه: تشبيهُ الله عَزَّوَجَلَّ بالمخلوق وتشبيه المخلوق بالله سبحانه، احذر فكلا الأمرين خَطَر، بل كلاهما كُفر بالله عَزَّوَجَلَّ، قال نُعيم بن حماد رَحِمَهُ اللَّهُ: " مَنْ شبّهَ الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصفَ اللهُ

به نفسَهُ تشبيهٌ.

إذن تشبيه الله ﷻ بالخلق أمره عظيم كما أن تشبيه الخلق بالله ﷻ أمر عظيم، وهذا الأمر - أعني التمثيلَ والتشبيه في باب صفات الله ﷻ - يراد به أن صفات الله ﷻ كصفات المخلوق، تماثل صفات المخلوق، تشبه صفات المخلوق وهو مذهب قبيح ضال أهله مبتدعون، وهم شُذّاذٌ في الأمة، هذا المرض مرضُ التشبيه وقع في الأمة قليلًا ولله الحمد، و البلاء بالتعطيل أعظم وأكثر فُشُوّا، و هو عند هؤلاء اعتقادُ أن صفات الله ﷻ تماثل وتشبه صفاتِ المخلوقين مع أن الله ﷻ يقول: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، فهذه الآية تقطع عروق التشبيه من القلب، وكذلك أخواتها من الآيات التي تدل علىٰ هذا المعنىٰ العظيم: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ﴾، إذن كل ذلك يدل علىٰ أن الله سبحانه متفرد بما له من صفات الجلال ونعوت الجمال تبارك وتعالى.

أما الأمر الثالث في وحدانية الله ﷻ فهو وحدانيته تبارك وتعالى في عبادته، فالعبادة حق خالص لله تبارك وتعالى، لا يجوز بحال أن يشارِكَ اللهَ ﷻ فيه أحدٌ، فمن وقع في ذلك لم يكن مؤمنًا بأنه الواحد الأحد، من دعا غير الله أو سجد لغير الله أو أحب غير الله كحب الله أو نذر لغير الله أو تبرّك تبركًا شركيًا يصل بالعبد إلىٰ الكفر بالله سبحانه أو غيرَ ذلك من أنواع العبادة والتعلُّقِ والقصد فإنه يكون قد وقع في حفرة عظيمة من حفر النيران عافاني الله وإياكم من ذلك، حَذار من ذلك يا أيها المسلم، الجنة شأنها عظيم، الجنة غالية ولا يمكن أن تصل إليها إلا بالإيمان بالله وحده، أما من أشرك مع الله سبحانه فإنه آيسٌ من رحمة الله، لا يمكن أن يدخل الجنة وقد أشرك بالله ولم يتب من هذا الشرك، لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مؤمنة، وأعظم الإيمان توحيد الله سبحانه وتعالى.

حذار من أن يزين لك الشيطان أو أن يلبِّسَ عليك، أو أن يشبِّهَ عليك شياطينُ الإنس، يزيّنون لك الشرك في صورة تعظيم الأولياء ومحبة الأنبياء والتوسل وما إلىٰ ذلك، و اللهِ إنّ هذا لمن زخارف الشيطان التي يزين بها علىٰ ألسنة أوليائه للجُهّال حتىٰ يقعوا في هذا

الْمَهْيَعِ الخطير، احذر يا عبد الله من الشرك بالله فإن هذا الأمر خطره عظيم، وفي آخر الزمان تكثر الفتنة في أمر التوحيد وقد أخبر ﷺ كما في الصحيح «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَلْحَقَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ»، أخبر ﷺ أنه «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ» أخبر النبي ﷺ أنها «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَندَ ذِي الخَلَصَةِ» يطوفون ويتعبدون له عياذاً بالله من ذلك، إذن الشرك شأنه خطير وهو أمر ليس بالمستحيل، بعض الناس إذا تكلم المتكلم عن الشرك وخطره يظن أن القضية قضية خيالية أو قضية مستحيلة لا يمكن أن تقع أو لا يمكن أن يقع فيها الإنسان، احذر يا عبد الله الأمر ليس كذلك، وقد عَلِمْنا في درسٍ ماضٍ خطورةَ الشرك وأنه كلما عظم توحيدك وإيمانك عظم خوفك من الشرك بالله ﷻ، هذا إبراهيم الخليل عليه السلام وهو إمام الخلفاء وأبو الأنبياء وخليل الرحمن ومع ذلك يقول: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ يخاف علىٰ نفسه.

قال إبراهيم التيمي رحمه الله:"ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم"، إذن هذا الأمر ينبغي الحذر منه، و الحذر من أهله، فما أكثرَ من يزين ذلك، اليوم من الناس من يشرك بالله ﷻ في وحدانيته في العبادة شركا ما وصل إليه المشركون الأولون، المشركون الأولون الذين كفّرهم الله و رسوله ﷺ وجاهدهم النبي ﷺ وأصحابه واللهِ ما وصلوا إلىٰ بعض ما وصل إليه المشركون المتأخرون في هذا الزمان المتأخر.

المشركون الأولون كان يقول أحدهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك، يشرك بالله نعم، و لكنّ معبوده معبود صغير لا قيمة له أمام الله العظيم، ولذلك الله يملكه وما مَلَك، أين هذا من شرك المتأخرين، ألم تسمع إلىٰ ما قال قائلهم:

إني أتيتك يا أبا الفتيان في خَطْبٍ أهاج القلب من حَسَراتِهِ

ما لي سواك -هو يخاطب الآن معبودهه في قبره-يقول:

ما لي سواك أرومه في كشفه أو أرتجي إن ضقت من وثباته

عار عليك إذا تردُّ خويدمًا قصر الفؤادَ عليك في حاجاته

فؤاده كله مقصور إلىٰ معبوده الذي في قبره، ما عَرَفَ الله ﷻ ولا توجّه لله ﷻ، «ما لي سواك أرومه في كشفه» هذا الخَطْبُ وهذه النازلة وهذه المصيبة التي نزلت به لا يعرف أحد

يكشفها إلا سيده و وليّه المقبور في قبره، أما الله ﷻ عنده فلا قدر له، نسأل الله السلامة والعافية.

باللهِ أين شرك الأولين من هذا الشرك، أو ذاك القائل الذي كان يخاطب النبي ﷺ في قصيدة مشهورة يقول فيها:

ما جئت بابك مادحًا بل داعيًا ... ومن المديح تضرّع ودعاء

أدعوك عن قومي الضعاف لفتنة ... في مثلها يُلقىٰ عليك رجاء

الرجاء في كشف هذه الكُرَب عن هذه الأمة إنما يُلقىٰ علىٰ النبي ﷺ وليس إلىٰ الله الذي لا يكشف الكرب سواه سبحانه وتعالى.

هذا أمر عظيم يا إخواني و شرك، بل هذا شر ووبيل وقع فيه المتأخرون عافاني الله وإياكم،ولا ينجو من هذا إلا من جرّد توحيدَه وعَظُمَ تفريدُه لله سبحانه وتعالى، فاللهَ اللهَ بحُسْن التأمل لهذين الاسمين العظيمين، الله هو الأحد والله هو الواحد، إذن لا يمكن أن يُعبد سواه ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾، الله ﷻ هو الإله الواحد الذي يُقصد بجميع أنواع العبادة.





الصمد: وهو الذي تقصده الخلائق كلها في جميع حاجاتها وضروراتها وأحوالها بما له من الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.



من حسن ترتيب الأسماء عند الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه ذكر اسم الصمد بعد اسم الأحد واسم الواحد أيضًا، و هذا جاء على نسق ما جاء في سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ **هذا الاسم العظيم لله عَزَّ وَجَلَّ اختلف العلماء في تفسيره إلى عدة معانٍ، و كلها حق وكلها صحيحة في حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى:**

أما المعنى الأول: فهو الذي تقصُدُه الخلائق وتصمُدُ إليه الخلائق في حاجاتها.

وهـو الإلـه السـيد الصـمد الـذي ... صَـمَدَتْ إليـه الخلـق بالإذعـان

فالله عَزَّ وَجَلَّ هو المقصود الذي تصمُد إليه الخلائق، تقصُدُه الخلائق في حاجاتها تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهذا المعنى صحيح، فالعباد كلهم أولُّهم وآخرُهم وإنسُهم وجنُّهم وملائكتُهم وجميعُ ذرات الأرض إنما تقصِد في حاجاتها وترجوا في حاجاتها اللهَ الصمدَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

المعنى الثاني: أن الصمد هو السيد الذي كَمُلَ في سُؤْدَدِه، يعني الذي بلغ كمال السيادة والذي له غاية العظمة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فله من كل كمالٍ أعلاه وأحسنه، هو الغني الذي كَمُلَ في غناه والعظيم الذي كمل في عظمته، والملك الذي كمل في مُلكه إلى غير ذلك من صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، و هذا المعنى أيضًا حق، وهذا المعنى هو السبب الذي لأجله تصمُد إليه الخلائق في حاجاتها، فالعلاقة بين المعنيَيْن الأول والثاني علاقة واضحة لا إشكال فيها.

المعنى الثالث: أن الصمد هو الذي لا يدخل فيه شيء ولا يخرج منه شيء، وهذا المعنى حق، ويدل عليه ما جاء في هذه السورة بعد اسمه الصمد، ولذا يقول بعض أهل العلم: تفسير الصمد ما بعده قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ نعم، الله عَزَّ وَجَلَّ لم يلد ولم يولد، فلم ينفصل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن غيره ويخرجْ عن غيره،فلم يولد تَبَارَكَ وَتَعَالَى، كما أنه لم ينفصل منه شيء فلم يلد هو تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فالله سبحانه لا ولد له ولا والد له جَلَّ وَعَلَا، وهذا المعنى أيضا صحيح.

المعنى الرابع: أن الصمد هو الذي لا يأكل ولا يشرب، وهذا إن تأملت أيضا راجع إلىٰ المعنىٰ السابق، والله ﷻ هو الذي يُطعِم ولا يُطعَم، وذلك أن الأكل والشرب دليل علىٰ الحاجة والفقر، والله ﷻ هو الغني من جميع الوجوه ﷻ، ولذا استدل الله ﷻ علىٰ عدم صحة إلهية وربوبية عيسىٰ عليه السلام وأمِّهِ بأنهما كانا يأكلان الطعام، قال سبحانه: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ هذه حجة كافية في رد ألوهية عيسىٰ وأمه عليهما الصلاة والسلام، يكفي فقط أنْ تعلم أنهما كانا يأكلان الطعام، إذن ليسا ربَّيْن وليسا إلهين، لم؟ لأن مَنْ يأكل و يشرب فإنه محتاج فإنه لا يستغني عن غيره، أما الله ﷻ فلا حاجة به إلىٰ أحد، الله ﷻ هو الغني والكل محتاج إليه ﷻ.

وقال بعض أهل العلم وهو المعنىٰ الخامس إن الصمد هو الذي لا جوف له، وهذا راجع إلىٰ المعاني السابقة فهو الذي لا يدخل فيه شيء ولا يخرج منه شيء، وهو الذي لا يأكل ولا يشرب ﷻ، المقصود أن هذا الاسم يدور كل ما قيل في معناه علىٰ معنىٰ الغنىٰ المطلق له ﷻ عن كل شيء، وعلىٰ فقر كل شيء إليه ﷻ، فالله غني عن كل شيء وكل شيء فقير إليه ﷻ، مما نستفيده من معرفتنا بهذا المعنىٰ و إيماننا به أن نوقن بأن الله ﷻ هو الغني، ولذا كلما كنت إلىٰ الله أقرب كنت به أغنىٰ وعن غيره مستغنٍ، ولذا ينبغي أن تستحضر هذا المعنىٰ، أنت عبدٌ للصمد ﷻ فاستغنِ به عن كل ما سواه.

أيضًا إذا كنت تؤمن بأن الله ﷻ هو الصمد فلا تفزعْ في حاجاتك يا عبد الله إلىٰ غيره، سبحان الله، تؤمن بأن الله الصمد وتتلو هذه الآية ليلَ نهار ثم بعد ذلك ترجو غيرَه وتلجأ في حاجتك إلىٰ سواه وتهتف عند النوازل باسم غيره من الأولياء والأنبياء والجن والملائكة بل و الشجر والحجر يالله العجب!!

أين إيمانك بأن الله هو الصمد؟ لو كنت مؤمنًا حقًا بأن الله هو الصمد فإنك لا يمكن ألبتة أن ترجع في حاجاتك إلىٰ غير الله ﷻ، المؤمن الصادق يلتفت قلبُه إلىٰ الله فحسْب، فهو الذي يقصُدُه في تنفيس الكروب وفي تفريج الهموم؛ لأن الله ﷻ في إيمانه وفي معتقده هو الصمد ﷻ، فهذه المعاني ينبغي عليك يا عبد الله أن تستحضرها وأنت تتلوَ هذه السورة العظيمة، فإن هذه السورة العظيمة جديرة بأن تكون ثلث القرآن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العليم الخبير وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن والإسرار والإعلان وبالواجبات والمستحيلات والممكنات وبالعالم العلوي والسفلي وبالماضي والحاضر والمستقبل فلا يخفىٰ عليه شيء من الأشياء.

الشرح

ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ اسميه الجليلين سبحانه «**العليم والخبير**»، أما اسمه تعالىٰ «**العليم**» فهو من الأسماء العظيمة التي تكررت في كتاب الله ﷻ كثيرًا فقد جاء هذا الاسم في أكثر من مائة وخمسين مرة، وهو دال علىٰ ثبوت صفة العلم لله جَلَّ وَعَلَا كما أنه جاء في كتاب الله «**عالم الغيب**» وجاء أنه «**علّام الغيوب**»، هذا الاسم الجليل دال علىٰ اتصاف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بصفة العلم، و اللهُ ﷻ لا شك أنه العليم بكل شيء الذي وسع علمه كل شيء ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ فعِلْمُ الله ﷻ علم شامل يتعلق بكل شيء، و«**كلَّ**»هنا عمومُهُ محفوظ لم يُخَصَّ منه شيء، فالله ﷻ عَلِمَ ما كان وما هو كائن وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون من الممكنات والمستحيلات، عَلِمَ الواجب وعَلِمَ الممكن وعَلِمَ المستحيل.

إذن عِلْمُ اللهﷻ واسعٌ شاملٌ لكل شيء، عَلِمَ ما كان في الماضي، وليس مُضِيُّ الشيء وقِدَمُهُ سببًا لجهل الله ﷻ في وقت من الأوقات له، بل الله ﷻ عَلِمَ كل شيء ماضٍ، كما أنه سبحانه عَلِمَ ما هو كائن في الحال، ويعلم سبحانه ما سيكون في المستقبل، ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾.

كما أنه سبحانه عَلِمَ الأشياء التي لم تقع ولن تقع لو وقعت كيف تقع سواءً أكانت من الممكنات أم من المستحيلات، أما من الممكنات، و الممكن هو الذي يجوز عقلًا وجودُهُ وعَدَمُهُ، وأما المستحيل فهو الذي لا يجوز عقلًا وجودُهُ، وأما الواجب فإنه ما يجب عقلًا وجودُهُ وهو الله ﷻ وحده، ولذا فذِكْرُ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلمةَ الواجب مجموعةً

حيث قال: «من الواجبات» الذي كان ينبغي أن تكون هذه الكلمة مفردة؛ لأن الواجب واحد فقط هو الله ﷻ، هو الذي لا يجوز عقلًا إلا وجوده ﷻ، وما سواه فإما أن يكون ممكنًا وإما أن يكون مستحيلاً.

المقصود أن الأشياء التي لم تقع ولن تقع عَلِمَ الله ﷻ أنها لو وقعت كيف سيكون الحال، قال ﷻ: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ وكذلك المستحيلات التي لم تقع ولن تقع ويستحيل أن تقع لو قُدِّرَ وجودُها عَلِمَ الله ﷻ لو وقعت كيف تقع، قال سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ وجودُ إله حق مع الله هذا أَمْحَلُ الْمُحالات، أمرٌ يستحيل وجوده ألبتة، ومع ذلك على فرض وقوعه فإن الله ﷻ عَلِمَ ما عليه سيكون الحال فقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ﴾ يعني في السماوات والأرض آلهة إلا الله لفسدتا، إذن عِلْمُ الله ﷻ علم واسع شامل، واسمه ﷻ العليم، والعلم من أظهر الصفات للرب الإله العظيم ﷻ.





قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

العليم الخبير وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن والإسرار والإعلان وبالواجبات والمستحيلات والممكنات وبالعالم العلوي والسفلي وبالماضي والحاضر والمستقبل فلا يخفىٰ عليه شيء من الأشياء.

الشَّرح

كل ذرة علوية أو سفلية فإن الله عَزَّ وَجَلَّ قد عَلِمَها بخصوصها ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ يعني زاد سبحانه علىٰ أنه عَلِمَها أنه قد كتب كل ذلك في اللوح المحفوظ، كل شيء يقع في هذا الكون فالله يعلمه، حتىٰ ورقة الشجر إذا سقطت عَلِمَها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعَيْنِها ومتىٰ سقطت وإلىٰ أين ذهبت، بل الحبة، و الحبة تشمل كل حبة سواءً أكانت حبة البِذْر أو كانت حبة الرمل، ولو كانت في أعماق البحار فإنها بِعَيْنِها معلومةٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قبل وجودها وبعد وجودها.

إذن عِلْمُ الله تعالىٰ علمٌ شامل لكل شيء، وإيماننا بهذه الصفة يقتضي منا أن نكون وَجِلينَ خائفين مراقبين للعليم سبحانه فهو يعلم كل شيء، حتىٰ خفايا قلوبنا وحتىٰ ما نُسِرُّهُ في أنفسنا فإنه ظاهر جلي لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يخفىٰ عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شيء، فإذا اسْتَخْفَيْتَ عن أعين الناس وتوارَيْتَ عن علمهم فاعلم أنك لا تستخفي علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فالله يعلم حالَكَ ويعلم فِعالك، فتنبَّهْ لذلك واستحيِ من الله عَزَّ وَجَلَّ حق الحياء.

أما الاسم الرديف لهذا الاسم في كلام الشيخ فهو «**الخبير**»، و اسم الله الخبير دال علىٰ صفة الخِبْرة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والخبرة قريبة في المعنىٰ من العلم، ولكنْ هو علمٌ خاص، أعني هو العلمُ الذي تَعَلَّقَ بخبايا الأمور وخفاياها، فالعلم بالخفي ألصقُ بصفة الخبرة، صفة العلم صفة عامة شاملة لكل علم، يتناول كل معلوم، أما الخبرة فهي أخص، فهي ألصق بالعلم بخبايا الأمور وخفاياها.

إذن عَلِمْنا سابقًا وهذا مثال لما عَلِمْناه أن أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد يكون بعضها كالتفصيل لبعض، يعني بعضها يكون عامًا والآخر يكون خاصًا أو مفصِّلًا لاسم عامٍّ آخر، فهذا ما يتعلق باسميه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ العليم والخبير.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحكيم وهو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمرِه الـذي أحسـن كـل شـيء خَلَقَه ومـن أحسن من الله حكمـًا لقوم يوقنون فلا يخلق شيئا عبثًا ولا يشرع شيئا سـدىٰ الـذي لـه الحكـم في الأولىٰ والآخرة وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك فيحكم بين عباده في شـرعه وفي قدره وجزائه، والحكمة وضع الأشياء مواضعها وتنزيلها منازلها.

الشَّـرح

اسم الله ﷻ الحكيم، اسمٌ جليـل تكـرر في كتـاب الله ﷻ، ولـو تأملـتَ لوجدتـه غالبـًا مقارنـًا لاسـم آخـر، والأسـماء التـي قُـرِنَ بهـا اسـم الله تعـالىٰ الحكـيم هـي العزيـز والعلـيم والخبير.

ولو تأملت لوجدت عِلْمـًا جَمّـًا في هـذا الاقـتران بـين هـذه الأسـماء، و هـذا أمـر تمـت الإشارة إليه سابقًا.

المقصـود أن الله ﷻ من أسـمائه الحكـيم كمـا أنَّ مـن أسـمائه الحَكَـم، كمـا قـال النبـي ﷺ: «**إن الله هو الحَكَم وإليه الحُكْم**».

وجاءت الدِّلالة عليه أيضًا في قوله تعالىٰ: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ واسم الله الحكيم دالٌّ علىٰ ثلاثة معانٍ كلُّها حق، وقد أشار إليها الشيخ في الكلام الذي سمعناه.

أولًا: أن الحكيم بمعنىٰ الحاكم، فتكون هذه الكلمة علىٰ زنـة «**فعيـل**» بمعنـىٰ «**فاعـل**»، «**حكيم**» بمعنىٰ «**حاكم**»، والحاكم مَنْ له الحُكْم، والحُكْم ثلاثة أنواع بيَّنها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

- النوع الأول: الحكـم الشـرعي، فـالحكم الشـرعي إنمـا يخـتص بـالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يَشْرَكُهُ فيه أحد، ولا يجـوز لأحـدٍ أن يحكـم شرعًا في ديـن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أو علىٰ عباده، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ .

- النوع الثاني: هو الحكم القَدَرِيّ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ ، فالله ﷻ له الحكم القدري في كَوْنِه، فهو يأمر وينهىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويخلق ويُفْني ويوجِدُ بحسب مشيئته المقترنةِ بحكمته

ﷻ، فالله سبحانه له الحكم الكوني.

والنوع الثالث: هو الحكم الأُخْروي وإن شئت فقل الحكم الجزائي الذي يكون يوم القيامة ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾.

إذن هذه أنواع الحكم المضاف إلىٰ الله ﷻ، وكلُّها مما لا يَشْرَكُهُ فيه ﷻ شيء، ولا شك أنها أحسن الأحكام عند أهل الإيقان، قال ﷻ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ والحكم هنا يشمل الأنواع الثلاثة، فأهل الإيمان والإيقان حُكْمُ الله ﷻ عندهم هو أحسن ما يكون وأفضل ما يكون ويعتقدون أنه لا شيءَ أفضلُ من حكم الله ﷻ، إنْ حَكَمَ الله ﷻ بحُكْمٍ تعلق بعبادة أو بحدٍّ أو بأي مسألة كانت فإنهم يعتقدون أن هذا هو الخير وأن هذا هو الكمال وأن هذا هو الأنفع بالعباد، إنْ قدَّرَ الله تعالىٰ وحَكَمَ كونًا ولو كان هذا الحكم مؤلمًا كموتٍ لقريب أو لحبيب أو نزولِ نازلة أو صاعقة أو سرقة أو ما شاكل ذلك فإنهم يعتقدون أن هذا الحكم هو أحسن ما يصيبهم؛ لأن الذي حَكَمَ به هو العليم الحكيم الرحيم ﷻ فهذا أحسن شيء يصيبهم.

يعلمون أن لله ﷻ في تقدير هذا الأمر المؤلم له في ذلك حكمة بالغة ويُعوّض عليه أجرًا عظيمًا، كما أنهم يعتقدون أن الحكم الأخروي له ﷻ هو الحكم العادل الذي يوفّي فيه ﷻ لكل إنسان حقه، ولذلك استحق ﷻ الحمد من جميع الناس مسلمِهِمْ وكافرهم حتىٰ الذين حَكَمَ الله ﷻ بتعذيبهم في النار كما قال سبحانه: ﴿وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

إذا انقضىٰ موقف الجزاء والحساب فإن الكل يحمد الله ﷻ، حتىٰ الكفار الذين أُبِّدَ عليهم عذاب النار عافاني الله وإياكم؛ لأنه قد تجلّىٰ لهم حكمه العادل ﷻ.

إذن أهل الإيمان والإيقان لا يتذمرون من أحكام الله ﷻ ولا يتسخّطونها، وإنما يعتقدون أن الله ﷻ أحسن ما يكون حكمًا ﷻ.

الأمر الثاني: أن معنىٰ الحكيم أنه ذو الحكمة، المتصف بالحكمة البالغة. **والحكمة:** وضع الشيء في موضعه المناسب للغايات المحمودة منه، والله ﷻ له الحكمة في كل ما

يخلق وفي كل ما يقدر وفي كل ما يأمر، ليست أحكامه ﷻ عبثًا أو لا فائدة منها أو لم تكن هناك مصلحة فيها، بل لله ﷻ حكمة بالغة كما قال سبحانه: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾.

فالله ﷻ له الحكمة البالغة، وأدلة ثبوت الحكمة في فِعْلِهِ سبحانه وفي خلقه وفي أمره كثيرة جدًا، حتىٰ إن ابنَ القيم رحمه الله في كتابه «شفاء العليل» أشار إلىٰ أن مواضع الحكمة في خلق الله ﷻ وأَمْرِهِ وقَدَرِهِ لو تَتَبَّعَها المتتبّعُ لزادت علىٰ عشرة آلاف موضع، ويقول: و لا أقول هذا مبالغة، وهذا بحسب قصور فهمنا وعلمنا، إذن لله ﷻ حكمة بالغة في كل شيء، ولكنْ تنبّهْ يا عبد الله إلىٰ أنّ هذه الحكمة قد تظهر وقد لا تظهر، وما يعلمه العباد من حكمة الله ﷻ هو القليل، وأنّىٰ للعباد الذين هم ضعفاء والذين هم عاجزون والذين هم ناقصون أنىٰ لهم أن يحيطوا علماً بحكمة العظيم ﷻ العليم الكبير الحكيم ﷻ، كيف يروم هذا الإنسانُ الضعيف أن يحيط علمًا بحكمة الله تبارك وتعالى.

بعض الناس يجعل إيمانَهُ متعلقًا بظهور الحكمة له، يجعل استجابته لأحكام الله منوطةً بظهور الحكمة له، فإنْ ظهرت استجاب وإلا فإنه يرد الحكم عافاني الله وإياكم من هذه الحال، وهذا إيمانه علىٰ خطر، بل الواجب علىٰ الإنسان أن يؤمن بأن الله ﷻ له حكمة بالغة، إنْ ظَهَرَتْ فالحمد لله وإن لم تظهر فإنه يعتقد أن لله حكمة، ولكنْ قصورُ علم الإنسان الضعيف وقصور عَقْلِهِ حالَ دون فهمها، وهذا من الأمور المهمة جدًا فإننا في هذا الزمان مع الأسف الشديد ربما يقال للإنسان: يجب عليك أن تفعل كذا أو لا يجوز لك أن تفعل كذا فتجد أنه يجاوب مباشرة وما الحكمة؟ لسانُ حاله يقول: إن ظهرت لي الحكمة سوف أستجيب وإلا فربما أتوقف، و هذا ليس هو حالَ أهل الإيمان ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ أن يقولوا ماذا؟ نتنظر معرفة الحكمة؟ كلا، ﴿أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ هذا هو الإيمان وهذه هي ثمرته الاستجابة لله وللرسول ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

المعنى الثالث: أن الحكيم هو بمعنىٰ الْمُحْكِم، «**فعيل**» بمعنىٰ «**مُفْعِل**» من الإحكام، فالله ﷻ قد أحكم كل شيء ﷻ، وإحكامه سبحانه نوعان: إحكام لآياته الكونية وإحكام لآياته الشرعية.

أما آياته الكونية فإن الله ﷻ قد أحسن وأتقن وأحكم كل شيء خلقه، الله ﷻ أتقن كل شيء صنعه وأحسن كل شيء خلقه ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ والله ﷻ أيضًا أحكم آياته الشرعية ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يتقنها ﷻ فلا يكون للشيطان فيها مدخل.

إذن الله ﷻ حكيم بمعنىٰ مُحْكِم، هذه المعاني الثلاثة كلها حق وكلها ثابتة في حق الله ﷻ، فالله ﷻ له الحكم وهو ذو الحكمة وهو الْمُحْكِمُ آياتِهِ كونًا وشرعًا والله ﷻ أعلم.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الرحمن الرحيم البر الكريم الجواد الرؤوف الوهاب هذه الأسماء تتقارب معانيها وتدل كلها علىٰ اتصاف الرب بالرحمة والبر والجود والكرم وعلىٰ سعة رحمته و مواهبه التي عم بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته، وخَصَّ المؤمنين منها بالنصيب الأوفر والحظ الأكمل، قال تعالىٰ: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ والنعم والإحسان كله من آثار رحمته وجوده وكرمه وخيرات الدنيا والآخرة كلها من آثار رحمته.

الشَّرح

هـذه جملـة مـن أسـماء الله ﷻ أوردهـا الشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ دَفْعَـةً واحـدة لتقـارب معانيهـا ونأخذها بعون الله ﷻ اسمًا اسمًا.

أولًا: ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ اسميه تعالىٰ «**الرحمن، والرحيم**» وهذان اسمان جليلان عظيمان، من أظهر الأسماء وأكثرها ورودًا وظهوراً في شرع الله ﷻ وفي خلقه، والله ﷻ وسعت رحمته كل شيء ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾، وهذان الاسمان اختلف أهل العلم في الفرق بينهما بعد اتفاقهم علىٰ أنهما يدلان علىٰ ثبوت صفة الرحمة لله ﷻ، وعلىٰ أن «**الرحمن**» أبلغ من «**الرحيم**»؛ وذلك لأن صيغة «**فعلان**» أبلغ من صيغة «**فعيل**»؛ لأن صيغة «**فعلان**» تدل في اللغة علىٰ الامتلاء وعلىٰ السَّعَة، فالرحمن أبلغ من الرحيم، وبهذا نعلم أن بعض أسماء الله ﷻ أبلغ في المعنىٰ من بعض، وكلُّها بالغةٌ في الحُسْنِ غايَتَهُ.

مما قيل في الفرق بين اسميه تعالىٰ الرحمن والرحيم، أن «**الرحمن**»: دال علىٰ الرحمة الواسعة الشاملة لكل شيء، وأما «**الرحيم**» فهو: هو اسم دال علىٰ صفة الرحمة الخاصة بالمؤمنين، واستدل مَنْ قال بهذا القول بقوله تعالىٰ: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ والذي يظهر والله تعالىٰ أعلم أن هذا القول فيه نظر؛ وذلك لأن الله جَلَّ وَعَلَا عم برحمته المتعلقة باسمه الرحيم أو المتضمَّنَةِ باسمه الرحيم بقوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ فعم سبحانه الناس جميعا بالرحمة لأن «**الناس**» كلمة تشمل المسلم والكافر، فدل هذا علىٰ أن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ رحيم بالناس جميعا مسلمِهم وكافرِهم، والذي اختاره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه

بدائع الفوائد أن اسمه «**الرحمن**» دال علىٰ أن الرحمة وَصْفُهُ، وأما «**الرحيم**» فدال علىٰ أن الرحمة فِعْلُهُ، يعني «**الرحمن**» دال علىٰ أن الله ﷻ متصف بصفة الرحمة.

وأما «**الرحيم**» فدال علىٰ الرحمة الواصلة للعباد وأنه يرحم عباده ﵎، وهذا الكلام له وَجاهة ولا شك، وإذا ذُكِرَ الاسمان معًا فإنه يوجَّهُ الحالُ بما ذَكَرَ ﵀، وأما إذا ذُكِرَ أحد الاسمين عل الانفراد فإنه يشمل المعنىٰ الآخر، فهما من الكلمات التي إذا اجتمعت افترقت، وإذا افترقت اجتمعت، المقصود أن الله ﷻ متصف بصفة الرحمة، ورحمته ﷻ عامة شمِلت كل شيء، كلُّ ذرة في الكون قد نالها نصيب من رحمة الله ﷻ، كل شيء حتىٰ الكافر، حتىٰ الذي جحد الله ﷻ، بل حتىٰ الذي أنكر وجوده سبحانه فقد ناله من رحمة الله ﷻ نصيب، فإنه لولا رحمة الله ما تنفس، لولا رحمة الله ما طَعِمَ لُقمة ولا شرب شَرْبة ولا تحرك خطوة، إنما كان هذا كله من رحمة الرحيم ﷾، رحمته ﷻ عامة شاملة لكل شيء.

كما استدل المؤلف ﵀ بقوله ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ تنبه يا رعاك الله، هذه الآية فيها عموم وخصوص.

أما العموم ففي شطرها الأول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي في الدنيا، في الدنيا رحمةُ الله ﷻ وسعت كل شيء.

والشطر الثاني: فيه الخصوص ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يعني في الآخرة، الرحمة في الآخرة خاصة بالمسلمين بأهل التوحيد فقط، وأما الكفار ﴿أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾ لا ينالهم شيء من رحمة الله ألبتة، أما من مات من أهل الإيمان ولو كان عاصيًا بل لو عذبه الله ﷻ في النار فإنه ستناله رحمته ﵎ ؛ لذا فإن الله سبحانه سيتفضل عليه بإخراجه من النار إما بشفاعة الشفعاء وإما برحمة أرحم الراحمين.

قال الله ﷻ في الحديث فيما رواه نبيه ﷺ عنه «**شَفَعَتِ الملائكة وشَفَعَ النبيون وشفع المؤمنون وبقيت رحمة أرحم الراحمين**» فيتفضل الله ﷾ بإخراج من بقي في النار من أهل التوحيد، إذن رحمة الله ﷻ لا شيء أوسع منها، وسعت كل شيء ﵎.

تنبه في مسألة الرحمة إلى عدة أمور:

أولًا: أن الله ﷻ كَتَبَ على نفسه الرحمة ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، والله ﷻ يكتب على نفسه ما يشاء ويوجب على نفسه ما يشاء، وليس لأحد أن يوجب على الله شيئًا، فالله أعز وأجل من ذلك، لكنه يوجب على نفسه ما يشاء، وقد كتب على نفسه سبحانه الرحمة، ولذا فإنه قد عم برحمته كل شيء و أَضْحَتْ رحمته واسعةً تسع كل شيء.

الأمر الثاني: أن رحمة الله ﷻ سبقت غضبه وغَلَبَتْ غضبَه، يدل على هذا ما ثبت في الصحيحين من قول النبي ﷺ: «**إن الله كتب كتاباً هو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي**» وفي رواية «**سبقت غضبي**»، ومن تأمَّلَ في سُنن الله الشرعية وسننه الكَوْنية يجد أن هذا الحديث حق وأن رحمة الله ﷻ سبقت غضبَهُ، ولذا لم يعاجِلْ سبحانه العصاةَ من أول وهلة، بل إنه يُمْهِلُهُمْ ﷻ دون إهمال، إنما رحمةٌ من الله ﷻ ولطفٌ بهم ولعلهم يرجعون، فهذا يدل على أن رحمة الله تغلِب غضبه، وسبقت غضبه ﷻ.

الأمر الثالث: ينبغي أن نعلم أن الرحمة التامة إنما تُنالُ بطاعة الله ﷻ قال ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ و«**لعل**» من الله واجبة، فإذا كنت تطمع في رحمة الله ﷻ فجِدَّ واجتهدْ في طاعة الله ورسوله ﷺ وأبشر برحمة الله ﷻ.

الأمر الرابع: أن تعلم أنك بالرحمة تنال الرحمة،قال النبي ﷺ وهو الصادق الصدوق «**الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمْكم من في السماء**» فإذا كنت تريد رحمة الله فارحم عباد الله، والعكس بالعكس، إنْ كنت بعيداً عن رحمة العباد فإنك بعيد عن رحمة رب العباد، قال النبي ﷺ فيما خرّجاه في الصحيحين «**مَنْ لا يَرحمْ لا يُرحم**» وقال ﷺ كما في الصحيحين أيضا «**إن الله لا يرحمُ مَنْ لا يرحمِ الناس**» تنبه يا رعاك الله إلى هذا الأمر وضَعْهُ نَصْبَ عينيك، ارحم لتُرْحَم، و أولى الناس برحمتك: الأقربون منك، و أهم أولئك الوالدان ويليهم الأبناء والزوجة والإخوة والأخوات والأقارب وهَلُمَّ جرّاً إلى

الأصدقاء والإخوة الذين تحابَبْتَ وتصادَقْتَ معهم في الله ﷻ، حتىٰ تعم برحمتك كل شيء، جميعَ الناس بل حتىٰ الحيوانات فإنك إنْ رحمتها يَرْحَمْكَ الله ﷻ، حتىٰ الشاة كما جاء في الحديث: «**والشاة إنْ رحمتها رحمك الله**»، وثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه ذكر أهل الجنة ونص منهم علىٰ رجل قال فيه: «**ورجل رحيم رقيقُ القلب لكل ذي قربىٰ ومسلم**» ما أحسن هذا الوصف وما أحسن أن تتخلق به يا مسلم.

ورجل رحيم رقيق القلب لمن؟ أولًا الأقربون وثانيًا عموم الناس، فتأمل يا رعاك الله إلىٰ ثمرة هذا الخلق العظيم، إنه الجنة، مَنْ كان كذلك فإن النبي ﷺ قد أخبر وهو الصادق الصدوق أنه أحد الثلاثة الذين يدخلون الجنة، فاللهَ اللهَ بالحرص علىٰ هذا الخلق، مع الأسف الشديد بعض الناس ظاهرُ الرحمة للأبعدين، يتلطف ويُغْدِقُ و يكرم ويرحم من كان بعيدًا عنه، لكنه إن دخل بيته وتعامل مع أهل بيته فإنه ينقلب إلىٰ وحش كاسر ليس إلا فظًّا غليظًا قاسيًا، إن تكلم أو فعل أو أمر أو نهىٰ، وهذا ليس خلقَ أهل الإيمان، أهلُ الإيمان الأقربون فيهم أو منهم أولىٰ برحمتهم مع عموم رحمتهم لجميع الناس.

أيضًا علىٰ الإخوة لا سيما طلبة العلم عليهم أن يتراحموا فيما بينهم وأن يعطف بعضهم علىٰ بعض وأن يترفّق بعضهم ببعض، ينبغي عليك أن تكون طالب علم بحق، يظهر أثر علمك علىٰ خلقك، ويكون طبعك الغالبُ الرحمة والرِّفق واللُّطْف؛ فإن هذه أخلاقٌ حسنة تتعبد بها لله ﷻ، وتنال بها رحمة الله برحمته ﷻ، هذه أمور ينبغي أن نراعيَها وأن نتذاكرَ فيها وأن نُذَكِّرَ أنفسَنا بها دائمًا لعل الله ﷻ أن يرحمنا وأن يغفر لنا.



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الرحمن الرحيم البر الكريم الجواد الرؤوف الوهاب، هذه الأسماء تتقارب معانيها وتدل كلها علىٰ اتصاف الرب بالرحمة والبر والجود والكرم، وعلىٰ سعة رحمته ومواهبه التي عم بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته، وخص المؤمنين منها بالنصيب الأوفر والحظ الأكمل، قال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، والنعم والإحسان كله من آثار رحمته وجوده وكرمه، وخيرات الدنيا والآخرة كلها من آثار رحمته.

الشَّرح

قبل أن ننتقل إلىٰ الكلام عن الاسم التالي بعد الرحمن الرحيم، أنبه إلىٰ ما جاء في كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من أن رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ مقترنة بحِكْمته، فينبغي أن تلاحظ هذا إذا تأملت في مسائل الرحمة وآثارِها، فالله عَزَّ وَجَلَّ لا تعارُضَ بين رحمته وحكمته، بمعنىٰ أنه سبحانه يرحم وِفْقَ حكمته.

بمعنىٰ أنه يجعل الرحمة في المحل اللائق بها، وعليه فمن لا يستحق رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ، فإن الله تعالىٰ لا يرحمه، فهذه قضية مهمة ينبغي أن تلاحظها، رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ عامة شاملة لكل شيء، ولكن إنما تتنزل في المحل اللائق بها، وهو الذي اقتضته حكمة الباري تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الأمر الثاني الذي نبه عليه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في الكلام الذي سمعناه، هو أنّ ما يكون من النعم وأصنافِ الإحسان و المواهب، إنما هو أثر رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ، وليس هو رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ، وهنا يخطئ بعض الناس حينما يفسرون النصوص الواردة في الرحمة بالبر والإحسان والعطاء وما إلىٰ ذلك.

هذا في الحقيقة صَرْفٌ لِلَّفْظِ عن معناه، وتأويلٌ له إلىٰ غيره، هذه الأمور إنما هي آثار رحمة الله، إنما هي لوازم لرحمة الله عَزَّ وَجَلَّ، وليست هي رحمةَ الله عَزَّ وَجَلَّ، وأهل السنة والجماعة يثبتون الصفة وأثرَها، أما هؤلاء فإنهم يثبتون الأثر، ويجعلونه هو الصفة، وهذا غلط ينبغي أن تتنبه له.

فالرحمة صفةٌ قائمة بالله عَزَّ وَجَلَّ لها أثر في المخلوقات، هذه الآثار ليست هي صفةَ الله عَزَّ وَجَلَّ، وإنما هي لوازمُ لها.

الاسم الذي يلي اسمه ﷻ «الرحمن والرحيم»: اسمه تعالىٰ «البر» ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ ا والبَرُّ هو كثير البِرِّ، انتبه، البَرُّ اسمه والبِرُّ صفته، فالبَر هو كثير البِر، والبِر هو الخير والإحسان.

إذن نفهم أن معنىٰ البَر هو كثير الخير والإحسان، يعني ذو البِر.

والله ﷻ لاشك ولا ريب أنه عظيم الإحسان كثير الخير، يَهِبُ المواهب الجزيلة، إذا سُئِلَ وإذا لم يُسْئَلْ ﷻ، فهذا الاسم راجعٌ إلىٰ معنىٰ الكرم وإلىٰ معنىٰ الرحمة لله ﷻ.

«الكريم» اسم جليل دال علىٰ اتصاف الله سبحانه بصفة الكرم، **و «الكريم» يدل على معنيين:**

الأول: أنه الجواد المعطي ذو الأفضال والخيرات والإحسان، وهذا هو المعنىٰ المتبادِر، والذي ربما لا يظن كثير من الناس أن هناك معنىٰ للكريم غيرُه.

لكنْ هناك معنى آخر للكريم: وهو ذو القَدْر والعَظَمَةِ، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ﴾ فمعنىٰ الكريم هنا أنه كتاب شريف وكتاب له قَدْر.

وعليه فإن اسمه تعالىٰ الكريم دال علىٰ معنيين، علىٰ معنىٰ البَر وعلىٰ معنىٰ العظيم.

وبهذا لعلنا نتذكر ما ذكرناه في الدرس الأول، وهو أن الاسم الواحد من أسماء الله ﷻ قد يدل علىٰ أكثرَ من معنىٰ، وكلها حق وكلها بما يليق بالله ﷻ.

«الجواد» هو ذو الجود، المتصف بالجود، والجود كثرة المواهب والعطايا، فهو أيضا دال علىٰ ما دل عليه اسمه تعالىٰ الكريم، وما دل عليه اسمه تعالىٰ البَر، والشيخ في هذا الاسم قد خالف قاعدته، لأنه نص في مقدمة هذه النبذة، علىٰ أنه إنما يورد تفسيراً أو شرحًا لبعض الأسماء التي تكرر ورودها في كتاب الله ﷻ.

والجواد لم يرد في كتاب الله سبحانه، إنما ورد في سنة النبي ﷺ، وجاء هذا في حديثٍ عند الترمذي وغيرِه، بل جاء في عدة أحاديث عند الترمذي وغيره، وفيها أن الله تعالىٰ جواد يحب الجُود.

وهذه الأحاديث فيها بحثٌ من حيثُ ثبوتُها إلىٰ النبي ﷺ، وطائفة من أهل العلم رأت أنها ترتقي بمجموع الطرق إلىٰ درجة الثبوت.

وكثير من أهل العلم أثبت هذا الاسم لله ﷻ، ومن أولئك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنه يقول في نونيته:

وهـو الجـواد فجـوده عـم الوجـو د جميعـــه بـــالبر والإحســـان

وهـو الجـواد فـلا يخيـب سائـلا ولـــو أنـــه مـــن أمـــة الكفـــران

ولاشك أن هذا المعنىٰ في حق الله ﷻ ثابت لا ريب فيه، وهو دال أيضـًا علىٰ صفة الكرم والبِر له ﷻ.

«**الرؤوف**» ذو الرأفة، ومعنىٰ الرأفة: ألطفُ الرحمة وأبلغُها.

وبالتالي فيعود هذا الاسم إلىٰ معنىٰ اسمه تعالىٰ الرحيم، ولكنه أخص منه، وهذا أيضًا يُذَكِّرُنا بما تكرَّرَ في الدروس الماضية، وهو أن بعض أسماء الله ﷻ أخص من بعض، وأن بعضها كالتفصيل لبعض.

إذن الله ﷻ متصف بالرأفة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقلنا: إن الرأفة في اللغة هي ألطف الرحمة وأبلغها، لكن قد يقول قائل: لماذا جُمع الاسمان في هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فهل المعنىٰ فيه تكْرار؟

الجواب: ليس ثمة تكرار، ولأهل العلم هاهنا توجيهات،من أبرزها أن يُقال: إن الله تعالىٰ بيّنَ رحمته المخصوصة ثم بين رحمته العامة، بيّن رحمته المخصوصة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ﴾ ثم بين رحمته العامة في قوله: ﴿رَّحِيمٌ﴾ فتكون هذه الآية دالةً علىٰ ثبوت الرحمتين، الخاصةِ البليغةِ والرحمةِ العامةِ.

وذهبت طائفة من أهل العلم إلىٰ أن هذين الاسمين لَمّا اجتمعا فإن اسمه الرؤوف يدل علىٰ دفع المضار، وأما اسمه الرحيم فإنه يدل علىٰ جلب الخيرات، وبالتالي فيكون اسمه الرؤوف من باب التخلية، واسمه الرحيم من باب التزكية أو من باب التحلية.

والمقصود أن الله ﷻ متصف برحمة عظيمة، بالغةٌ مبلغًا عظيمـًا لا يخطر علىٰ قلب بشر، حتىٰ إن النبي ﷺ بيّن أن الله ﷻ أرحم بعباده من الأم بولدها، وهذه رحمة عظيمة جدًا، فإنه لا يُعرف في الشاهد وفي الواقع رحمة أعظم من رحمة الأم بولدها، ورحمةُ الله ﷻ أعظم من ذلك وأعظم.

فهي إذن رحمة بالغة جدًا، الله ﷻ أنزل بين العباد رحمة واحدة، واختصَّ له ﷻ تسعة وتسعين رحمة، فانظر هذه الرحمةَ الواحدةَ التي يتراحم بها الخلائق أجمعون، حتىٰ إن الدابة لترفع حافِرَها عن وليدها بهذه الرحمة، حتىٰ الحيوانات نالها نصيب من رحمة

الله ﷻ التي أعطاها المخلوقات، فكيف برحمة الله العظيم ﷻ.

ولذا ما أحسن ما قال ابن مسعود رضي الله عنه:"والله ليغفرن الله يوم القيامة مغفرةً ما خطرت علىٰ قلب بشر"، وهذا ثقةٌ ويقينٌ برحمة الله ﷻ.

وقال سفيان الثوري رحمه الله:"لو خُيِّرْتُ بين أن يحاسبني ربي وأن يحاسبني أبي لاخترت أن يحاسبني ربي، ربي خير لي من أبي".

فانظر يا رعاك الله لو أن أباك هو الذي يحاسبك أتَراه يتوانىٰ عن رحمتك، واللهِ إن الله ﷻ لأرحم بعباده من الوالد بولده.

إذن لا يُسْتَكْثَرُ بعد هذا أن يكون الله ﷻ متصفا بصفة الرأفة، وأن يكون اسمه تعالىٰ الرؤوف ﷻ.

«الوهاب» اسمٌ جاء في كتاب الله وفي سنة النبي ﷺ﴿**إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ**﴾.

والوهاب صيغته صيغةُ مبالغة، يعني كثيرُ الهبة والعطايا، والله ﷻ شواهدُ نِعَمِهِ في الكون تدل علىٰ أنه ﷻ حقًا وصدقًا **«الوهاب»**، فهو يعطي العطاء الجزيل، ويَمُنُّ بالهبات ويكرم عباده ويرحمهم ﷻ، ويعطي السائلَ وغيرَ السائل، وذلك كلُّهُ مما لا يحتاج إلىٰ أن يذكر الإنسانُ عليه شواهدَ.

فكُلُّ ما في الكون من النعم ليس إلا هبةً من الله تبارك وتعالى، ولو شاء سبحانه أن يَحْجُزَ ذلك عن العباد لَفَعَلَ، لكنه سبحانه وهاب، يعطي عطاءً عظيمًا.

ومع كثرة ما أعطىٰ سبحانه وتعالى فإنّ خزائنه مَلأىٰ، لا يَغيضُها نفقة، فهو ﷻ ينفق منذ خلق السماوات والأرض وما فيهما، وما نَقَصَ ذلك من خزائن الله ﷻ، خزائنِ هباته وكرمه وجوده سبحانه وتعالى شيئًا، فهو إذن الوهاب.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

السميع لجميع الأصوات باختلاف اللغات علىٰ تفنن الحاجات.



الشَّرح

اسم الله «**السميع**» «**فعيل**» بمعنىٰ «**فاعل**»، وصيغة «**فعيل**» تدل علىٰ المبالغة، فهي أبلغ من صيغة «**فاعل**».

وهذا الاسم تكرر كثيرًا في كتاب الله وفي سنة النبي ﷺ، وهو دال علىٰ ثبوت صفة السمع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والسمع في صفات الله له معنيان:

المعنى الأول: إدراك الأصوات، وهذا هو المتبادِرُ إلىٰ الأذهان من كلمة سميع ومن كلمة سَمِعَ.

فالله عَزَّ وَجَلَّ يسمع كل صوت ولا يفوتُهُ صوت، كما قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فيما علق الإمام البخاري ووصله أحمد وغيرُهُ قالت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: "الحمد لله الذي وَسِعَ سَمْعُهُ الأصوات".

فالله عَزَّ وَجَلَّ له سمع واسع شامل، كل الأصوات له مسموعة تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، مهما دَقَّ هذا الصوتُ ومهما اختلفت هذه اللغات واللهجات، ومهما تفننت الحاجات فالله عَزَّ وَجَلَّ يسمع كُلًّا.

وهذا الوصف لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد جاء علىٰ أنحاء، جاء علىٰ صيغة فِعْلٍ ماض، وعلىٰ صيغة فعل مضارع، وعلىٰ صيغة الاسم، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾، إذن الله عَزَّ وَجَلَّ من أظهر صفاته الدالة علىٰ ربوبيته سبحانه أنه سميع، وأنه ذو سمع واسع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

تنبه هنا إلىٰ خطأ طوائفَ من أهل البدع أوَّلوا صفةَ السمع بالعلم، فقالوا: إنّ معنىٰ كون الله عَزَّ وَجَلَّ يسمع يعني أنه يعلم، ولاشك أن هذا باطل، وتحريفٌ للكلم عن مواضعه، فالسمع صفةٌ والعلم صفةٌ أخرىٰ، فليس السمع هو العلم، وهذا الذي ربما تجده في بعض الكتب أو التفاسير غلط، وتأويل وتحريف.

والصواب: أن الله ﷻ يسمع سمعًا حقيقيًا يليق به ﷻ، وأما العلم فصفة أخرىٰ.

وكل عاقل يدرك الفرق بين صفتي السمع والعلم، ولذا فالأصم يعلم أن الناس تتكلم، لكن هل يسمعهم ؟

لا، فالأصم يرىٰ بعينه ويدرك أن الناس تتكلم لكنه لا يسمع صوتهم، إذن ثمة فرق بين صفة السمع وبين صفة العلم، وتأويلُ صفة السمع بالعلم تأويلٌ باطل.

لماذا نحا هؤلاء إلى هذا المنحى؟

الجواب: فراراً من شُبهة التشبيه، يزعمون أن إثبات صفة السمع لله ﷻ يقتضي أن يكون الله ﷻ مشابهًا للمخلوق، وهذه شبهة عليلةٌ لا وجه لها، فإن سمعَ الله ﷻ مختص به، ولائق به، وسمعُ المخلوق مختص به ولائق به، فليس ثمة تشبيهٌ ولا تمثيلٌ.

فالله ﷻ سَمْعُهُ سمعٌ عام شاملٌ لكل الأصوات، وهو سمعٌ لم يُسْبَقْ بعدم ولا يَلْحَقُهُ فناءٌ ولا يطرأُ عليه خلل.

أما المخلوق فإنّ سمعَهُ سمعٌ ناقص وسمعٌ قاصر، و بَوْنٌ شاسعٌ بين سَعَة سمع الله ﷻ وقِصَرِ سمع المخلوق.

ثم إنه سَمْعٌ مسبوق بعدم، لم يكن الإنسان سميعًا، ثم جعله الله ﷻ كذلك، قال سبحانه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

إذن هو اكتسب السمع بفضل الله بعد أن لم يكن سميعًا، ثم إن هذا السمع يفنىٰ، إذا مات الإنسان فإن سمعه يذهب ويزول، ثم هو في الحياة معرّض لأن يطرأ علىٰ سمعه ما يُضْعِفُهُ أو يُذْهِبُهُ، فكيف يقال بعد هذا: إن سمعَ الله ﷻ إثباتُهُ يقتضي التشبيه.

كيف مع ثبوت هذا القَدْرِ الفارِقِ بين سمع الله وسمع المخلوق يُتوهَّمُ حصولُ التشبيه.

عائشة رضي الله عنها لما قالت:"الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات"، تريد أنها كانت في الحجرة التي فيها النبي ﷺ، والمجَادِلَةُ التي تجادل في شأن زوجها، حُجرةٌ صغيرة، ومع

ذلك كانت تقول: كان يخفىٰ عليَّ بعضُ كلامها، والله ﷻ سمع كلامها من فوق سبع سماوات.

فدل هذا علىٰ فرق شاسع وعظيم بين سمع الله ﷻ وسمع المخلوق.

إذن نعيد القاعدة التي ذكرناها: أهل السنة والجماعة يثبتون القدْر المشترك ويثبتون القدر المميِّزَ الفارِقَ، ثبوتُ القدْر المشترك يعني ثبوتَ الصفة وتُفْهَمُ في أصل وضعِ اللغة، فيفهمون معنىٰ كلمة سمع، فالسمع هو إدراك الأصوات، والله يسمع، والمخلوق يسمع.

ولكنْ بَوْنٌ شاسع بين السامع والسامع، وبين السمع والسمع، فمتىٰ ما أضيفتِ الصفة إلىٰ الله ﷻ انتهىٰ الاشتراك، وأصبح ما يليق بالله ﷻ من هذه الصفة مختصًا به، وما أضيف إلىٰ المخلوق فإنه مختص به والله ﷻ أعلم.

المعنى الثاني للسمع: هو الإجابة، سمع الله: يعني أجاب، ومنه قول المصلي في صلاته: «**سمع الله لمن حمده**» يعني أجاب الله حَمْدَ ودعاء من حَمِدَه ودعاه.

ومنه أيضا قول الله ﷻ: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ يعني مجيب الدعاء.

ومن ذلك أيضًا ما ثبت عن النبي ﷺ في الاستعاذة من الأمور الأربعة: «**اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن علم لا ينفع، ومن نفس لا تشبع**»، جاء عند مسلم «**ومن دعوة لا يستجاب لها**»، وجاء في السنن والمسند أنه قال: «**ومن دعاء لا يُسمع**».

فهل النبي ﷺ استعاذ من دعاء لا يُدْرِكُهُ سمع الله ﷻ؟ لا، إنما أراد: مِنْ دعاء لا يُستجاب له، ولذا يفسِّرُ هذه الروايةَ روايةُ مسلم، قال: «**ومن دعوة لا يستجاب لها**».

وأهل السنة والجماعة، أهل الحق، أهل التوفيق للصواب، يثبتون المعنيين لله ﷻ، فالله يسمع بمعنىٰ أنه يدرك الأصوات، والله سبحانه يسمع بمعنىٰ أنه يستجيب.

وإرادة أحد المعنيين في النص إنما يُرجَعُ فيها بحسب سياق كل نص.





قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

البصير الذي يبصر كل شيء وإن دق وصغر، فيبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة السماء، ويبصر ما تحت الأرضين السبع، كما يبصر ما فوق السماوات السبع.

الشَّرح

البصير اسم جليل دال على ثبوت صفة البصر لله جَلَّ وَعَلَا، والبصير أيضًا يدل على معنيين، يدل على صفة البصر، بمعنى إدراك الأشياء ورؤيتها والنظر إليها.

هذه ثلاث صفات متقاربة في المعنى، كلها ثابتة في حق الله جَلَّ وَعَلَا، البصر، وكم في كتاب الله من تسميته جل و علا بالبصير، وكذلك الرؤية ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾.

وكذلك النظر ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ عاقبهم الله عَزَّوَجَلَّ بأنه لا ينظر إليهم، إذن هذا دليل على ثبوت صفة النظر لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

إذن أهل السنة والجماعة يُثْبتون أن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يبصر كل شيء، ويرى كل شيء، مهما كان خفيًا أو دقيقًا، و مهما كان عاليًا أو كان سافلًا، فلا يمكن أن يُحْجَبَ شيء عن رؤية الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

والمعنى الثاني: هو البصير بمعنى الخبير بالأشياء، فالله جَلَّ وَعَلَا بصير بمعنى أنه خبير بالأشياء، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٌ﴾.

وهذا المعنى أشار إليه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر جملة في كلامه، وإن كان أشار إلى شيء خاص فيه، والمعنى العام هو اللائق بهذا الوصف الذي ذكرته.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأيضا سميع بصير بما يستحق الجزاء بحسب حكمته والمعنىٰ الأخير يرجع إلىٰ الحكمة.



الشَّرْح

الأمر أعم من مسألة الجزاء، فالله ﷻ له خبرة بالأشياء وعلم بها، سواءً كان ذلك في شأن الجزاء أو غيرِه، و كل ذلك مقترن بحكمته ﷻ.

لكنِ ارتباطُ هذا المعنىٰ الذي ذكره الشيخ باسم الله السميع محلٌّ بحث ونظر، ارتباطه باسمه البصير ظاهر، لكنِ ارتباطُهُ باسمه تعالىٰ السميع، هذا محل نظر ومحل بحث، ويحتاج إلىٰ تأمل، و إلىٰ من يكون قد سبق الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ ذِكْرِ هذا المعنىٰ، و الله تعالىٰ أعلم.





قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحميد في ذاته وأسمائه و صفاته وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها ومن الصفات أكملها و من الأفعال أتمها وأحسنها، فإن أفعاله تعالىٰ دائرة بين الفضل والعدل.



الشرح

اسم الله الحميد تكرّر وروده أيضًا في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ الحميد «فعيل» بمعنىٰ «مفعول».

ولاحظ أنه في اللغة إذا عُدِلَ باللفظ عن صيغة «مفعول» إلىٰ صيغة «فعيل»، فإنه يدل علىٰ ثبوت الصفة ورسوخِها، مثال ذلك: الحبيب والمحبوب.

محبوب يعني يُحَبُّ، اسم مفعول مِنْ أُحِبَّ يُحَبُّ، فهو مِنْ أُحِبَّ فهو محبوب، ولكنْ حبيبٌ أبلغُ من محبوب، فإنّ «حبيب» تدل علىٰ أنه يستحق أن يحب، ولو لم يكن هناك من يحبه.

وهذا أبلغ في تعلق المحبة بهذه الذات، كذلك الشأن في اسمه تعالىٰ الحميد، هو أبلغ مما لو قيل محمود؛ لأنه يدل علىٰ أنه يستحق الحمد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لذاته.

والحمد: هو الثناء علىٰ المحمود مع تعظيمه ومحبته وإجلاله.

والله جَلَّ وَعَلَا، هو الحميد هو الذي يستحق هذا الثناء مع عظيم تعظيمه وجليل محبته، وما إلىٰ هذه المعاني الثابتة له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والله سبحانه يُحْمَدُ من جهتين:

الأولى: من جهة إنعامه، فلإنعامه بل لكثرة إنعامه سبحانه فإنه يستحق الحمدَ والمدحَ والثناء.

ومن جهة أخرى: يستحق الحمدَ من جهة ما هو عليه من عظيم العظمة في ذاته وصفاته و أفعاله جَلَّ وَعَلَا، فهو يستحق الحمد علىٰ هذا ؛ لأنه العظيم ولأنه الجليل، ولأنه ذو الجلال والإكرام سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولو لم يكن قد أنعم.

وهذا مما يتفارق فيه الحمد والشكر، الحمد يكون علىٰ الصفات، والشكر لا يكون علىٰ الصفات، الشكر من هذه الجهة مختص بالإنعام.

أما الحمد فإن الشيء يُحْمَدُ إذا كان يستحق الحمد، ولو لم يكن منه عطاء ولو لم يكن منه إنعام.

فالله ﷻ محمود علىٰ الجهتين؛ لأنه يستحق ذلك لجلاله وجماله وعظمته، و لثبوت الكمال المطلق له تبارك وتعالىٰ في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله وفي أسمائه، إذن هو مستحق للحمد تبارك وتعالىٰ.

وثبوت الحمد يدل علىٰ أنه منزه من كل نقص ومن كل عيب، ومن كل سوء جل وعلا، فالشر ليس إليه تبارك وتعالىٰ، ليس إلىٰ ذاته وليس إلىٰ أسمائه وليس إلىٰ صفاته.





قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المجيد الكبير العظيم الجليل، وهو الموصوف بصفات المجد والكبرياء والعظمة والجلال الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء وأجلّ وأعلىٰ، وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفائه، قد مُلِئَتْ قلوبهم من تعظيمه وإجلاله والخضوع له والتذلل لكبريائه.

الشَّرح

انتقل المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ شرح جملة من أسمائه سبحانه الدالةِ علىٰ صفات المجد والعظمة له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بدأها باسمه سبحانه المجيد.

«والمجيد»: يُراد به معنيان متقاربان:

الأول: أنه ذو المجد، والمجد هو العظمة والسُّؤْدَد، فالله عَزَّ وَجَلَّ مجيد يعني ذو مجد.

والمعنى الآخر: أن الله سبحانه كريم جَلَّ وَعَلَا، فمجيد بمعنىٰ كريم، يعطي ويمنح ويتفضل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إذن هذا الاسم دل علىٰ صفتين: صفةٍ ذاتية، وصفةٍ فعلية له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولا شك أن كل معاني المجد والعظمة ثابتة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإذا كان ذلك كذلك فإنه يجب أن يُمجَّدَ ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وأن يكون في القلب أعظمَ ما يكون، فأعظم ما في قلب المسلم هو الله المجيد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وإذا كان كذلك فإنه يفوض الأمرَ إليه، ويتوكلُ عليه، ويستحضر معيَّتَه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

المؤمنُ كلما عَظُمَ تمجيدُه لله سبحانه، كلما كان أعظم توكلاً واعتمادا عليه جَلَّ وَعَلَا، كلما عظُم اعتمادك علىٰ الله، قَلَّ اعتمادك علىٰ غيره، وكلما عَظُمَتْ محبتك لله قَلَّتْ محبتك لغيره، وكلما عَظُمَ خوفك من الله، قَلَّ خوفك من غيره، وهكذا دوالَيْك.

خذها قاعدة يا رعاك الله: كلما عظَّمْتَ الله سبحانه قَلَّ في نفسك تعظيمُ غيره، وكلما ازداد خوفك منه جَلَّ وَعَلَا واعتمادُك عليه، قَلَّ في نفسك صرفُ هذه الأمور لغيره، والعكس بالعكس.

إذا قَلَّ خوفك من الله عظُم خوفك من المخلوقين، وإذا قَلَّت محبتك لله عظُمت محبتك لغيره، وهكذا.

وإيماننا باسمه تعالىٰ المجيد وتحقيقُنا لليقين بمعناه يقتضي منّا أن نكون دائمًا معتمدين علىٰ الله ﷻ لا علىٰ غيره.

وهذا موضعٌ سهلٌ باللسان، لكنه صعبٌ من جهة العمل، كثير من الناس لا يلتفت إذا دخل في أمر من الأمور المهمة إلا إلىٰ المخلوق.

تجده إذا كانت عنده قضية مهمة أو أراد أن يتابع معامَلَةً ما، تجد أنه أولَ ما يلتفت إلىٰ البحث عن إنسان يعينه ويساعده، يبحث، هل تعرف مساعداً ؟ هل تعرف واسطة ؟ هل تعرف شافعًا ؟ التفتَ قلبُهُ ابتداءً إلىٰ المخلوق، وكان الذي يجب إذا كان الله ﷻ في قلبه هو الْمُعظَّمَ والمُعتمدَ عليه، أن يكون اعتمادُهُ عليه ﷻ أولاً وآخراً، يثقُ بأن الله سبحانه سيكون معه، وسيعطيه مبتغاه ، وهذه هي الثمرات التي نَجْنيها بإيماننا بصفات الله ﷻ.



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الكبير.

الشَّرح

«الكبير» اسمٌ آخر لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فالله هو الكبير، وثبت هذا الاسم في الكتاب والسنة، فالله سبحانه هو الكبير، بل هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، هو الأكبر سبحانه في صفاته، وهو الأكبر في ذاته، وهو الأكبر في أفعاله، وهو الأكبر في شرعه وأوامره، وهو الأكبر في قلب المؤمن الصادق.

إذن كل معاني العظمة والكِبَرِ ثابتةٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والإيمان بهذا يقتضي من المسلم أن يكون الله جَلَّ وَعَلَا في قلبه أكبرَ من كل شيء، وأعظمَ من كل شيء.

وهذا ما جاءت الشريعة بحث المسلم علىٰ استحضاره دائمًا، فهو إذا جاء وقتُ الصلاة يسمع «الله أكبر»، الله أكبر من كل شيء، تذكر هذا يا أيها المسلم و قم إلىٰ صلاتك، إن كنت مشغولًا بدنيا أو بلهو، فاعلم أن الله أكبر من ذلك.

وإذا صليت فإنك تُذَكِّرُ دائمًا نفسك بأن الله أكبر، فَلِمَ تَلْتَفِتُ إلىٰ ما هو أقلُّ عظمةً من الله عَزَّ وَجَلَّ، بل تذكَّرْ أن الله أكبر، فلا تستحضرْ في قلبك إلا عظمته، ومَقامَكَ بين يديه، وتدبُّرَكَ لما يُتْلىٰ من كلامه، الله أكبر من كل شيء.

إذا كان هو الله هو الأكبر، إذن العلم به سبحانه يجب أن يكون أكبر من كل شيء، أكبرُ عناية لك ينبغي أن تكون متوفرة علىٰ معرفته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بأسمائه ونعوته وفِعاله وحكمته جَلَّ وَعَلَا في خَلْقه، يكون العلم بالله عَزَّ وَجَلَّ أكبرَ ما يكون منك حرصًا.

بعضُ الناس يعيش السنوات الطويلة في هذه الحياة، وربما يعلم أشياء كثيرة، لكنَّ العلمَ بالله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه وصفاته، لا تجد أنه يُشَكِّلُ عنده شيئًا كثيراً، تذكر يا عبد الله أن الله أكبر، إذن يجب أن يكون العلم به أكبر.

هذه من المسائل المهمة التي ينبغي أن نستحضرَها وأن نتذَكَّرَها، وأن نتذاكرَ فيها، فإن الغفلة عنها عظيمةٌ واللهِ.

الله سبحانه أكبر من كل شيء، يجب عليك أن تَقْدُرَهُ حَقَّ قَدْرِه، وأن تُعَظِّمَهُ حَقَّ تعظيمه.

أولئك الذين انحرفوا في أمور كثيرة تتعلق بصفات الله ﷻ، ما أُتوا إلا من عدم استحضارهم لكِبَرِهِ ﵎ وأنه أكبرُ من كل شيء.

تجد بعض الناس مثلًا يقول: إذا كان الله ﷻ يستوي علىٰ عرشه، إذن هو محتاج إلىٰ العرش.

سبحان الله العظيم!!

الله أكبر من كل شيء، العرش هو الذي يحتاج إلىٰ الله، العرش ما قام ولا حَمَلَهُ حملتُهُ، إلا بإعانته ﷻ وإمدادِه، كل شيء محتاج إلىٰ الله، والله ﷻ لا يحتاج إلىٰ أحد، بل هو الغني ﷻ.

إذن هذا الذي يقول مثل هذا القول ما قَدَرَ الله حق قَدْرِه، تجد أنه ينفي مثلًا نزول الله سبحانه إلىٰ سماء الدنيا كل ليلة، بزَعْمِ أنه إذا نزل إلىٰ أهل جهة فإنه يكون بعد ذلك نازلاً إلىٰ جهة أخرىٰ وهكذا، لأنه لم يزل هناك ثلثُ ليلٍ في كل الوقت بالنسبة للكرة الأرضية.

سبحان الله العظيم!!.

الله أكبر من كل شيء، ما هذه الكرة الأرضية بالنسبة لعظمة الله سبحانه، الكون كلُّهُ بسماواته وأرضه ليس بشيء أمام عظمة الله ﷻ وكِبَرِهِ، فكيف يُقال بعد ذلك: إن الله ﷻ إذا نزل، فإنه يلزم من ذلك أن يكون شيءٌ من المخلوقات فوقه، أو أنه يكون شيء من كونه قد احتواه تعالىٰ الله عن ذلك.

السموات والأرض ليست بشيء، كحبة خردل في كفِّ أحدنا، والشأن في حق الله ﷻ أعظم، الكرسي كما جاء في الحديث في العرش كحلْقة ملقاة في فلاة، والسماوات والأرض بالنسبة للكرسي كحلْقة ملقاة في فلاة، والكرسي في العرش كحلْقة ملقاة في فلاة، والله أعظم وأكبر من ذلك بكثير.

إذن الله ﷻ هو العلي الأعلىٰ، وهو المحيط بكل شيء، ولا يحيط به شيء.

إذن كل من يخوض في صفات الله تعالىٰ بالباطل ويورد عليها مثل هذه الإيرادات السخيفة، فإنه ما أُتِيَ إلّا من ضعف إيمانه بأن الله ﷻ هو الكبير الأكبر.

إذن استحضرْ هذا يا عبد الله، إذا كنت تعتقد أن الله أكبر من كل شيء، فكيف تتوجه بالعبادة إلىٰ غيره، سبحان الله!!، تتوجه إلىٰ مخلوق مثلك، وتترك الله الكبير العظيم الذي هو أكبر من كل شيء، سبحان الله.

هل أحد يقدر علىٰ أن يُجيبك ويعطيَك سُؤْلَكَ ؟! هل أحد بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يُجار عليه سوىٰ الكبير الأكبر ﷻ ؟!

إذن كيف يلتفت إنسان بدعائه، بذبحه، بطوافه، بنذره، بقصده لغير الله ﷻ، هذا ما أُتِيَ إلا لأنه لم يحقق الإيمان بأن الله هو الكبير بل الأكبر.

إذن يستقيم لك إيمانك وتَعَبُّدُكَ لله ﷻ، إنْ أعطيت هذا الاسم وأعطيت هذه الصفة حظَّها من التأمل والتدبر والإيمان.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العظيم.



العظيم قريب في المعنىٰ من المعنىٰ السابق، والعظمة صفة تدل علىٰ معانٍ كثيرة، فهو اسم جامع لنعوت كثيرة.

«العظيم»: هو الكبير، والعظيم هو ذو السُّؤْدَد، والعظيم هو ذو السلطان، والعظيم هو القوي.

إذن كل هذه المعاني ترجع إلىٰ ثبوت العظمة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والعظيم له معنيان:

الأول: أنه ذو العظمة، فهي إذن صفة ذاتية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإنه لم يزل ولا يزال ذا العظمة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والمعنى الآخر: أنه عظيم بمعنىٰ مُعَظَّم، «فعيل» بمعنىٰ «مفعول»، كما تقول: عتيق بمعنىٰ مُعْتَق.

إذن اللهُ عظيم بمعنىٰ أنه معظَّم، يعني هو الذي يستحق التعظيم، حقه سبحانه علىٰ كل المخلوقات أن يعظَّمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

و هو العظيم بكل معنىً يوجب التـ ـــعظيم لا يحصيه من إنسان

جميع أنواع التعظيم ثابتة لله سبحانه؛ لأنه أهلٌ لذلك، حقيقٌ به يستحقه سبحانه لذاته ولصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن تعظيم الله تعظيم أمره ونهيه، وتعظيم ما شرع، وتعظيم حرماته، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾، ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ إذا كنت تعتقد أن الله هو العظيم عظِّمْ أمره، وعظِّمْ نَهْيَهُ، وعظِّمْ شرائِعَهُ، وعظِّمْ سنةَ نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قابِلْ ذلك كلَّهُ بالتبجيل والاحترام والتقدير والتعظيم واعتقادِ الكمال.

هذا كلُّهُ ثمرةٌ لإيمانك بأن الله سبحانه هو العظيم، حذارِ حذارِ من الاستهانة والاستخفاف بشيء من شعائر الله عَزَّ وَجَلَّ وأوامره، أو بسنن نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عظِّمْ كلامَ الله، عظِّمْ سنةَ نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

متىٰ ما ورد عليك الآيةُ أو الحديثُ فقل: سمعًا وطاعة، علىٰ الرأس والعين، خذ ذلك بحفاوة، خذ ذلك بتعظيم، اعتقد أن هذا غاية الكمال، وأن هذا غاية ما يكون من الخير والهدىٰ والسداد، هذا كلُّهُ ثمرةٌ من تعظيم الله ﷻ.

ومما يجدُرُ ويَحْسُنُ أن يُنَبَّهَ عليه في مثل هذه الأيام، مع توفر الهمم ولله الحمد علىٰ تلاوة كتاب الله ﷻ، ينبغي أن نُذَكِّرَ أنفسَنا بقضيةٍ مهمةٍ لها تعلق بهذا الموضوع، ألا و هي: ضرورة تعظيم كتاب الله ﷻ، هذا المصحف يجب عليك يا أيها المسلم أن تُعَظِّمَهُ.

وأخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف عن إبراهيمَ النَّخَعِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال:"كانوا يقولون: عظّموا المصاحف".

والواقع أن قلةً من الناس يقع منهم شيء من عدم المبالاة بتعظيم القرآن، وهذا خطأ عظيم.

اعلم يا رعاك الله أن العلماء مُجْمِعون علىٰ أنَّ مَنِ احتقر القرآن وأهانه عامدًا ذاكِرًا فإنه قد ارتد عن دين الله، كأنْ يُلْقِيَهُ والعياذُ بالله في الخلاء، يعني في الحُشِّ، في دورة المياه، أو يَرْكُضَهُ برجله، وهو يعلم أنه كتاب الله، هذا يكفر والعياذ بالله بمجرد هذا الفعل، ودون ذلك أمورٌ نص العلماء علىٰ تحريمها أو علىٰ كراهتها، كلها تتنافىٰ و تعظيمَ القرآن، واحترامَ المصحف.

ومن ذلك ما ذكر العلماء ومما قد يُرىٰ من بعض الناس مع الأسف الشديد في بعض المساجد، أنهم إذا أرادا أن يَقْلِبوا أوراق المصحف، فإنهم أخذوا شيئًا من الريق أو البزاق ثم قلّبوا المصحف، وهذه رُعونة لا ينبغي أن يفعلها المسلم، هذا الفعل نص العلماء علىٰ أنه محرم، لأنه يتنافىٰ و تعظيمَ القرآن.

أيضًا مما نبّه العلماء علىٰ أنه من الأمور التي لا تنبغي وتتنافىٰ مع تعظيم القرآن، أن تضع أشياءَ علىٰ المصحف، ترىٰ في المسجد بعض الناس مثلًا يضع المصحف ثم يضع فوقه الجوال أو يضع فوقه النظارة، أو ربما وضع شيئًا من الطعام عليه، وهذا شيء لا يليق، لا يتناسب مع تعظيم القرآن.

أيضًا بعض الناس ربما يضع المصحف في مكان قريب من الأحذية، وقد رأيت هذا من بعض الناس، وهذا لا يليق يا رعاك الله، كيف تضع كتاب الله بجوار هذه الأشياء غير المناسبة.

بل نص كثير من العلماء علىٰ كراهة أن يضع الإنسانُ المصحفَ في الأرض؛ لأنه يشير إلىٰ شيء من اللّامُبالاة، وقد يُعَرِّضُهُ إلىٰ أنْ يوطَأَ أو يُتَخَطّىٰ، وكلُّ هذا شيء لا يليق أن يُتعامَلَ فيه مع المصحف.

ناهيك عما يقع من بعض الناس، و هنا أنبه إلىٰ ضرورة أنْ نُرَبِّيَ أبناءَنا علىٰ العناية بالمصاحف، مع الأسف الشديد إذا نظرت في المصاحف التي في دور التحفيظ مثلًا، في حِلَقِ القرآن في المساجد ونحوِها، تجد أن المصاحف شأنُها مع الأسف الشديد مُحْزِن، تجد تمزيقَها، تجد الكتابةَ عليها، تجد التخطيطَ بالأقلام، تجد أنَّ الغلافَ يكاد أن يهترئ أو يُنْزَعَ، وكلُّ هذا دليلٌ علىٰ أن هؤلاء الأطفال ما عُلِّموا ولا رُبّوا علىٰ تعظيم المصحف، علىٰ تعظيم كتاب الله سبحانه وتعالى.

فتَذَكَّرْ يا رعاك الله دورةَ العناية بتعظيم كلام الله، الذي في هذا المصحف هو كلام الله العظيم سبحانه وتعالى، فكيف لا تعظمه يا هداك الله.

فهذا من الأمور التي ينبغي أن نتنبه لها و أن نستفيدها من معرفتنا بهذا الاسم الجليل وهذه الصفة العظيمة، ألا وهي صفة العظمة واسم العظيم لله سبحانه وتعالى.





قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الجليل.

الشَّرح

«الجليل» ليس من الأسماء التي ثبتت في القرآن علىٰ خلاف شرط الشيخ، والشيخ كما قد عَلِمْنا نصَّ علىٰ أنه يريد انتقاءَ جملةٍ من الأسماء الواردة في كتاب الله، والجليلُ ليس منها، كما أنّ الجليلَ فيما أعلم لم يثبت في حديثٍ صحيحٍ عن النبي ﷺ.

جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في روايةِ تَعْدادِ الأسماء، كما عَلِمْنا سابقـًا أن قول النبي ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمـًا مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**»، حديث ثابت في الصحيحين، لكنّ الروايةَ التي فيها بعد ذلك تَعدادُ هذه الأسماء، هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم إلىٰ آخره.

هذه الرواية لا تصح، بل هي ضعيفة عند علماء الحديث، بل نقل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ إجماعَ علماء الحديث علىٰ أن هذه الزيادةَ مدرجة، وليست من كلام النبي ﷺ.

المقصود أنه في هذه الرواية جاء اسم الجليل وأنت قد علمت أن هذه الرواية لم تثبت.

لكنْ يبدوا والله أعلم أنّ مَنْ أثبت هذا الاسم من أهل العلم كابن القيم وغيرِه من أهل العلم، يبدوا أنهم أخذوا هذا الاسم من الاشتقاق، الاشتقاقِ من قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في اسم الجلال **«ذي الجلال والإكرام»**: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ كأنّ هؤلاء أخذوا هذا الاسم من الاشتقاق من هذا الاسم والله تعالىٰ أعلم.

علىٰ كل حال الجليل في معناه يعني الْمُعَظَّم، فهو معنىً قريبٌ من اسمه سبحانه العظيم.

الجليل: هو الذي يستحق التعظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العفو الغفور الغفار، الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفا، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفا، كل أحد مضطر إلىٰ عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلىٰ رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتىٰ بأسبابها، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾.

الشَّرح

هذه جملة أخرىٰ من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ابتدأها باسمه سبحانه العفو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ هذا اسم من أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دال علىٰ صفة العفو.

والعفو في اللغة: هو مَحْوُ الأثر، يقال: عَفَتِ الريحُ الأثرَ، يعني أنها أزالتْ ومَحَتْ الأثـرَ علىٰ الأرض.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو العفو، بمعنىٰ أنه يُسامِحُ ولا يؤاخِذُ علىٰ الـذنب، فهـو يمحـو أثـرَ الـذنب، ولا يُعاقب سبحانه مَنْ شاء من عباده جَلَّ وَعَلَا.

وعَفْوُ الله عَزَّ وَجَلَّ عفوٌ عظيمٌ ومغفرتُهُ مغفرةٌ كُبرىٰ، فالله عفوٌّ كثيرُ العفو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذا من الأسماء العظيمة التي تورث الرجاء في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والمحبة له جَلَّ وَعَلَا.

واستحضار الإنسان لهذا المعنىٰ يدعوه إلىٰ مقام الحياء من الله سبحانه، فالعبـد يـذنب والله جَلَّ وَعَلَا يعفو.

إذن هذا يضطرُّكَ يا أيها المؤمن إلىٰ أن تسـتحي مـن الله حـقَّ الحيـاء، فـالله يُمْهِلُـكَ ولا يَفْضَـحُكَ، ويسـتر عليـك ويعفـو عـن ذنبـك، إذن فَلْتَتَّـقِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، ولـتعظِّمِ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولْتَتَّـقِ ولْتَخْشَ منه، حتىٰ تكون جديرًا بهذا الذي يعاملك به ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أما الاسم الآخر الذي جاء في كلام الشيخ فهو «**الغفور**»، وكذلك:

«**الغفار**»، وكلاهما اسمان ثابتان لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الغفور: يعني الذي هو كثير المغفرة، «**غفور**» صيغة مبالغة من «**غافر**»، و«**غفَّـار**» أبلـغ،

كما جاء في القرآن أيضًا أنه «**غافر الذنب**».

إذن كل هذه الأسماء تدل على أن الله سبحانه و تعالى يغفر الذنوب ﷻ.

والمغفرة يدل معناها على السَّترِ والتغطية، ومنه يُقال: المِغْفَرُ الذي يغطى به الرأس في الحرب.

فمن هذا المعنى أُخِذَتْ هذه الكلمة «**المغفرة**»، يعني سَتْرُ الذنب والتجاوزُ والمسامحةُ والصفحُ من الله ﷻ.

وهذا لا شك أنه من الأمور العظيمة والتي تَمَدَّحَ ﷻ بها كثيرًا.

هذا الاسم الغفور جاء في كتاب الله كثيرًا، في مواضع زادت على التسعين موضعًا، وصفَ الله ﷻ نفسَهُ بأنه غفور، وسمّى نفسَهُ بهذا الاسم العظيم.

وإيماننا بهذا الاسم يقتضي منا: أن نرجوَهُ سبحانه وأن نحبَّهُ وأن نسعى للأسباب التي تكون مفضيةً إلى مغفرة الله ﷻ لنا.

وهذا كله يدعو إلى أن يستقيمَ الإنسانُ على طاعة الله ﷻ، وأن يُكْثِرَ من الحسنات، فإن مغفرةَ الله مغفرةٌ عظيمةٌ، مَنْ تأمَّلَ نصوصَ الكتاب والسنة، وَجَدَ أنها شيءٌ يفوقُ الوصفَ واللهِ.

في سنن الترمذي فيما يرويه نبينا ﷺ عن ربه ﷻ قال: «**يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عَنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم لو آتيتني بقُراب الأرض خطايا**»، يعني بما يَقْرُبُ من ملء الأرض، تخيّلْ هذه الأرض الواسعةَ الفسيحة، كلها ممتلئة من ذنوبك، «**لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة**».

إذن هذه مغفرة عظيمة جدًا، شيءٌ في الحقيقة يتحيَّرُ فيه اللُّبُّ من كثرة هذه المغفرة وعَظَمَتِها.

إذن هذا يدعونا إلىٰ محبَّتِهِ ورجائِهِ ﷻ، وأنْ نحرصَ علىٰ هذا الشرط المهم، أنْ لا نلقىٰ الله ﷻ بشيء من الشرك، فإنك إذا فَعَلْتَ ذلك يا عبد الله ما أبعدك عن مغفرة الله، وما أرجىٰ المغفرة في حقك إن لقيت الله سبحانه بتوحيدٍ خالصٍ لا شائبةَ للشرك فيه.

فتنبّهْ لهذه المسألة المهمة إن كنت ترجو مغفرةَ الله ﷻ.

وهنا مسألتان:

الأولىٰ: تتعلق بكلمة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جملته الأخيرة.




قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتىٰ بأسبابها.


الشَّرح

وعد الله ﷻ بالمغفرة لمن أتىٰ بأسبابها، وهذا حق ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾، ولكن ليس هذا فقط، بل قد يغفر ﷻ، حتىٰ لمن لم يأت بأسبابها، أعني مِنَ التوبة والاستغفار، فإن الله ﷻ قد يغفر للعاصي، ولو لم يستغفرْ ولو لم يَتُبْ ولو لم يُقْلِعْ، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ علىٰ استمرارِهِمْ علىٰ هذه المعاصي والظلم، فإن الله ﷻ قد يغفر لهم، ولكنْ هذه المغفرةُ تحت مشيئَتِهِ، اللهُ ﷻ لِمَنْ لَمْ يَتُبْ فإنَّ مغفرتَهُ متعلقةٌ بمشيئته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾أما من تاب إلىٰ الله فإنه يُقطع بأن هذا الذنب مغفور، لا لأنَّ العبدَ يوجبُ علىٰ الله شيئًا، بل لأنَّ الله وَعَدَ، والله لا يُخْلِفُ الميعاد أنْ يغفرَ لمن تاب، وأنَّ مَنْ تاب من الذنب فهو كَمَنْ لا ذنب له، كما جاء عن النبي ﷺ.

لكنْ أيضًا انتبهْ، لا تَجْزِمْ بأن ذنبك قد غُفِرَ؛ لأنك لا تدري أحقَّقْتَ شروط التوبة والاستغفار كما ينبغي أم لا، لكنْ ترجو الله ﷻ، وتُؤَمِّلُ وتَطْمَعُ في مغفرته ﷻ.

الأمر الثاني الذي ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام: هو ما قد يتبادر من السؤال عن الفرق بين العفو والمغفرة، العفو والمغفرة معنيان متقاربان يدل أحدهما علىٰ الآخر عند انفراد أحدهما بالذكر، أما إذا اجتمعا في سياق واحد كما في قوله ﷻ: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ **فما الفرق بين العفو والمغفرة؟ اختلف العلماء في هذه المسألة إلى أقوال:**

من أقوىٰ تلك الأقوال أنَّ العفوَ يتضمن الصفحَ عن الذنب وتركَ المعاقبة عليه، أما المغفرة فإنها تقتضي ما هو أعظم، وهو إقبالُ الله ﷻ علىٰ العبد ورضاهُ عنه، وأما الرحمةُ فإنها تقتضي ما هو أبلغ وأبلغ، إحسانَهُ سبحانه وبِرَّهُ بعبده، ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ .

إذن علىٰ هذا تكون المغفرة أبلغ أم العفو؟ لاشك أنها المغفرة.

وذهبت طائفة من أهل العلم إلىٰ أن العفو: هو إسقاط المؤاخذة علىٰ الذنب، ولكنْ قد يَسْبِقُ ذلك عقاب أو عتاب، وأما المغفرة فإنها تتنافىٰ والعقابَ والعتابَ.

وعلىٰ هذا فتكون المغفرة أيضًا أبلغ، ولكنْ هذا القولُ فيه ما فيه مما هو ظاهرٌ في ضعفه، فإنّ الجمع بين الأمرين في دعاء المؤمنين ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآ﴾ يتنافىٰ و قَصْدَ هذا المعنىٰ والله ﷻ أعلم.

ومن أهل العلم من قال: إن العفو يكون عن الكبائر و المغفرة تكون عن الصغائر، وعلىٰ هذا أيّ الصفتين أبلغ؟

العفو؛ لأن العفو يتعلق به مغفرةُ ما هو عظيم وهو الكبائر، بخلاف المغفرة.

وعلىٰ كل حال الأمرُ في هذه قريب.

بقي معنا مسألةٌ متعلقةٌ باسْمَيِ اللهِ العظيم **«العفو والغفور»**، ألا وهي أن **الله** ﷻ **يحب أسماءَه وصفاتِه، ويترتب على هذا أمور:**

أولًا: أن الله ﷻ يحب مقتضياتِ وآثارَ صفاتِهِ ﷻ، وهذا ظاهرٌ في النصوص في أدلة كثيرة، فالله جميل يحب الجمال، والله عفو يحب العفو، والله حَيِيٌّ سِتّير يحب الحياء والسّتر، والله وِتر يحب الوِتر.

إذن الله يحب صفاتِهِ ويحب مقتضياتِها وآثارَها.

ثانيا: الله ﷻ يحب أن يُسأل بهذه الصفات، ويحب مَنْ يعرفها، ومن يحمدُه ويَمْدَحُهُ عليها.

الأمر الثالث: أن الله ﷻ يحب من يتصف بمقتضيات صفاته المناسبةِ للمخلوق.

فالله ﷻ يحب أن يكون الإنسان متصفـًا بما يليق به، قال النبي ﷺ:**«ارحموا تُرْحموا واغفروا يَغفرِ الله لكم»**كذلك يقول ﷻ: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾**«الراحمون يرحمهم الرحمن»** كما قال ﷺ.

إذن تنبه إلىٰ هذه المسألة: فالله رفيق يحب الرفق، فاعمل بالرفق، والله رحمن يحب الرحمة فارحم عباد الله، والله عفو يحب العفو فاعف ليعفوَ عنك، والله عليم يحب العلم فتعلّمْ لأن الله يحب ذلك، الله قوي فكُنْ قويـًا في الحق، «**المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف**»، وهكذا.

إذن هذا من الأمر المهم الذي ينبغي أن نتنبّهَ له، ومما يتعلق بموضوعنا ما أخبر به النبي ﷺ عائشةَ ﵂، والحديثُ عند الترمذي بإسناد صحيح، أنها قالت: يا رسول الله أرأيتَ إنْ عَلِمْتُ أيةَ ليلةٍ هي ليلةُ القدر؟ فقال النبيﷺ: «**قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**».

وهذا الحديث يناسب أنْ نُذَكِّرَ أنفسَنا به ونحن في مطلع هذه العشر المباركة التي هي موطنُ ليلة القَدْر، فليلةُ القَدْرِ في إحدىٰ ليالي هذه العشر، وكلُّها مظنةٌ لأنْ تكونَ ليلةَ القَدْر، حتىٰ أول ليلة، يعني هذه الليلة التي نستقبلها اليوم، مظنةٌ أن تكون ليلةَ القدر؛ لأنها ليلةٌ وِترية، وثبت في السنة في عهد النبي ﷺ أن ليلة القدر كانت في إحدىٰ السنين ليلة إحدىٰ وعشرين.

إذن فلنجتهدْ ولْتَلْهَجْ ألسنتُنا بهذا الدعاء: "اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني".

سَلْ ربَّكَ العفوَ وتوسَّلْ إليه باسمه العفو، وصفتِهِ العَفْو، فما أجدرَ أنْ تُجابَ إلىٰ سُؤْلِكَ إنْ كان قلبُكَ صادقـًا، وإنْ كان لَجَؤُكَ صادقـًا إلىٰ الله ﷻ.

ويجدر هاهنا أيضًا أن أنبِّهَ إلىٰ أن بعض الناس إذا دعا هذا الدعاء قال:"اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني"، ولفظ الحديث «**اللهم إنك عفو تحب العفو**».

وأما اسمه الكريم فإنه مما يُدْعىٰ الله ﷻ به، لكنْ هذا ليس من لفظ الحديث.

وجاء في بعض نسخ الترمذي فيه: "اللهم إنك عفو كريم تحب العفو"، لكنَّ هذا اللفظَ لا أصل له، يبدو أنه مُقْحَمٌ من بعض النساخ، كما نبَّهَ علىٰ هذا بعضُ علماء الحديث، إذن لنجتهد في هذا الأمر.

وأيضًا نخرجُ بفائدةٍ مَسْلَكِيَّةٍ من معرفتنا لاسمه تعالىٰ العفو، وهو أننا نعفو ونسامحُ لاسيّما وأنّ هذه الأيامَ الفاضلةَ مظنةٌ لصلاح القلوب وتهذيب الأخلاق، فما أحسنَ أنْ يبادرَ الإنسانُ بالعفو والصفح والمسامحة؛ لأن هذه أسبابٌ لِكَيْ يَنالَ عَفْوَ اللهِ ﷻ وغفرانَهُ، «**ارحموا تُرْحموا واغفروا يغفرِ الله لكم**».

قال ﷺ كما عند مسلم في الصحيح: «**وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلّا عزًا**».

ولاحظِ التنكيرَ في قوله «**عِزّاً**» فهو عِزٌّ مطلق، يشمل عزَّ الدنيا وعزَّ الآخرة، وأولىٰ الناس بعفوك ومسامحتك وغضّ طَرْفِكَ أهلُ بيتك، زوجُك وأبناؤك ووالداك ومَنْ يلوذ بك من الإخوة والأصدقاء، ثم عامة الناس، عموم إخوانك المسلمين، عوِّدْ نفسَكَ هذا الخُلُقَ العظيمَ رجاءَ ثوابِ الله ﷻ.

إذا أردت العفو فاعفُ، إذا أردت المسامحة فسامح، إذا أردت المغفرة فاغفر، إذا أردت الرحمة فارحم، الله ﷻ يعاملك كما تعاملُ خَلْقَهُ، «**من نفَّسَ عن مؤمن كربةً نفّسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**» «**من فرّج عن مؤمن فرّج الله عنه يوم القيامة**» «**من أنظر معسرًا يسّرَ الله ﷻ عليه يوم القيامة**»، وهكذا، فالله لك كما تكون لعباده.

هذه بعض التنبيهات التي نختم بها الكلام عن اسميه الجليلين سبحانه ألا وهما «**العفو والغفور**».





قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

التواب الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين، فكل من تاب إلى الله توبة نصوحا تاب الله عليه، فهو التائب على التائبين أولا، بتوفيقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه، وهو التائب عليهم بعد توبتهم قبولا لها وعفوا عن خطاياهم.



الشرح

«**التواب**» اسم من أسماء الله الحسنى العظيمة التي جاءت في كتاب الله، جاء هذا الاسم في كتاب الله ستَّ مرات مقرونـًا باسمه تعالى الرحيم،﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

والتواب في أسماء الله جَلَّ وَعَلَا هو كثير التَّوْب، التواب على صيغة المبالغة، يعني: كثيرُ التوب.

وهذه الصفة تدل على أمرين:

الأول: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو التواب بمعنى أنه الْمُوَفِّقُ للتوبة.

وثانيًا: الله هو التواب يعني الذي يقبل التوبة.

إذن هذان المعنيان يشملُهما اسمه تعالى التواب، وتوبةُ العبد محفوفةٌ بتوبَتَيْنِ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

توبةٌ قَبْلَ توبةِ العبد، وهي توفيق الله عَزَّ وَجَلَّ عبدَهُ إلى التوبة، وتحريكُ قَلْبِهِ إليها، وإلهامُهُ إياها، ولولا ذلك ما تاب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم يتفضلُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعد أنْ يتوبَ العبدُ بقَبول توبته، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ ولا أحدَ يقبلُ التوبةَ سواهُ جَلَّ وَعَلَا.

إذن هذان الأمران يدلّانِك على عظيم رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو الذي يُعِدُّكَ ثم يُمِدُّكَ، فهو الذي يهيِّئُك ثم يتفضّلُ عليك، وكل ذلك محضُ رحمةٍ وإحسانٍ منه تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

تأمَّلْ قولَ الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ لاحظ أنه كرّرَ التوبةَ مرتين، ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾

إذن التوبة الأولىٰ هي توفيقه سبحانه لأن يتوبوا، ثم تاب عليهم ثانيًا لأجل أنه قد قَبِلَ توبتَهُم.

كذلك في الآية التي بعدها وعلىٰ الثلاثة الذين خلفوا قال في خاتمتها ﷻ: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ تاب عليهم يعني وفقهم للتوبة ليتوبوا، فالله ﷻ هو التواب ابتداءً وهو التواب انتهاءً، وكل ذلك محضُ فضلٍ من الله ﷻ، وهذا دليلٌ علىٰ عظيم رحمته ﷻ، رحمةٌ عظيمةٌ وكرمٌ عظيمٌ من الرحيم الغفور التواب ﷻ.

فماذا بَقِيَ عليك يا أيها العبدُ إلا أن تُقْبِلَ إلىٰ الله سبحانه، وتجدِّدَ التوبةَ كُلَّ حين، ما أحوجَكَ يا عبد الله إلىٰ تجديد التوبة، واللهِ إنَّ الإنسانَ لهو بحاجة إلىٰ أن يُجَدِّدَ توبَتَهُ إلىٰ الله ﷻ كُلَّ يومٍ، بل كُلَّ ساعة، فما أعظمَ تقصيرَنا في حق الله ﷻ، تركًا للواجبات، وفعلًا للمحرمات، وتقصيرًا في أداء شكرِ الله ﷻ.

فما أحرانا واللهِ للتوبة، التوبةُ حقًا هي الوظيفةُ العُمْريّةُ لابن آدم، وهي أعلىٰ درجات التوفيق، أنْ يُوَفِّقَكَ اللهُ سبحانه للتوبة.

تأمَّلْ كيف أنَّ الله ﷻ مَدَحَ نَفْسَهُ بأنه تَفَضَّلَ علىٰ النبي ﷺ، وعلىٰ أصحابِهِ الكرام بأنْ تاب عليهم، متىٰ؟ بعد أن بذلوا كلَّ شيءٍ في سبيله، وجاهدوا في الله حق جهاده، وأعطَوْا الْمُهَجَ والنفوسَ والأموالَ في سبيله، فكان ثمرةُ ذلك وجزاؤُهُ أنْ تفضَّلَ اللهُ سبحانه عليهم بالتوبة.

فنحن بحاجةٍ ماسَّةٍ يا أيها الإخوة إلىٰ أن نتوبَ إلىٰ الله ﷻ، لاسيما ونحن في شهر رمضان الذي هو شهر التوبة.

التوبةُ مَخْرَجُكَ الوحيدُ يا عبد الله، فإنّ التوبةَ هي الشيء الوحيد الذي يُكَفِّرُ جميعَ السيئات، بشرط أنْ تكون توبةً نصوحًا، التوبةُ النّصوحُ هي التي جمعت أمرين:

١) الإخلاص.

٢) والعموم و الشمول.

الإخلاص: تكون توبتك لله ﷻ لا غير، تريد بها وجهَ الله سبحانه، لا رياءَ ولا سُمْعَةَ ولا شرك، ثم أنْ تكونَ توبةً عامةً مستغرقةً لجميع الذنوب.

إذا لقيتَ الله ﷻ بتوبةٍ نصوح، فأبشِرْ بمغفرة الله ﷻ، فالله سبحانه وعد عباده بأن يغفر لهم الذنوب جميعًا، ويقبلَ منهم توباتهم ويمحوَ عنهم حَوْباتهم، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، فالبَدارَ البَدارَ إلىٰ التوبة، والجِدَّ الجِدَّ في الحرص علىٰ أن تكون هذه التوبة توبة نصوحًا، خالصةً مستغرقةً لجميع الذنوب.

وهذا الأمرُ سهلٌ باللسان، لكنه في الحقيقة والواقع يحتاج إلىٰ أن يكون عند الإنسان همةٌ عاليةٌ وجِدٌّ وتجرُّدٌ لله ﷻ.

ربما يتوب الإنسانُ عن بعض الذنوب، لكنْ أنْ يعزمَ عزمًا صادقًا علىٰ أن لا يعود لأي ذنب، مع نَدَمِهِ الجادِّ علىٰ كُلِّ ما سلف، وأنْ لا يعودَ إلىٰ شيء من هذه الذنوب ألبتة، هذا أمرٌ يحتاجُ إلىٰ مجاهدة، فالنفوس مَيّالةٌ إلىٰ الشهوات، ووظيفةُ العبد في هذه الحياة، أن يجاهدَها، حتىٰ يلقى الله ﷻ.

وأعظمُ ركن في التوبة: هو الندم، حتىٰ إنه قد جاء في مسند أحمد بسند حسن أن النبي ﷺ قال: «**الندم توبة**».

فهذه أهمُّ قضيةٍ في التوبة، أن يكون منك ندمٌ حارٌّ، وأن يكون في قلبك ألمٌ يعتصرُ علىٰ ما سلف منك من الذنوب والعصيان، وانتبهْ فالذنوب والعصيان ليست هي المفعولاتُ فقط، بل المتروكاتُ أيضًا.

فما اجْتَرَحَتْهُ يداك من السيئات ذنبٌ تحتاج أن تتوبَ منه، وما تَرَكْتَ من الواجبات أيضًا ذنبٌ تحتاج إلىٰ أن تتوبَ منه.

إذن هذا الندمُ هو أهم أركان التوبة.

والأمر الثاني: أن تتركَ الذنب فورًا إذا كنت قائمًا عليه، فإنّ الإصرار علىٰ الذنب والتوبةَ متنافيان، لا يمكن أن يَلْتَقِيا، لا يمكن أن يكونَ الإنسانُ تائبًا وهو قائم علىٰ هذا الذنب.

والأمر الثالث: أن يكون عازمًا علىٰ أن لا يعودَ إلىٰ هذا الذنب مرة أخرىٰ ألبتة.

شـروط تـوبتهم إن شـئت عدتهـا ... ثلاثـة ذكـرت فـاحفظ علـىٰ مهـل

إقـلاعه نـدم وعـزمه أبـدًا ... أن لا يعـود لمـا منـه جـرىٰ

وقلـي إن كـان توبتـه مـن ظلـم صـاحبه ... لابـد مـن رده الحـق علـىٰ عجـل

هذا شرط رابع: إن كان عليك حقوقٌ للعباد، فلا تكون توبتك إلا بأنْ تَرُدَّ الحقوقَ إلىٰ أهلها.

هذا اسمه تعالىٰ «**التواب**»، وهذا هو أثرُ إيمانك بهذا الاسم العظيم، أن تبادرَ إلىٰ التوبة، وأن تعتقدَ أنَّ توبةَ الله عظيمةٌ، وأنّ الله لا يُعْجِزُهُ أن يعفوَ عن أيِّ ذنبٍ مهما كَبُر، ومهما كثُرَتِ الذنوب، فتوبةُ الله سبحانه أوسعُ من كل ذنب.

حتىٰ إنّ الله ﷻ عَرَضَ التوبَةَ علىٰ أناس بارزوه بأعظمِ المسبة، وهم النصارىٰ ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥ﴾، مع أنهم سَبّوهُ سَبًّا عظيمًا، حينما نسبوا إليه الوَلَدَ وهو أمرٌ عظيم، ومع ذلك اللهُ ﷻ يَعْرِضُ عليهم التوبةَ، ومِنْ ثَمَّ أنْ يتوبَ ويغفرَ.

فكيف بك يا عبد الله وأنت مسلمٌ آمنت بالله ووَحَّدْتَّهُ، واتّبَعْتَ نبيَّهُ ﷺ.

أنبّهُ إلىٰ خطأٍ يقع فيه بعضُ الناس وهو أنهم يُسَمّونَ اللهَ ﷻ بالتائب، وربما عبّدوا لهذا الاسم، يقولون: عبد التائب، وهذا ليس بصحيح، بل يسمىٰ الله بما سمّىٰ به نفسَهُ، فيقال: عبد التواب ولا يقال عبد التائب.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

القدوس السلام أي المعظَّم المنزه عن صفات النقص كلها، وأن يماثله أحد من الخلق، هو المتنزه عن جميع العيوب، والمتنزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال، ليس كمثله شيء ولم يكن له كفوا أحدا، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾، ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ فالقدوس كالسلام ينفيان كل نقص من جميع الوجوه، ويتضمنان الكمال المطلق من جميع الوجوه، لأن النقص إذا انتفىٰ ثبت الكمال كله.

الشَّرح

هذان اسمان متقاربان في المعنىٰ «**القدوس والسلام**»، القدوس جاء في كتاب الله في موضعين، في آخر الحشر ومَطْلَعِ الجمعة، القدوس من القُدْس أو القُدُس، والقُدْس: الطُّهْر والنزاهة، ومنه قيل: روح القدس جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومنه بيت المقدس أو مدينة القدس، ومنه قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾، علىٰ قولين لأهل التفسير: المقدسةُ يعني المطهرة أو المقدسةُ بمعنىٰ المباركة.

إذن القدس: هو النزاهة والطهارة، وعليه فالقدوس هو الذي يتنزه سبحانه عما لا يليق به، **والذي لا يليق به أمران:**

الأول: كل نقص وعيب وشر.

والثاني: ينزَّهُ عن مماثلةِ غيرِهِ في كماله.

إذن ينحصر تنزُّهُ اللهِ سبحانه عن أن يكون لَحِقَ به أمران، الأول: كل نقص وعيب وشر، فالله سبحانه له الكمالُ المطلقُ من جميع الوجوه، والشر ليس إليه جَلَّ وَعَلَا، كما قال أعلم الخلق به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والشر ليس إليك**».

الشر ليس إلىٰ الله، لا إلىٰ ذاته، ولا إلىٰ أسمائه، ولا إلىٰ صفاته، ولا إلىٰ أفعاله، ولا إلىٰ شرعه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

لا شرَّ ولا نقصَ ولا عيبَ يلحق ربَّنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأيِّ وجهٍ كان.

الأمر الثاني: يُنَزَّهُ سبحانه عنْ أنْ يكون له مشارك في كماله، فالله ليس له ند، وليس له شريك، وليس له كفؤ، وليس له مشابه، وليس له مماثل، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾، ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾.

إذن هذان الأمران يجب أن تعتقدَهُما يا عبد الله في ربك ذي الجلال والإكرام سبحانه.

وتنبَّهْ إلىٰ أمر نبَّهَ إليه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ فيما سمعناه، وهو أنَّ كُلَّ نقصٍ تنزَّهَ الله عنه في الكتاب والسنة، فإنما يراد منه إثباتُ كمال الضد.

النقص الذي يُنْفىٰ عن الله عَزَّ وَجَلَّ هو منفي، والنفي عدم، والعدم ليس بشيء، والله لا يوصف بلا شيء، الله إنما يوصف بالكمال، فهو الذي فيه المدح، والله يحب المدح، ولا أحد أحبَّ إليه المدحُ منه جَلَّ وَعَلَا كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذن، إذا نفىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن نفسه ما لا يليق به، فالمراد إثبات كمال الضد، خذ مثلًا، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، لم؟ قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾.

إذن الله جَلَّ وَعَلَا عدمُ عَجْزِهِ راجعٌ إلىٰ كمالِ علمه و كمال قدرته، فلم يَكُنْ عَجْزُهُ سبحانه لأنه مثلًا لا يقبل الاتصافَ بالكمال، وإنما كان هذا لكمال علمه وقدرته.

تأمَّلْ مثلاً قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾ يعني لا يَشُقُّ علىٰ الله حفظ السماوات والأرض لم؟ لاحظوا التعقيب ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ فَلِعُلُوِّهِ سبحانه عُلُوَّ القَدْرِ وعُلُوَّ القَهْرِ وعُلُوَّ الذات، ولعظمته فإن الله جَلَّ وَعَلَا لا يشُقُّ عليه حفظُ السماوات والأرض.

الله حينما نفىٰ عن نفسه ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ لم؟ لكمال حياته جَلَّ وَعَلَا، لأنه الحي القيوم سبحانه.

إذن تنبّهْ إلىٰ أنّ كلَّ نفيٍ جاء في النصوص، إذا كنت تقرأ في القرآن ومر بك شيء نفاه الله عن نفسه، اعلمْ أن هذا النفيَ يُراد منه إثباتُ كمال الضد له جَلَّ وَعَلَا.

مثلاً: الله ﷻ نفى الظلم عن نفسه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ﴾ لماذا؟ انتبه إلى أن الظلم ربما يكون نفيُهُ للعجز، أرأيت لو أن شخصاً ضعيفًا قال لشخص قويٍّ ذي سلطان: أنا لن أظلمك، هل يُعَدُّ هذا في حقه مدحًا؟ لا، لماذا؟ لأنه عاجز عن الظلم، هو نفى ذلك لأنه غير قادر، فلذلك لا يُمْدَح.

لكن لو انعكست القضية، قال القوي للضعيف: أنا لن أظلمك، هل هو مدح في حقه؟ نعم، لماذا؟ لأنه دليل على عكس هذه الصفة، وهي صفة العدل.

فالله ﷻ نفى عن نفسه الظلم لكمال عدله ﷻ.

إذن كلُّ نفيٍ جاء في النصوص يجب أنْ تَفْهَمَهُ على أنَّ المرادَ ليس مجرد النفي، إنما المراد إثباتُ كمال ضِدِّ هذه الصفةِ المنفية.

إذن هذا هو ما يتعلق باسمه تعالى القدوس، وقريبٌ منه في المعنى اسمه سبحانه «السلام»، الدال على السلامة منه ﷻ.

والسلام: أكثر العلماء يفسرونه بقريبٍ مما يفسرون به اسمَه القدوس، وهو أنه سَلِمَ من كل نقص وعيب وشر، وسَلِمَ من مشابهة غيره له.

وهذا كما ذكرتُ عليه أكثرُ العلماء، وبعضُ العلماء ذَكَرَ معنىً آخر، قال: السلامُ في أسمائه ﷻ، يراد به أنه ذو السلام، يعني المسلِّمُ على عباده، فإنه ﷻ يسلم على عباده في الجنة﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴾ .

كذلك سلَّمَ سبحانه على عدد من أنبيائه ﷻ، و صلى الله عليهم و سلم في كتابه، إذن السلام على هذا هو ذو السلام، يعني المسلِّمُ على عباده.

وبعضهم ذكر معنى ثالثًا، قالوا: السلام في أسماء الله ﷻ هو الذي سَلِمَ خَلْقُهُ من ظلمه، يَسْلَمُ العباد قطعًا من أن يظلمَهُمْ ﷻ في شيء ولو دَقَّ، اللهُ لا يظلم ولو مثقال ذرة.

إذن هذه الثلاثةُ معانٍ كلُّها صحيحةٌ، وكلُّها مما يَثْبُتُ لله ﷻ، وإنْ كان المعنى الأول هو الأكثرُ في كلام العلماء.

ونحن قد ذكرنا في درس سابق أنّ أسماء الله ﷻ يمكن أن يدل الاسم الواحد منها على معنين أو ثلاثة معانٍ أو ربما أربعة معانٍ وكلها حق، وكلها مما يثبُت له ﷻ، وهذا مما يدلك على أنها أسماءٌ حسنىٰ بالغةٌ في الحسن غايَتَهُ.

مما نستفيده مَسْلَكِيًّا في هذا الاسم أو من هذا الاسم: هو أن نعتقد أن الله ﷻ قد سَلِمَ من كل نقصٍ وعيبٍ، ومن مشابهةٍ للمخلوقين، أو مشاركةٍ له في كماله، كما أننا ينبغي أنْ نتخلَّقَ ونتَّصِفَ بمقتضىٰ هذه الصفة.

فالله ﷻ بما أنه السلام فإنه يحب السلام والسلامة، فَلْنَكُنْ سِلْماً لأولياء الله، سلاماً علىٰ عباده المؤمنين، يَسْلَمُ الناس من شرِّنا، يسلم الناس من ظلمنا، يسلم الناس من تَعَدّينا.

فالله كما قد عَلِمْنا قبل قليل يحب أسماءَه وصفاتِه، ويحب من يتصف بمقتضياتِ صفاتِه.

كما أنّ علينا أنْ نُكْثِرَ مِنْ ذكر اسمه ﷻ **«السلام»**، بأنْ نُلْقِيَ السلام علىٰ عباد الله، فإن هذا مما جاءت الشريعة بالحث عليه، قال النبي ﷺ والحديث في مسلم: «**لن تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتىٰ تَحابّوا، ألا أدلكم علىٰ أمر إذا فعلتموه تحابَبْتُمْ: أفشوا السلام بينكم**».

ما قال سلِّموا علىٰ بعض قال: «**أفشوا**»، الإفشاء يعني التكثير، أكثِرْ من السلام، احرص علىٰ أنْ تَبْذُلَ السلامَ لكل أحد، وهذه فرصةٌ لك وأنت في المسجد النبوي، وأنت في المدينة، إذا ذهبت إلىٰ مكة، ما أكثر الناس بين يديك ومن أمامك وحولك، سلِّم، وهذا من الأمور التي مع الأسف الشديد التي يُقَصِّرُ فيها كثير من الناس.

مع أنَّ قضيةَ السلام من أوائل ما حثَّ عليه النبي ﷺ لَمّا قَدِمَ المدينة ﷺ، لما هاجر إليها، أقبل الناس عليه، وكان فيما أقبل عليه عبد الله بن سَلَام رضي الله عنه، يقول: فكان أولَّ ما سمعت منه: يا أيها الناس أفشوا السلام.

أولُّ قضيةٍ قالها ﷺ «**أفشوا السلام وصِلوا الأرحام وصَلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام**».

فهذه قضيةٌ ينبغي أن نحرصَ عليها، في صحيح البخاري علق الإمام البخاري أثرا لطيفًا عن عمّارِ بنِ ياسر رضي الله عنه قال فيه:"ثلاث من جَمَعَهُنَّ فقد جمع الإيمان"، ثلاثٌ يعني ثلاثُ خِلال، من جمعها فقد جمع الإيمان قال:"منها بَذْلُ السلام للعالَم"، العالَم: يعني الناس، أن تَبْذُلَ السلامَ للناس جميعًا، وليس تُسَلِّمُ على صديقك أو مَنْ تعرفُ، وتتركَ السلام على غيره، بل تبذلُ السلام لكل أحد.

هذا دليلٌ على إيمان، دليلٌ على رحمة، دليلٌ على تواضع، لا ينبغي عليك أن تُفَرِّطَ في هذا الأمر العظيم.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العزيز الذي له العزة كلها؛ عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، فامتنع أن ينالَهُ أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة فخضعت لعظمته.

الشَّرح

«**العزيز**» وهو من الأسماء العظيمة التي كَثُرَ ورودها في الكتاب والسنة، وقد أورد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا الاسم ثلاثةَ معانٍ كلُّها حق، وكلُّها يتصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها، فالله جَلَّ وَعَلَا العزيزُ عزةَ القوة.

وفي اللغة «**العزيز**»: يُقال للقوي، وهذا له شواهدُ كثيرةٌ في أن العزيز هو القوي.

وكذلك من معاني «**العزيز**»: أنه الممتنعُ الذي لا يُنال بسوء، ولا يُدْرِكُهُ مكروه، ويشهد لهذا قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ فهو محفوظ لا يناله تغيير ولا يخالطه باطل.

وكذلك «**العزيز**» يأتي بمعنىً ثالث: وهو بمعنىٰ القاهر الغالب فهو يقهر ويَغْلِب، ولا يُغْلَب، ويشهد لهذا قوله سبحانه: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ يعني غَلَبَني.

إذن هذه المعاني الثلاثةُ كلُّها ثابتةٌ لله جَلَّ وَعَلَا، فهو سبحانه قد عَزَّ يَعَزُّ إذا قَوِيَ، وهو سبحانه عزيز من عزَّ يعِزُّ إذا امتنع، وهو سبحانه العزيز من عزَّ يعُزُّ إذا غَلَبَ وقَهَرَ.

هو العزيز فلن يرام جنابه	أنىٰ يرام جناب ذي السلطان
وهو العزيز القاهر الغلاب لم	يغلبه شيء هذه صفتان
وهو العزيز بقوة هي وصفه	فالعز حينئذ ثلاث معان
وهي التي كملت له سبحانه	من كل وجه عادم النقصان

فهذه المعاني الثلاثةُ ينتظمها اسمه «**العزيز**» ووَصْفُهُ بالعِزّة، فإن العزة لله جميعًا، فهو الذي له القوةُ المطلقةُ العظيمةُ، فلا أقوىٰ منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بل كُلُّ الخلائق ضعفاءُ أَذِلّاءُ أمام قوة

العزيز ﷻ، وهو العزيز الذي لا يُنال ولا يُرام جنابُه، ولا يُدْرِكُهُ أذىً، ولا يَصِلُ إليه مكروه من خلقه ألبتة، بل هو أعزُّ وأجلُّ من ذلك ﷻ.

وهو العزيز الذي يقهر من شاء، ويَغْلِبُ جميعَ خَلْقِهِ، فهو غالبٌ لا يُغلَب ﷻ، ولا رادَّ لقضائه وأمره، جلَّ في عُلاه.

إذن هذه المعاني الثلاثةُ جميعًا ثابتةٌ لله ﷻ.

وزاد بعض أهل العلم معنىً رابعًا: وهو أن العزيز هو الشيء النفيس النادر، يُقال: هذا عزيز يعني نفيسٌ نادر، وعلىٰ هذا المعنىٰ فالمراد هو أن الله ﷻ ليس كمثله شيء، فليس له مثيل، وليس له شبيه، وليس له نظير، وليس له مكافئ ﷻ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

إذن يتلخَّصُ لنا ممّا سبق أن اسم العزيز له ﷻ، يدل علىٰ هذه المعاني الأربعة، وكلُّها صفاتٌ ثابتة له ﷻ.

ومما نستفيدُهُ معشر المسلمين من ثبوت هذا الاسم لله ﷻ:

أولًا: أن إيمانَ المؤمن بأن الله ﷻ الذي هو ربه ومعبوده ووليه هو العزيز القوي القاهر الغلّاب يُكْسِبُهُ الطُّمأنينة، و يُكْسِبُهُ السكينة، و يُكْسِبُهُ اليقين بنصر الله ﷻ، فإذا كان الله معك، وإذا كان الله ناصرًا أولياءه، فأيَّ شيء يخاف المؤمن، وأيَّ شيء يَفْزَعُ منه، الإنسانُ في هذه الدنيا إذا أخبره مَنْ أخبره من سلاطين الدنيا وملوكِها مع أن سلطانهم وملكهم ناقصٌ قاصر، لو أخبره أنه معه وأنه لن ينالَهُ شيء ما دام تحت وِلايته، فإنه يكون مطمئنًا ساكنًا، مهما حصل له من المِحَن؛ لأنه يعلم أن هذا السلطانَ مَعَهُ، فكيف إذا كان الذي تولّاك هو ملك الأملاك، العزيز الذي لا يُقهر ﷻ، إذن هذا بعض ما يُفيده المسلم من إيمانه بهذا الاسم العظيم.

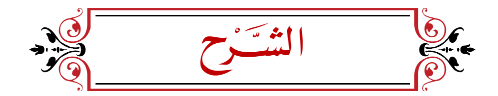
ثانياً: يستفيد الإنسان من إيمانه بهذا الاسم العظيم أن يعلم أن العزة لله تبارك وتعالى يعطيها من يشاء ويمنعها من يشاء ﴿يعز من يشاء ويذل من يشاء﴾، إذن من أراد العزة فليطلبها من الله جل وعلا لا من غيره، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ لا تُطلبُ العزة من غير الله، وأشنعُ من ذلك أن تُطلب من أعداء الله، ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ كيف تُطلَبُ العزة بموالاة أعداء الله، بل هذا سببٌ لحصول العكس، لحصول الذِّلَّةِ والانتكاسة، أما العزة فطريق نَيْلِها إنما هو الإيمان بالله والجِدُّ في طاعته، وأخبرنا جل وعلا ومن أصدق منه قيلا أن العزة له وللمؤمنين،﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وبالتالي فكلما كان الإنسان أكثر إيمانًا كلما كان أكثر عِزّاً، فليطلب العزة من الله، ولِيَسْلُكْ في سبيل تحصيلها طاعةَ الله تبارك وتعالى فإنه ينالها قطعًا، ومن طاعة الله التي حَثَّ سبحانه علىٰ لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب العزة من خلالها: خُلُقُ وصفةُ العفو، ففي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم: «**وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزاً**»، فإذا عفا الإنسان عن حقه وتنازل حيث يحسُنُ التنازل، فإن الوعد من الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوىٰ أن يجعل الله عز وجل له العِزّ، ولاحظ أنه قال هاهنا: «**عزاً**» هكذا بإطلاق؛ فيشمل ذلك عزَّ الدنيا وعزَّ الآخرة، والله تعالىٰ أعلم.





قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

القوي المتين هو في معنىٰ العزيز.



الشَّرح

ثم ذكر اسميه جَلَّ وَعَلَا «**القوي والمتين**» أما القوي فهو المتصف بالقوة، وأما المتين فالمتصف بالمتانة، والله قويٌّ متين، والقويُّ جاء في مواضعَ عديدةٍ في الكتاب والسنة، وأما المتينُ فقد جاء في موضعٍ واحدٍ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ جاء في موضعٍ واحدٍ في القرآن.

والقوي كما أسلفت هو ذو القوة، والقوة كمالُ القُدْرَة، والله جَلَّ متصفٌ بهذه الأمور الثلاثة، القدرةِ والقوةِ والمتانةِ، وبعضُ ذلك أبلغُ من بعض، فالقدرة تعني عدمَ العَجْز، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فكل شيء فالله جَلَّ قدير عليه، و لا يعجزه شيء في الأرض و لا في السماء، و الله سبحانه أخبر عن نفسه في آيات كثيرة بأنه ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وهذا عُموم محفوظ لا يُخَصُّ منه شيء ألبتة، كل شيء فالله عليه قدير، لكن قد يشاء حصولَه وقد لا يشاء، فهذا راجع إلىٰ حكمته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أما قدرته فإنها متناولة لكل شيء، ولا يُعجز قدرتَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شيء.

والقوةُ كمالُ القدرة ومنتهاها، إذن القوة أبلغُ من القدرة، والمتانة كمال القوة.

إذن نستفيد من هذا: أن أسماء الله وصفاته بعضُها أبلغ من بعض، بعضها من حيث المعنىٰ أبلغُ من بعض، وكلُّها بالغةٌ في الحُسْن والكمالِ غايَتَهُ، لكنَّ معانيها بعضُها أبلغُ من بعض، ولا ترادفَ في أسماء الله، ولا ترادف في صفات الله، فلا يمكن أن يكون معنىٰ هذا الاسم أو هذه الصفة هو معنىٰ ذاك الاسم أو تلك الصفة من كل وجه، إنما يكون هناك تقارب في المعاني، لكنْ علىٰ وجه الدقة فلا ترادفَ مطلقًا بين الأسماء والصفات، والمقصود أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو القدير، وسيأتي الكلام عن القدرة لاحقًا إن شاء الله، وهو القوي وهو المتين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والمتين كما أسلفت من المتانة، **المتين في اللغة:** يدل على الصلابة والارتفاع، فالمتين من الأرض: ما صَلُبَ وارتفع، إذن بهذا نفهم أن المتين هو الذي بَلَغَ في القوة المنتهىٰ، والله ﷻ كذلك دون شك.

فله القوة العظمىٰ المطلقة والقدرة التامة العامة الشاملة لكل شيء تبارك وتعالى، فلا يعجزه شيء، ولا يَرُدُّ أمرَهُ وقضاءَهُ شيء ألبتة تبارك وتعالى.

وإيمان المسلم بهذين الاسمين يُكسِبانه فوائدَ عدة:

أولاً: إذا آمن الإنسان بقوة الله تبارك وتعالى فإنه يَرْكَنُ إلىٰ حول الله وقوته، ويبرأُ من حوله هو وقدرته، فالقوة إنما هي عند الله، وإنما تُستمدُّ من الله، ولذا كان من كنوز الجنة أن يقول الإنسان: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإذا نوديَ إلىٰ الصلاة وحُثَّ عليها في الأذان وقيل له: حي علىٰ الصلاة، حي علىٰ الفلاح، أجاب المسلم بالبراءة من حوله وقوته والتفويضِ في ذلك إلىٰ الله ﷻ، فيقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلا قوةَ لك علىٰ شيء من أمر الدين أو الدنيا إلا بإمدادِ الله ﷻ وإعدادِهِ، فالقوة إنما تُستمدُّ من الله سبحانه وتعالى، فلا تغترَّ بنفسك ولا تغترَّ بقوتك، ولا تغترَّ بعملك، فالأمر كله لله تبارك وتعالى، فالقوة منه، والحول منه، وبالتالي فعليك يا عبد الله ألا تستعملَ قوتك في غير ما يحب الله تبارك وتعالى، إذا كنت ذا قوة، و إذا كنت ذا قدرة، فاعلم أن الله أقوىٰ منك، وأن الله أقدر منك، فإياك أن تتعدىٰ وأن تعتديَ علىٰ عباد الله.

في صحيح مسلم أن أبا مسعود البَدْريَّ رضي الله عنه كان يضرب بسوطٍ غلامًا له، فأقبلّ النبيُّ ﷺ عليه وهو لم يَرَهُ فقال: «**اعلم أبا مسعود**»، يقول: فلم أستبن الصوت -ما عَلِمَ أن هذا صوتُ النبي ﷺ-، فأعاد عليه الصلاة والسلام: «**اعلم أبا مسعود**»، يقول: فالتفتُّ، فإذا هو نبي الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**اعلم أبا مسعود أن الله أقدرُ عليك منك عليه**»، يقول: فقلت: إنه حرٌ لوجه الله، أَعْتَقَهُ لوجه الله سبحانه وتعالى، فالشاهد أن قوّتَكَ وقدرتَكَ إذا دَعَتْكَ علىٰ أنْ تَظْلِمَ، وعلىٰ أن تعتديَ، وعلىٰ أنْ تتجبَّرَ، فاعلمْ أنّ قوةَ الله أعظم، وأنك بين يَدَي الله سبحانه، وفي سلطانه، والله عليك قدير، فاحذر، وخَفِ المقام من الله، واعلمْ أنّ الله

قادرٌ علىٰ أن يَسْلُبُ عنك قوتَكَ في لحظة، فلا تتكبرْ ولا تَتبَخْتر، فأمرُك عند الله ﷻ هيِّن، أنت لا تُعْجِزُ الله، اللهُ قادرٌ أن يسلُبَ قوتك في لحظة، كم من الناس من كان يمشي علىٰ الأرض ويظن أنه لا أقوىٰ منه ولا أنشط منه، وإذا به في لحظة يصاب بحادث مثلاً فينقلب مشلولاً لا يتحرك منه شيء، سَلَبَ اللهُ ﷻ منه القوة، وربما ابتلاه ﷻ بما هو أعظم، بل ربما عاقبه بما هو أشد، ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي في حُلَّةٍ يتبختر بها تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ إذ خُسِفَ به فهو يَتَجَلْجَلُ في الأرض إلىٰ يوم القيامة**»، وصَدَقَ ﷺ، واللهِ إن هذا لحق، وهذا الرجل يتجلجل ويضطرب في الأرض إلىٰ يوم القيامة، فعلىٰ المسلم أن يتنبه وأن يحذرَ وأن يُسَخِّرَ قوتَه وقدرتَه التي أعطاه الله ﷻ إياها في طاعة الله سبحانه وتعالى.





قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الجبار هو بمعنىٰ العلي الأعلىٰ، وبمعنىٰ القهار، وبمعنىٰ الرؤوف الجابر للقلوب المنكسرة، وللضعيف العاجز، ولمن لاذ به، ولجأ إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



الشَّرح

الله جَلَّ وَعَلَا هو «**الجبار**»، وأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن ذلك في كتاب الله، وفي سنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ذلك ما جاء في آخر الحشر ﴿ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لاسمه تعالىٰ «**الجبار**» ثلاثةَ معانٍ كلُّها حق، وكلها ثابتة لله جَلَّ وَعَلَا،.

و كـذلك الجبـار مـن أوصـافه	والجـبر مـن أَوْصَافـه نوعـان
جبـر الضَّـعيف وكـلُّ قلـب قـد	ذَا كسـرة فـالجبر مِنْـهُ دَان
وَالثَّـانِ جبـر الْقَهْـر بالعـز الَّـذِي	لَا يَنْبَغِـي لسـواه مـن إنسـان
وَلـه مُسَمّـىٰ ثَالِـث وَهُـوَ الْعُـ	ـلو فَلَـيْسَ يـدنو مِنْـهُ مـن إنسـان
مـن قَـوْلهم جبـارَة للنخلـة الْعليـ	ـا الَّتِـي فَـاتَت لكـل بنـان

هذه ثلاثةُ معانٍ لاسمه تعالىٰ الجبار وكلُّها ثابتةٌ له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أولًا: أن الجبار بمعنىٰ الرؤوف، فهو الذي يجبُرُ قلوبَ المنكسرين، و يرأف ويرحم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا لا شك فيه ولا ريب، فالله جَلَّ وَعَلَا هو الرؤوف، هو أرحم الراحمين، هو بالناس سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رؤوف رحيم.

ثانياً: بمعنىٰ القهار فهو الذي يقهَر ولا يُقهَر، هو الذي يَغلب ولا يُغلب، وهذا أيضًا حقٌ وثابت، ومنه نفهم أن اسم الجبار من أسماء التعظيم، حتىٰ إن ابنَ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإن كان أورد في "النونية" كما أسلفت المعنىٰ الأول الذي ذكرته وهو الرؤوف، لكنه في كتاب آخر وهو "شفاء العليل" نازعَ في أن يكون اسم الجبار دالاً علىٰ معنىٰ الرؤوف، وأنه يجبُر الكسير، ويُغني الفقير، يقول: هذا لا يتناسب مع اسمه الجبار، بل الله جَلَّ وَعَلَا هو الجبار بمعنىٰ مَنْ له القهر والعظمة، فهذا الذي يتناسب مع هذا الاسم، وهذا الذي ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ليس بذاك القوي، بل إذا أمكن أن يشملَ المعنىٰ في الاسم من الأسماء الله جَلَّ وَعَلَا عدةَ معانٍ وكلها

حق، ولا تَدافُعَ بينها، فإنه لا حرج في أن تُثْبَتَ جميعًا لله ﷻ، فكلامه في "النونية" فيما يظهر أقوىٰ وأبلغ، ولا مانع من أن يُقال: إن الاسم من أسماء الله في سياقٍ يُراد به معنىً لا يُراد في سياقٍ آخر، فإذا كان ورودُ اسمه الجبار مع العزيز ومع المتكبر في سياقٍ لا يتناسبُ مع معنىٰ الرؤوف فإنّ هذا لا يمنعُ أنْ يكونَ في سياقٍ آخرَ يناسب، والمقصودُ أن هذا الاسم يدلُّ علىٰ قَهْرِ الله ﷻ وعَظَمَتِهِ ﷻ، وكان من دعائه ﷺ، ومن ذِكره في الركوع والسجود كما عند أبي داود والنَّسائي وغيرِهما بإسناد صحيح أنه كان يقول ﷺ في ركوعه وسجوده: «**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**»، فهذه المعاني متقاربة، فالله ﷻ له الجبروت، يعني له القهر والعظمة ﷻ.

ثالثاً: العلي، مَنْ له العلوُّ المطلق ﷻ.

من قَوْلهم جبارَة للنخلة الْعليا	الَّتِي فَاتَت لكل بنان

فالعالي يُقال له: جبار، والله ﷻ كما مرَّ معنا فيما مضىٰ من اسمه العليّ والأعلىٰ ثبت له العلو المطلق، فهو فوق كل شيء، وكلُّ شيء دونه وتحته ﷻ، وهو الذي في العلو المطلق ﷻ، وهذه القضية دل عليها أدلة كثيرة جدًا بلغتِ المئاتَ بل أكثر.

يا قومنا والله إن لقولنا	ألفًا يدل عليه بل ألفانِ
عقلاً ونقلاً مع صريح الفطرة الأ	ولىٰ وذوق حلاوة القرآنِ
كلٌّ يدل بأنه سبحانه	فوق السماء مباين الأكوانِ
أترون أنا تاركون ذا كله	لجعاجع التعطيل والهذيانِ

فمن كان يعتقد أن الله ليس في العلو المطلق، من كان يعتقد أن الله في كل مكان، أو كان يعتقد أن الله ليس في مكان، بمعنىٰ ليس في داخل العالم ولا في خارجه، ولا فوقَ ولا تحتَ، ولا عن يمينٍ ولا شمالٍ، فإنه لم يؤمن باسمه تعالىٰ الجبار، ولا باسمه العلي، ولا باسمه الأعلىٰ، ولا باسمه الْمُتعال، إنما مَنِ اعتقد أن الله عالٍ علىٰ خلقه، محيطٌ بكل شيء، مستوٍ علىٰ عرشه، فهذا هو الذي آمن بهذه الأسماء وغيرها.

إذن هذه المعاني الثلاثةُ ثابتةٌ لله ﷻ، في اسمه «**الجبار**».

وذكر بعض المفسرين معنى رابعًا: ألا وهو «**أن الجبر: بمعنىٰ الْمُلْك**» والجبار هو الْمَلِك، وهذا جاء قليلاً في الشواهد العربية، كما جاء في شعر ابن الأحمر قال: و أنعم صباحًا أيها الجَبْرُ «**يعني الملك**».

وبعضهم يقول: لا، الجبر هنا بمعنىٰ الرجل.

المقصود أن هذا المعنىٰ قليل، وشواهده قليلة في اللغة، وهو قريب من معنىٰ العظيم والقاهر، وإذا صح لغةً فإنه لا مانعَ من إثباته لله تبارك وتعالى في هذا الاسم.

ومما يستفيده المسلم من إيمانه بهذا الاسم العظيم له تبارك وتعالى:

أن يعلم أن الجبروت لله وصفٌ له سبحانه وتعالى، فيفيد هذا التعظيم، ويفيد الخوف، فالله عز وجل هو القاهر العظيم سبحانه وتعالى، الذي هو شديد الانتقام، فخَفْ يا عبد الله من ربك، وعظِّمْ ربك، ولُذْ بربك، وإياك أنْ تبارِزَهُ بالعصيان، فمن الذي يستطيع أن يجاهِرَ الله جل وعلا الذي له الجبروت المطلق بالعصيان والمعاداة، سبحان الله العظيم ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ وبالتالي يَعلمُ أنَّ اتصافَهُ هو بالجبروت والتجبُّرِ علىٰ الناس وصفٌ مذموم، ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**يُحْشَرُ الجبّارون المتكبرون يوم القيامة كأمثالِ الذَّرّ**»، الذر: صغار النمل، «**يطؤهم الناس**»، أو قال: «**يغشاهم الذل من كل مكان**»، إذن هذه عقوبةٌ لمن يتجبّر، لأن الجبروت للمخلوق ظلم، الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، فلأيِّ شيء تتجبر، وأنت عبد، وأنت فقير، وأنت ذليلٌ لله، وأنت ضعيفٌ أمام قوّته، فالجبروت بالنسبة لك: ظُلْم، وضعٌ للشيء في غير موضعه، أنت تَضَعُ نفسَكَ في غير محلِّها، وهذا ولا شك مذمومٌ.

أيضًا الجبروت في المخلوق يقاربُهُ ويُصاحبُهُ الظلم، يُصاحبه التعدي، يُصاحبه عدم إعطاء أهل الحق حقوقهم، ولهذا أيضًا كان مذمومًا في العبد، أما الله تبارك وتعالى فإنه وإن كان الجبارَ الذي له الجبروت إلّا أنه سبحانه الرحيم، وهو أيضًا الحكيم، وهو أيضًا الحميد، فجَبْرُهُ وجَبَروتُهُ سبحانه وتعالى منزه عن كل نقص وعيب، بل هو جبروتٌ عظيم دال علىٰ مدحٍ لا

يُخالِطُهُ أدنىٰ سوء، وبالتالي فهذا من الأسماء والمعاني المختصة بالله ﷻ، والتي لا يُناسِبُ أنْ يكون للمخلوق منها نصيبٌ ولو في القَدْرِ المشترك، بخلاف غير ذلك من الأسماء التي تتناسب معانيها والمخلوق، وقد ذكرنا سابقًا أنّ الله تعالىٰ يُحِبُّ أن يتصف العبد بمقتضىٰ صفاته التي تناسبه، فالله ﷻ قوي، والمؤمن القوي خير وأحب إليه ﷻ، والله وِتر يحب الوِتر، والله رحيم ورحمن والراحمون يرحمهم الرحمن، إلىٰ غير ذلك من هذه المعاني، وذلك لأنها مناسبة للمخلوق، أما الجبار والمتكبر والبارئ والخالق والخلّاق وأمثالُها فإنها غير مناسبة للمخلوق، وبالتالي فإنه لا يصح أن يتصف بمقتضىٰ هذه الصفات، والله تعالىٰ أعلم.



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

المتكبر عن السوء والنقص والعيوب لعظمته وكبريائه.



المتكبر في أسماء الله جَلَّ وَعَلَا يدل على معنيين:

الأول: مَنْ له الكبرياء، والكبرياء بمعنىٰ العظمة، «**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**»، فهو معنىٰ يقرُبُ من معنىٰ العظمة وهو من أسامي التعظيم -كما ذكرت-.

والمعنى الثاني: أنه المتكبر الذي تكبَّرَ عن كل سوء ونقص وعن مشاركةِ غيره له في كماله، إذن يتنزه ويتكبر عن أمرين، عن كل نقص وعيب، وعن كل مشاركة في كماله من غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبالتالي يكون هذا الاسم علىٰ هذا المعنىٰ دالًّا علىٰ التنزيه والتسبيح، كما مَرَّ معنا الكلامُ في ذلك غيرَ مرةٍ في هذا الدرس.

والمقصود أن هذا الاسم علىٰ وزان الاسم السابق من جهة أنه لا يناسب المخلوقَ أن يتصف بمقتضاه؛ لأنَّ ذلك من الظلم الذي هو وضع الشيء في غير موضعه، والله أعلم.





قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الخالق البارئ المصور الذي خلق جميع الموجودات وبرأها وسوّاها بحكمته وصورها بحمده وحكمته وهو لم يزل ولا يزال على هذا الوصف العظيم.



الشَّرح

هذه ثلاثة أسماء جاءت على هذا النسق في آخر سورة الحشر «**الخالق، البارئ، المصور**».

أما الخالق: فهو المتّصفُ بالخَلْق، وجاء أيضًا «**الخلّاق**» ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾، والخلاق صيغة مبالغة، يعني الذي يُكْثِر الخلق، يخلُق خلقًا بعد خلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالله جَلَّ وَعَلَا هو الخالق والخلّاق، والمتصف بصفة الخلق.

والخلق يدل على ثلاثة معانٍ:

أولًا: وهو المتبادِرُ إلى الذهن: هو الإيجاد من العدم، فالله يوجد الأشياء بعد كونها معدومة، ينشئُها ويُبدعُها ويُحْدِثُها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا خالقَ غيرُه جَلَّ وَعَلَا على هذا المعنى، ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ وخلق كل شيء، ولا شك أن الله جَلَّ وَعَلَا هو الذي له الخَلْق، وهذا من أظهر وأكثر الصفات ظهورًا في النصوص وفي ملكوت الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والله جَلَّ وَعَلَا قد يخلق بواسطةٍ وقد يخلق بلا واسطة، يخلق بواسطةٍ كما خَلَقَنا بواسطة الوالدَيْن، ويخلق بلا واسطة كما خَلَقَ جَلَّ وَعَلَا آدم، ويخلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بلا واسطة بيده وقد يخلق بقول كُنْ، الله جَلَّ وَعَلَا قد يخلق بيده ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾، وقد يخلق بلا ذلك كما في قوله جَلَّ وَعَلَا ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ والمقصود أن الله جَلَّ وَعَلَا له الخَلْق على هذا المعنى.

أما المعنى الآخر: فهو الصُّنْعُ والتحويل من شيء إلى شيء، وهذا المعنى ثابتٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما أنَّ المخلوقَ قد يتّصف به، فهو يخلق بمعنى أن يُحَوِّلَ الشيءَ من حال إلى حال، كما قال جَلَّ وَعَلَا في حق عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ فهو خَلْقٌ بمعنى

تحويلٍ وتصيير، كما أنك أنت تصنع شيئًا من الطين، تصنع هيئةً معينة، فأنت تكون خالقًا بهذا المعنىٰ، صيّرْتَ الطين إلىٰ حالٍ أو هيئةٍ أخرىٰ، وعلىٰ هذا يُحمل قوله تعالىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾، فأثبت الله ﷻ الخَلْقَ له ولغيره، وإن كان أحسنُ هذا الخَلْقِ له ﷻ.

والمعنى الثالث: الخَلْقُ بمعنىٰ التقدير، وهذا معروف في اللغة كما قال زهير:

ولأنـــت تَفْـــري مـــا خَلَقْـــتَ وبعـضُ القـوم يخلـق ثـم لا يفـري

«**أنت تفري**»: يعني تُنْفِذُ وتُمضي، «**ما خلقت**»: يعني ما قَدَّرْتَ، «**وبعض القوم يخلق**»: يُقَدِّرُ ويُخَطِّطُ، ولكنه لا يفعل شيئًا، فالمقصود أن الله ﷻ لا شك أنه الْمُقَدِّر، الذي خلق وأوجد بتقديرٍ ﷻ، وهذا أيضًا يَشْمَلُهُ قوله تعالىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾، إذن قوله تعالىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾، يدل علىٰ معنيين؛ يدل علىٰ معنىٰ التقدير، ويدل علىٰ معنىٰ التحويل؛ تحويلِ الشيء من شيء إلىٰ آخر، أما الخلق بمعنىٰ الإيجاد من العدم، فإنه ليس إلا لله ﷻ، وصفٌ مختصٌ به لا يَشْرَكُهُ فيه أحدٌ ﷻ، لا في القَدْرِ الْمُشْتَرَك ولا في القَدْرِ الْمُخْتَصِّ، والمقصود أنّ إيمانَ المسلم بأن الله ﷻ هو الخالق من أعظم الأسباب التي تدعوه إلىٰ أنْ يوحّدَهُ ﷻ في العبادة، إذا كان الله ﷻ هو الذي خلقك فكيف تعبد غيره ؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ كأنَّ قائلاً يقول: يا رب ولماذا نعبدك ولا نعبد معك غيرك؟ فكان الجواب والتعليل ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾، إذن إذا كان الله ﷻ هو الذي خلق كان هو المستحقَّ للعبادة، وكانت عبادة غيره معه ظلمًا بل هو ظلم عظيم، ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ ، وضعٌ للشيء في غير موضعه، ويالله العجب ممن يعبد غير الله وهو يؤمن أن الله خالقُه، الله يخلقك وتعبد غيره! والله يرزقك وتشكر سواه! أنّىٰ يكون هذا في عقلٍ صحيح، هذا لا يقبله العقل، إذا كنت تعتقد أن غير الله ﷻ قد خلقك أو شارك في خلقك، أو أمدَّ الله بالعون في خلقك فاعبده، لك مندوحة في عبادته، توجَّهْ إليه بالدعاء والاستغاثة والذبح

والنذر وغير ذلك، أما أن يكون الله ﷻ هو الذي خلقك وتتوجَّهُ وتقصُدُ وتتعبّدُ غيرَه هذا لا يتأتّىٰ في العقول السليمة، لذا يقول تعالىٰ: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ بارئكم: خالِقِكُم، هو الذي يجب أن تتوب إليه، هو الذي يجب أن تقصُدوه وأنْ تَذِلّوا له ﷻ، وبالتالي فهؤلاء الذين يتوجّهون لأصحاب القبور ويعبدونها ويدعون أصحابَها ويلوذون بهم في المهمات والْمُلِمّات، ما آمنوا بأن الله هو الخالق، لو آمنوا بأن الله هو الخالق حقًا وصدقًا ما لجئوا لغيره، أين الإيمان بأن الله هو الخالق الخلّاق البارئ المصور من هؤلاء الذين فَسَدَتْ قلوبهم، فتوجّهوا لغيره ﷻ، كما يقول بعضهم:

إني أتيتك يا أبا الفتيان في خَطْبٍ ... أهاج القلب من حَسَراتِهِ
ما لي سواك أرومه في كشفه أو ... أرتجي إن ضقت من وثباته
عار عليك إذا تردُّ خويدمًا ... قصر الفؤادَ عليك في حاجاته

سبحان الله، ماذا أبقىٰ من عبوديته لله، هذا الآن يخاطبُ به البدوي، يخاطب به من يقولون له: السيد البدوي.

إني أتيتك يا أبا الفتيان في خَطْبٍ ... أهاج القلب من حَسَراتِهِ
ما لي سواك أرومه في كشفه أو ... أرتجي إن ضقت من وثباته

ما يعرف أحد يكشف الضر إلا صاحب هذا القبر «البدوي»، يا لله العجب، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ ﷻ.

عار عليك إذا تردُّ خويدمًا ... قصر الفؤادَ عليك في حاجاته

كل حاجاته وكل تعلقاته مقصورةٌ علىٰ صاحب القبر، سبحان الله! هل هذا آمن بخلق الله ﷻ، وبَرْئِه ﷻ.

أيضًا مما نستفيده من هذا المعنىٰ: إثباتُ أن الله ﷻ هو الخالق: نستفيد التفويض والتوكل علىٰ الله ﷻ، فإذا كان هذا الْمُلْك وهذا الكون اللهُ خالِقُهُ، إذن هو الذي يدبر

أَمْرَهُ، وهو الذي يُسَيِّرُهُ بمشيئته وحِكْمَتِهِ، فاطمئنَّ وسَلِّمْ لله وارْضَ بقضاء الله، واعلم أن الله ﷻ له الحكمةُ في كل ما كان مُقدَّرًا له ولو كان مُؤْلِمًا، وهذا هو حقيقة الإيمان بالقَدَر، وحقيقةُ الرضا والتسليم.

أما الاسم الثاني فهو «**البارئ**» فما الفرق بين الخالق والبارئ؟ لاحظ أن السياق جاء «**الخالق، البارئ، المصور**»، لأهل العلم كلامٌ طويلٌ جدًا في تفسير اسمه العظيم «**البارئ**»، **وخلاصة ذلك ومُحَصَّلُهُ يرجع إلى ما يأتي:**

أولًا: أن البارئ بمعنى الموجِدُ من العدم، وبالتالي يكون بمعنى الخالق، لكنْ يُشْكِلُ على هذا أن الترادفَ الحاصلَ بين الخالق والبارئ في آخر الحشر يدل على ماذا؟ على المغايرة في المعنى، العطف يدل على المغايرة، قال أهل العلم من أهل هذا القول: إنه إذا ذُكِرَ الخالق وحده أو البارئ وحده فأحدهما يدل على الآخر، أما إذا ذُكِرا في سياق واحد كآخر الحشر، فالخالق يدل على معنى التقدير، الله هو المقدِّر، ثم هو بارئٌ بمعنى أنه يُخْرِجُ الشيءَ الذي قُدِّرَ من العدم إلى الوجود، يعني الذي يُنْفِذُ ما قَدَّرَهُ ويوجِدُ ما قَدّره، إذن الخالقُ على هذا إذا كان في سياق واحد يكون بمعنى المقدِّر، ويكون معنى البارئ الموجدُ من العدم.

قال بعض أهل العلم، وهو قولٌ ثانٍ: إن البارئ هو الذي خَلَقَ الخَلْقَ بريئًا من التفاوت والنقص، ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ و هذا المعنى حقٌّ وصحيحٌ وثابتٌ لله ﷻ، فهو الذي أحسن كل شيء خَلَقَهُ، وأتقنَ كلَّ شيءٍ صَنَعَهُ ﷻ، قال بعضهم: إنّ البارئَ أخصُّ بخَلْقِ الإنسان، يعني أوجد البرية، بارئٌ أوجد البرية، والبرية أي الناس، من البرى، البرى في التراب ؛ لأن الإنسان خُلِقَ من تراب، إذن البارئُ خالقُ الناس، فيكون على هذا أخصَّ من الخالق، الخالق عام، والبارئ خاص.

وقالت طائفة أخرى قولاً قريبًا من هذا: وهو أن البارئ أخصُّ بخلق ما فيه حياة، قَلَّ أن يُقال في اللغة، أو في مجاري كلام العرب: إن الله برأ السماء والأرض، لكن يُقال: إن الله

برأ الناس وبرأ الحيوان، فهو خلق الحيوان، أي ما فيه حياة، ولـذا في صـحيح البخـاري قـال علي ﷺ:"والذي فلق الحبة وبرأ النَّسَمَة"، فهـو جعـل البَرْأَ للنسـمة للـروح، إذن هـذا مـن المعاني التي قيلت، وكلها على كل حال قريب ويدور في فلك معنى الخَلْقِ أو مـا هـو خَلْـقٌ خاص.

أما «الْمُصَوِّرُ» فهو الذي صَوَّرَ خَلْقَهُ كيف يشاء ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ والتصوير بمعنى التخطيط والتشكيل، الله ﷻ أعطى لكل مخلوق صورة، أعطى له شكلاً، أعطى له سمات، أعطى له خصائصَ، وسبحان الله العظيم.

هذا الاسم يا رعاك الله لو تأملته لوجدته كافيًا في إثبات ربوبية الله ﷻ، بل وألوهيته، اسمه المصور وصفته التصوير، سبحان الله العظيم، كم عدد الخلق منذ خَلْقِ آدم وإلى اليوم، آلافٌ مؤلّفةٌ لا يعلم عددَها إلا الله أو كما يقال باللسان العصري: مليارات المليارات، اليوم على وجه الأرض كم شخصًا موجوداً ؟ يقولون: سبعة مليارات، هل تجدون اثنان متشابهان من كل وجه في الصورة الظاهرة والصورة الباطنة، كم مساحة الوجه؟ مساحة صغيرة أليس كذلك؟ يعني ليست بشيء، ومع ذلك فالله صور كل إنسان بصورة تختص به، لا يَشْرَكُهُ فيها أحد، سبحان الله العظيم، يعني لو قَدَّرَ الإنسان أن شخصًا بلغ الغاية في القوة والإبداع والقدرة على النحت والرسم، وقلنا له:شَكِّلْ صوراً، كم سيشكل صور مختلفة ؟ عشرةً ؟عشرين؟ مئة؟ مائتين ؟ثم ؟هل يستطيع أن يأتي بشيء جديد؟ أما الله ﷻ فهو المصور، صور الخلق جميعًا في هذا الحجم الصغير أو هذا المكان والمساحة الضيقة بصورٍ يشاؤُها ﷻ، وهذا من عجائب صنع الله ﷻ، بل ما هو أعظم من ذلك، هذا المكان أضيق من الوجه، وفيه تشكيل وتخطيط يختص بكل إنسان منا، كل إنسان من هذه المليارات له تخطيط وتصوير وتشكيل يختص به، الذي يسمى البصمة، مَنِ الذي صنع هذا ؟ الصدفة أم الطبيعة العمياء الصماء الميِّتة؟! مَنْ هذا الذي يَقْدِرُ على هذا إلّا الخالق، العظيم، العليم، الحكيم، الكبير ﷻ، واللهِ إنّ إيمان الإنسان بهذه الصفة وبهذا

الاسم فقط كافٍ في إيمانه بربوبية الله ﷻ، بل و هو المستحق للعبادة، العلم الحديث اليوم يحدثنا عن شيء أبلغَ وأبلغَ، العلم الحديث يحدثنا عن بصمةٍ للعين، بل يحدثنا عن بصمة للصوت، يختص بها لا يَشْرَكُهُ فيها أحدٌ من الناس، بصمةٌ خاصة للصوت، مَنْ يَقْدِرُ علىٰ هذا إلا الخلاق العليم ﷻ، إذن لو تأملت يا رعاك الله في هذا الاسم وهذه الصفة العظيمةِ الجليلةِ لله ﷻ لعلمت أنّ الملاحدة أغبىٰ الخَلْقِ علىٰ الإطلاق، هؤلاء الذين ثارت ثَوْرَتُهُمْ وسارت سَوْرَتُهُمْ لا كثّرهم الله، والذين غزا تيّارُهم بلادَ المسلمين في هذا العصر علىٰ وجه الخصوص هم أغبىٰ الخلق، وهم أجهل الخلق، القضيةُ فيها خَلْقٌ، الله هو الخالق، يعني يوجِدُ من العدم، وهو البارئ الذي يوجد ما فيه روح، يَنْقِلُ الشيءَ من الموت إلىٰ الحياة، ثم يصوره كيف يشاء، بمقتضىٰ حكمته وعلمه ﷻ، من يقدر علىٰ هذا ؟ هل يمكن أن يكون هذا جاء عبثًا أو صدفةً أو بلا سبب كما يقول هؤلاء الملاحدة ؟ لا شك أن هذا خروجٌ عن كل معقول، فإيمانُكَ يا عبد الله بهذا يزيدُكَ تعظيماً لله ﷻ، ولذا تأمل قول الله ﷻ: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾، أنىٰ تصرفون عن هذه العجائب وعن هذه الغرائب التي فعلها الله ﷻ ؟! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ السؤال الآن لم؟ ما الحكمة؟ قال بعدها: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾، لنُظْهِرَ عَظَمَتَنا، وعِلْمَنا، وخَلْقَنا، وحِكْمَتَنا، هذه الأمور لا ينبغي أنْ تَمُرَّ عليك يا رعاك الله مرورَ الكرام، قِفْ عندَها، وأعط قلبَك ونفسَك وروحَك الحظَّ من ذلك، فإنه يُكْسِبُكَ إيمانًا عظيمًا، وكم نحن في غفلة عنه يا رعاكم الله، التأمل والتفكر في خلق الإنسان، وفي خلق الكون، وفي خلق السموات والأرض، لو عَدَدَتْ آياته والأمرَ به والحثَّ عليه في القرآن لوجدته كثيرًا جدًا، ومع ذلك فنحن في غفلة وانشغال ولَهَثٍ في هذه الحياة عن هذا التأمل والتدبر الذي يزيدك إيمانًا وتعظيمًا وعبوديةً لله العظيم ﷻ.





المؤمن، المؤمن الذي أثنىٰ علىٰ نفسه بصفات الكمال، وبكمال الجلال، والجمال، الذي أرسل رسله، وأنزل كتبه بالآيات والبراهين، وصدَّق رسله بكل آية وبرهان يدل علىٰ صدقهم وصحة ما جاءوا به.

الشَّرح

ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من أسمائه جَلَّ وَعَلَا «**المؤمن**» وكلام أهل العلم، وقد ذكر الشيخ فيما بعضه، يدور علىٰ أن المؤمن من الإيمان الذي هو: أبلغ من التصديق، أو من الأمان، كلام أهل العلم في تفسير هذا الاسم الجليل يدور علىٰ هذين المعنيين، ويتفرع عن هذين عِدةُ أقوالٍ عندهم.

فمما قيل في تفسير اسمه تعالىٰ المؤمن، أنه الذي يُصَدِّقُ الصادقين من عباده بما يُقيمُ من شواهدِ صِدقهم، كما أنه أرسل سبحانه الرسل وشَهِدَ لهم بقوله بصدقهم، وشهد لهم بفعله بصدقهم حينما أيّدهم بالمعجزات والآيات والبراهين، فهو إذن يُصدِّقُ الصادقين جَلَّ وَعَلَا.

وقال بعض أهل العلم: إن المؤمن هو الذي يُصَدِّقُ المؤمنين في إيمانهم، ويَقْبَلُهُ منهم، وهذا قريبٌ من المعنىٰ السابق.

وقال بعضهم: إن المؤمن هو الذي شَهِدَ لنفسه بالوحدانية ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ وأما علىٰ المعنىٰ الثاني: وهو أن المؤمن من الأمان، فإنّ تفسيرَ ذلك عليه يكون: إنه هو الذي يُؤمِّنُ الخلائق من ظُلمه، ويؤمّن أولياءه من عذابه، فهو يُؤمّن الخلائق أجمعين من ظُلمهم ومن أنْ يَذهبَ عنهم ما عَمِلوا، أو يُجازَوْا علىٰ غير ما فعلوا، كما أنه يُؤمّن أولياءَهُ الصالحين من عذابه جَلَّ وَعَلَا.

وعليه فيكون معنىٰ هذا الاسم الجليل دائراً علىٰ هذين المعنيين، ما يرجع إلىٰ التصديق وما في معناه، وما يرجع إلىٰ الأمان، وكل هذه المعاني حق، وثابتةٌ له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وعليه فإنّ المسلمَ إذا آمن بهذا الاسم العظيم أَكْسَبَهُ ذلك طُمأنينةً بـالله سبحانه ومحبـةً له، ورجاءً فيه.

فهذا الاسم مما يبعث على الرجاء، ومما يبعث على الثقة بالله ﷻ، وأنـه سيقبل منك، وأنـه سيُؤَمّنك من أن يقع عليك ظُلْمٌ أو عذابٌ إنْ لقيتَهُ طائعـًا له ﷻ.





قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

المُهيمن، المطلع علىٰ خفايا الأمور وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيءٍ عِلما.



الشَّرْح

المُهيمن جاء أيضـًا في سورة الحشر المؤمن الْمُهـيمن، وعلىٰ هـذا النسق أورد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هذين الاسمين.

بعض أهل العلم قالوا: إن الْمُهيمن هو المؤمن، فأصل الكلمة مُؤَيْمِنٌ ثم أُبدلَ الحرف إلىٰ الهاء فصارت مُهيمن وإلّا فالأصل مؤيمن.

ولكنْ هذا يقدح فيه ما جاء من عطف أحد الاسمين علىٰ الآخر، والعطف في هذا السياق يقتضي الْمُغايرة.

إذن المُهيمن ليس هو المؤمن، وكلام أهل العلم يدور في تفسير هذا الاسم العظيم علىٰ ما أفاد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ فهو يدور علىٰ معنىٰ العلم والخبرة بالعباد، والاطلاع علىٰ أعمالهم، والشهادة علىٰ أفعالهم.

فكلام أهل العلم في هذا دائرٌ علىٰ هذا المعنىٰ فهو الْمُطَّلِعُ علىٰ العباد، العالمُ بحركاتهم وسكناتهم، وعِلْمُ الإنسان بهذا الاسم وإيمانُه بهذه الصفة يورثه الخوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالله مُطلعٌ عليك، فاسْتَحِ منه حَقَّ الحياء، وخَفْ ربك أن يراك علىٰ غير ما يُحِبُّ فإنه مُهيمنٌ عليك.

قال بعض أهل العلم: إن الْمُهيمن هو الذي عَلِمَ واطلع مع قُدرةٍ، وهو بهذا عِلمٌ وزيادة، ففيه قُدرةٌ وفيه إحاطةٌ مع العلم، وهذا معنىٰ صحيح، وتشهد له شواهدُ اللغة.

والمقصود أن هذا الاسم العظيم اسمٌ يدل علىٰ عِلم الله عَزَّ وَجَلَّ وإحاطته وخبرته بالعباد.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

القـدير كامـل القـدرة بقدرتـه أوجـد الموجـودات وبقدرتـه دبرهـا، وبقدرتـه سـواها وأحكمهـا، وبقدرتـه يُحـي ويميـت، ويبعـث العبـادة للجـزاء، ويُجـازي المُحسـن بإحسـانه والمُسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئًا قال له كـن فيكون، وبقدرته يُقلب القلوب ويُصـرفها علىٰ ما يشاء ويريد.

الشَّرح

اسم الله «القدير» دالٌّ علىٰ صفة القدرة، قدير: «فعيل» بمعنىٰ «فاعل»، وقد جاء في النصوص كتابًا وسنةً كثيراً ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ وجاء أيضـًا القادر﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا﴾ و«قدير» أبلغ من «قادر»؛ لأن صيغة «فعيل» أبلغ من صيغة «فاعل»، وجاء أيضـًا «المقتدِر» ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾، و«المقتدِر» علىٰ وزن «مُفتعِل» أبلغ من «قدير»، فهو الذي بلغ منتهىٰ القدرة سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

المقصود أن الله جَلَّ وَعَلَا هو القادر، والقدير والْمُقتدِر، والقدرةُ مُقابلةٌ للعجز.

وهــو القــدير فلــيس يُعجــزه إذا | مــا شــاء شــيئًا قــط ذو ســلطان

فالله عَزَّ وَجَلَّ إذا شاء حصول أمر وخَلْقَ شيء وفِعل شيءٍ من الأمور فإنّ الله جَلَّ وَعَلَا لا يُعجزه شيء ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

وهذا عمومٌ محفوظ لم يُخَصَّ منه شيءٌ ألبتة، خلافـًا لمن أخطأ في هذا الباب من أهل الكلام فقالوا: إنّ قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ مخصوصةٌ بالممتنعات، فالله علىٰ كل شيءٍ قدير إلا الممتنعات فليس عليها بقدير، ولا شك أن هذا الكلام غلط، وفيه من سوء الأدب مع الله ما فيه؛ لأن الْمُمتنعَ ليس بشيء يمتنع وجودُهُ أصلاً، وبالتالي فإنه لم يدخل في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، ومن هذا ما قد تقرأه في بعض التفاسير كتفسير الجلالين حينما جاء إلىٰ قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ﴾ قال: خَصَّ منها العقلُ ذاتَهُ فليس عليها بقدير، وهذا الكلام غلط، وراجع إلىٰ عدم فهم مسألة القدرة

كما ينبغي، بل الله ﷻ على كل شيء قدير، وهذا العموم لم يُخَصَّ منه شيءٌ، إنما الممتنعات ومنها وجود ربٍّ مثلِ الله سبحانه فهذا أمحل المحالات وأشد الأمور امتناعـًا، هذا أمرٌ مُمتنع فليس بشيء، ولا يمكن أن يقع أصلاً حتىٰ يُقال: إنه مخصوصٌ من قدرة الله ﷻ، إنما هو شيءٌ قد يُقدِّره الذهن، يعني يُقدره الإنسان في ذهنه، لكنْ لا يمكن أن يقع، وبالتالي فإنه لا يدخُلُ تحت هذه الآية أصلاً حتىٰ يُقال: إنه مخصوصٌ منها.

إذن الله علىٰ كل شيءٍ قدير، كلُّ شيء مُمكنُ الحصول، بمعنىٰ أنه ينطبق عليه إطلاق «شيء»، فإن الله ﷻ عليه قدير، ولكن قد يشاء حصوله وقد لا يشاء، فالأمر في ذلك إلىٰ حكمة الله ﷻ، وسعةُ قدرة الله سبحانه إيمانُ العبد بها يعود عليه بعظيم الثقة والتوكل عليه ﷻ.

اعلم أن ربك قديرٌ لا يُعجزه شيء، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴾ فالله لا يُعجزه شيء، وبالتالي اطلب ربك، سل ربك، وثق بربك، وظُنَّ بربك أحسن الظن، وإياك أن تيأس، وإياك أن تظن أنه لا فرج، بل الله علىٰ كل شيءٍ قدير، فيأتيك بالفرج من حيث تظن ومن حيث لا تظن، ويرزقك من حيث لا تحتسب، فالله علىٰ كل شيءٍ قدير، اجعل هذا المعنىٰ نصب عينك وذهنك دائمـًا، وظُن بربك أحسن الظن، وأبشر بكرمه وجوده وإحسانه ﷻ.



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

اللطيـف الـذي أحـاط علمـه بالسـرائر والخفايـا، وأدرك الخبايـا، والبـواطن، والأمـور الدقيقة، اللطيف بعباده المؤمنين، والموصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه من طُرق لا يشعرون بها، فهو بمعنىٰ الخبير وبمعنىٰ الرؤوف.



الشَّرح

لخص الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ معنىٰ اسمه الجليل «**اللطيف**»، بهذين المعنيين:

بمعنىٰ الخبرة، وبمعنىٰ الرأفة.

فـاللطيف يـدل علـىٰ هـاتين الصـفتين، وقريـبٌ في معنـاه مـن هـذين الاسـمين الخبيـر والرؤوف.

وهـو اللطيـف بعبـده ولعبـده	**واللطـف في أوصـافه نوعـانِ**
إدراك أسـرار الأمـور بخبـرة	**واللطـف عنـد مواضـع الإحسـانِ**
فيُريـه عِزتـه ويُبـدي لـطفه	**والعبـد في الغفـلاتِ عـن ذا الشـأنِ**

إذن اللطيف هو ذو الخبرة، والخبرة: العلم بخبايـا الأمـور وخفاياهـا؛ لأن أصـل كلمـة اللُطف في اللغة تدل علىٰ معنىٰ الخفاء، وعلىٰ معنىٰ الدقـة، وعليـه فـالله عَزَّوَجَلَّ لطيـف بمعنـىٰ أنه عليمٌ خبيرٌ بدقائق الأمور، فلا يخفىٰ عليه شيءٌ وإن دق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والمعنىٰ الثاني: أنه اللطيف بمعنىٰ أنه الرؤوف، الرحيم، الجواد، الوهاب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيلطُفُ بعباده، ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ يقوم علىٰ كل نفس بما يُصلحها ويُدبر شأنها ويُكمِّلُ حالها لاسيما عباده المؤمنين، فإن الله جَلَّ وَعَلَا بهم لطيفٌ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في جميع أحوالهم في الدنيا وفي الآخرة.

وإيمان الإنسان بهذا الاسم العظيم يُكسبه الرجاء في الله سبحانه وعظيمَ الظـن الحسـن فيه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فربك لطيف، وإلهك لطيف، الذي تعبده وتتوجه إليه وتقصُدُه دونمـا سـواه هـو لطيفٌ بك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يختار لك إلا الخير.

وهذا إنما يصل إلىٰ اليقين به أهلُ الإيقان، ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾.

لا أحد أحسنَ من الله ﷻ حُكماً، لا شرعاً ولا قَدَراً من الله تبارك وتعالىٰ، ولكنْ من الذي يصل إلىٰ هذا؟ هم أهل الإيقان، الذين عَظُمَ إيمانهم وتصديقهم بالله سبحانه، وبنعوت جلاله وجماله تبارك وتعالىٰ.

إذن علىٰ المسلم أن يتعبَّد لله سبحانه بهذا الاسم فيسألَه لطفَهُ، ويسألَه إحسانه، ويسألَه أن يتدارَكَهُ برحمته، وأن يصونَهُ في الدنيا والآخرة، وأن يَحْفَظَهُ من الذل، وأن يُغنِيَهُ عمن سواه.

فالله جل وعلا لطيف، والله لا يَعْظُمه شيءٌ يُسألُ إياه سبحانه وتعالىٰ، فإيمان الإنسان بهذا الاسم يُكسبه أشياءَ كثيرةً من هذه المعاني العظيمة التي تعود عليه بالرجاء والثقة وحُسن الظن بالله سبحانه وتعالىٰ.



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحسيب هو العليم بعباده كافي المتوكلين، المُجازي لعباده بالخير والشر بحسب حكمته، وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها.



«**الحسيب**» «**فعيل**» بمعنىٰ «**فاعل**»، وكثيراً ما يأتي في اللغة «**فعيل**» بمعنىٰ «**فاعل**»، والله ﷻ حسيبٌ بمعنىٰ أنه مُحاسِبٌ، فهو يُحاسب عباده، و«**حسيب**» بمعنىٰ أنه عليمٌ بعباده، فهذان المعنيان ينتظمُهُما هذا الاسم العظيم.

«**فحسيب**» يدل علىٰ أنه مُحاسبٌ عبادَهُ، «**حسيب**» يأتي بمعنىٰ مُحاسِب، ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ يعني مُحاسِباً، والله ﷻ يُحصي علىٰ العباد أعمالَهُمْ، ثم يُحاسبهم عليها يوم القيامة.

والحساب: معناه توقيفُ الله ﷻ العبادَ علىٰ أعمالهم وإطلاعهم عليها، وتذكيرهم ما نَسَوْهُ منها، ليكون الجزاء بحسب ذلك.

والحساب يوم القيامة نوعان:

- حسابُ مُناقشة.
- وحسابُ عَرْض.

أما حسابُ المُناقشة: فإنه حسابُ التدقيق مع عدم الْمُسامحة، يُدقَّقُ علىٰ الإنسان في كل ما عمل من صغيرٍ أو كبير، مع عدم الْمُسامحة، ماذا عمل من حسنات، ويُقابَلُ ذلك بما عمل من سيئات، ثم يكون الجزاء بعد ذلك بحسب ما عمل ﴿جَزَآءٗ وِفَاقًا﴾ فمَنْ حُوسب هذا الحساب هلك ولابد، وصدق ﷺ إذ قال: «**من نُوقش الحساب عُذِّب**»، وفي رواية: «**من نُوقش الحساب هلك**»، ولَمّا قال هذا النبي ﷺ سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: يا رسول الله: أليس قد قال الله: ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾، قال ﷺ: «**ليس ذلكِ، إنما ذلكِ العَرْض ومن نوقش الحساب هلك**».

العرض وهو القسم الثاني من الحساب هو: أن يُنظَرَ في كتابه ثم يُتجاوَزُ عنه، هذا هو الحساب اليسير، يُنظر في كتابه، يُقال له: عملت كذا، عملت كذا، والعبد يقول: أعرف ربي، أعرف ربي، ثم يعفو الله ﷻ عنه، فهذا هو حساب العرض، وهو الحساب اليسير.

وكان من دعاء النبي ﷺ في صلاته واحرص علىٰ هذا الدعاء: «**اللهم حاسبني حساباً يسيرًا**»، فإنْ حاسبك الله الحسابَ اليسيرَ فأبشر بالسعادة، سعادةٍ لا شقاءَ بَعْدَها.

أما الذي يُدقَّقُ عليه فيُحاسَبُ علىٰ كل شيء، ما عَمِلَهُ من صغير الذنوب وكبيرِها، وتقصيرِه في الواجبات، وتقصيرِه في شكر نعم الله ﷻ، فمن الذي ينجو بعد ذلك.

إذ التقصير هو الغالب علىٰ العباد، ولا أحد يمُكنه أن يقوم بحق الله ﷻ كاملاً، فالمعوَّلُ علىٰ عفو الله سبحانه ومغفرته ﷻ.

إذن علىٰ الإنسان إنْ آمن بأن الله ﷻ هو الحسيب عليه، عليه أن يتقيَ الله ﷻ وأن يُراقبَهُ سبحانه، وأن يعلمَ أن كل ما يَعْمَلُهُ فإنه مَحْصِيٌّ عليه، ثم الحساب فالجزاء يوم القيامة، فليُقِلَّ أو ليستكثرْ من الحسنات أو من السيئات.

أنت مُحاسَبٌ يا عبد الله، ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ وبالتالي فتنبّهْ إلىٰ هذا المقام العظيم حتىٰ لو حُوسِبْتَ الحسابَ اليسير ما يُدريك أولاً: أنك من أهله، ثم إن كان الأمر كذلك فأين مقامُ الحياء من الله ﷻ؟.

كان الفضيل بن عياض رحمه الله يبكي ويقول: "واسَوْءتاه منك وإن عفوت"، يعني مقامُ الحياء من الله ﷻ مقامٌ عظيم، إذا ذَكَّرَ الله العبدَ يوم القيامة بغدَراته وفَجَراته يقول: عملت كذا يوم كذا وكذا، عملت كذا يوم كذا وكذا.

تخيل لو أن إنسانًا من البشر وهو مخلوقٌ مثلك ولكنك تُقدِّره وتحترمه لو أنه ذَكَّرك بمثل هذه الأمور، أو علىٰ الأقل بأخطائك تِجاهه، ألا يكون موقفًا محرجًا لك أمامه؟! فكيف بالله العظيم ﷻ.

إذن الأمر عظيم فكن دائمًا علىٰ ذُكْرٍ من معنىٰ هذا الاسم الجليل «**الحسيب**» جل وعلا.





قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الرقيب المُطلع علىٰ ما أكنته الصدور القائمُ علىٰ كل نفسٍ بما كسبت الذي حفظ المخلوقات وأجراها علىٰ أحسن نظامٍ وأكمل تدبير.



الشَّرح

اسمه تعالىٰ «الرقيب»، يدل علىٰ معنىٰ الْمُراقبة كما ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهـو الرقيـب علـىٰ الخـواطر واللـوا حِـظِ كيــف بالأفعــال بالأركــان

وهو الرقيبُ علىٰ الخواطر التي تخطُرُ في قلبك، واللواحظ، تلك اللواحظ التي تكون بعينك، والتي لا يتنبّهُ لها أحد، كيف بالأفعال بالأركان، فكيف بأفعالك الظاهرة.

الله عَزَّوَجَلَّ رقيبٌ علىٰ كل شيء، فهو يُراقبك ويطلعُ علىٰ حالك، ولا يخفىٰ عليه شيءٌ من أعمالك ألبتة، مهما استخفيت فإنك لا تستخفي علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾، فالله عَزَّوَجَلَّ يُراقب عباده، ويطلع عليهم، ويُحيط علمُه وسمعُه وبصرُه بكل أحوالهم، بل إن الله جَلَّ وَعَلَا زيادةً علىٰ ذلك جعل علىٰ كل عبدٍ من العباد مَلَكَيْن حافِظَيْن مُراقِبَيْن مُلازِمَيْن، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ وقال جَلَّ وَعَلَا في وصف هذين الملكيْن، وصفهما الله جَلَّ وَعَلَا بالرقيب، والعتيد ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ليس هذان الوصفان اسمين للملكيْن، أحدهما: اسمه رقيب والآخر عتيد، ليس الأمر كذلك، بل هذان وصفان لكليهما، فكلاهما رقيب، وكلاهما حفيظ، رقيب من المراقبة، وعتيد من الْمُلازمة، لا يُفارقان الإنسان.

وأحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، والله أعلم أين محلُّهُما علىٰ وجه التحديد، لكنِ المهمُ أنهما معه ويَكتبان عليه حسناته، ويَكتبان عليه سيئاته، بل يَكتبان عليه ما يكون من خَلَجاتِ قلبه، مما لا يطلع عليه الناس، أعطاهم الله عَزَّوَجَلَّ قدرةً علىٰ ذلك يكتبون كل شيء.

وهذا يدل علىٰ كماله ﷻ، إذ مُعطي الكمال أولىٰ به، إذا كان هؤلاء الْمَلَكان وهما مخلوقان، يطلعان علىٰ كل صغيرٍ وكبير، ظاهرٍ وخفي، فالله ﷻ أقدر علىٰ ذلك، وأولىٰ بهذا الكمال.

إذن الله ﷻ هو الرقيب، وبالتالي عليك يا عبد الله أن تتذكّر ذلك، ذكِّرْ نفسك بهذا الاسم العظيم، ضع هذا الاسم أمام ناظريك، بل ضع في قلبك، وتذكّر دائمًا أن الله رقيب، وأنك لا تخفىٰ عليه، فخُذ حِذْرك، وتنبه لأقوالك، تنبه لأفعالك، تنبه لكل شيءٍ تفعله فهناك من يُراقبك وهو الله العظيم ﷻ.



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحفيظ الذي حفظ ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أولياءه من وقوعهم في الذنوب والهلكات، ولطف بهم في الحركات والسكنات، وأحصىٰ علىٰ العباد أعمالهم وجزاءها.

الشَّرح

كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في معنىٰ اسم الله «**الحفيظ**» يدل علىٰ هذه الأمور الثلاثة التي يرجع إليها كلام أهل العلم في اسمه الحفيظ لخّصَها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في الكلام الذي سمعته.

أولًا: حفيظٌ من الحفظ، الذي هو ضد النسيان، ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾، فالله جَلَّ وَعَلَا عليمٌ بكل شيء، ولا يفوته شيء، أحصىٰ كل شيءٍ عدداً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يُمكن أن يطرأ عليه -أعني هذا الحفظ- خللٌ أو نسيانٌ جل ربنا وعز عن ذلك.

والأمر الثاني: أنه حفيظٌ بمعنىٰ أنه يصون أولياءَهُ مِنْ وقوع الشرور عليهم في أمور دينهم ودنياهم، الله حفيظ يحفظك من كل ما يُوقِعُ بك المكروه، وإذا وقع بك المكروه فهذا من حفظه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لك؛ لأنه يُكفر بذلك سيئاتك ويرفع درجاتك، ولِيُبَلِّغَكَ في الآخرة ما هو أعظم مما أصابك، وربما حفظك الله عَزَّ وَجَلَّ بهذا المكروه من الوقوع في مكروهٍ أشد.

إذن حِفْظُهُ تعالىٰ هنا بمعنىٰ أنه يصون عباده من كل ما يُوقِعُ بهم المكروه، وأهم ذلك ما يتعلق بالحفظ في الدين، بعض الناس إذا دعا الله فقال: اللهم احفظنا بحفظك، ربما لا يتبادر إلىٰ ذهنه إلا ما يتعلق بالحفظ في الأمور الدنيوية، يُحْفَظُ من الأمراض، يُحفظ من الحوادث، يُحفظ من السرقة، يُحفظ من غير ذلك من هذه الأمور، وهذا جيد ولا بأس به وحسن.

ولكنَّ الأهمَّ أن تُحفظ في دينك، وأن يصونك الله عَزَّ وَجَلَّ عما يَشين إيمانك، فهذا واللهِ هو الحفظ الأهم، وبقدْر إيمانك يحفظك الله عَزَّ وَجَلَّ، إذا أردت حفظ الله فاحفظ الله، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس: «**احفظ الله يحفظك**»، إذا حفظت الله جازاك الله من جنس عملك فيحفظك الله.

وحفظ الله ﷻ هو بحفظ حدوده، وحفظِ أوامره ﵎، فَبِقَدْرِ حفظك لحدوده فإن الله ﷻ يحفظك.

وهذا الأمر أمرٌ عظيم، ينبغي لمن أراد نيلَ حفظ الله ﷻ في دينه ودنياه وأُخراه، أن يحرصَ أشد الحرص علىٰ حفظ أوامر الله ﷻ وحدوده، ومن أعظم ذلك: حفظُ التوحيد عن أن يطرأ عليه ناقضٌ أو قادح، هذا أولىٰ ما عُنيت بحفظه يا عبد الله، أهم ما يجب عليك أن تُحافظ عليه توحيدك، أن تلقىٰ الله ﷻ بقلبٍ سليم، وثق أنك إن لقيت الله ﷻ بذلك فإنك ناجٍ عنده ﵎.

واللهِ إن النجاء والنجاة حاصلةٌ لك ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ فأهل التوحيد ناجون عند الله ﷻ قطعًا، إما لهم النجاة الْمُطلقة أو لهم مُطلق النجاة، إما أنهم يَنْجون من عذاب الله ﷻ مُطلقًا ويدخلون الجنة من أول وهلة، وهؤلاء هم كُمَّلُ أهل التوحيد، أو من شاء الله العفوَ عمن كان دونهم، أو يكون لهم مُطلق النجاة حتىٰ ولو دخلوا النار، فدخولهم دخولٌ مؤقت لا مُؤبّد، ثم مآلهم إلىٰ جنات النعيم، فالتوحيد شأنه عظيم، قليله يُنجي من الخلود في النار، وكثيره يُنجي من دخولها عافاني الله وإياكم منها.

إذن هذا من الأمور العظيمة بل هو أعظم الأمور التي يجب علىٰ الإنسان أن يتنبّهَ لها، أن يحفظَ توحيدَهُ، فلا يقولُ ولا يفعلُ ما يَخْدِشُ في هذا التوحيد، وما أكثرَ هذه القوادح، والنواقض في هذا الزمان.

نحنُ في زمنٍ متأخر يا إخواني، هذا زمن غُربة، والنبي ﷺ أخبر وهو الصادق المصدوق، أخبر بأنه في آخر الزمان يعود الشرك، يحصل شرك في هذه الأمة قال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتىٰ تُعبد اللات والعُزىٰ**»، أخبر ﷺ أن من علامات الساعة «**أن تضطرب أَلْيات نساء دوس عند ذي الخلصة**».

أخبر ﷺ: «**أنه لن تقوم الساعة حتىٰ تلحق فئام من هذه الأمة بالمشركين**»، أخبر ﷺ: «**أن الرجل يُصبح مؤمنًا ويُمسي كافراً**»، أو العكس، فعلىٰ الإنسان أن يحذر وأن يخاف،

وأن لا يثق بنفسه، بل يكونَ دائمَ الخوف، خوفٌ يجعله يلجأ إلىٰ الله ﷻ بالحفظ.

إذا كان إبراهيم عليه السلام الذي هو إمام الموحدين وإمام الحُنفاء، وهو أبو الأنبياء عليه الصلاة السلام، ومع ذلك يدعو الله ﷻ دُعاء خائف متضرر ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾، فمن يأمن البلاء بعد إبراهيم عليه السلام.

وهذا يُثمر لك ضرورة التعلم، لابد من أن تتعلم التوحيد، ولابد أن تكون راسخاً في علم التوحيد، حتىٰ تكون علىٰ حذر، أما الجاهل بالتوحيد فربما يقول أو يفعل ما يُخالِفُهُ بل ما يُضادُّهُ وهو لا يدري، وهو مُقَصِّرٌ؛ لأنه ما تعلّم.

فالعلم بالتوحيد أهم العلوم، توحيدُ الله ﷻ أهم ما عليك، بل الله ما خلقك إلا من أجله، ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ ليوحدون، والله أكبر من كل شيء، والله أعظم من كل شيء، فالعلم به أكبر من كل شيء وأعظم من كل علم.

الأمر الثاني: الذي عليك أن تحرص علىٰ حفظه: الصلاة، ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ وأهل الصلاة هم أهل التوفيق، هم أهل السعادة، هم أهل النجاة، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ هكذا حال أهل الجنة، أهل حفظٍ علىٰ الصلوات، يُحافظون علىٰ صلاتهم، علىٰ أدائها في أوقاتها،علىٰ تحقيق أركانها، وشروطها، وواجباتها بل وسُننها ولْيُبشروا بعد ذلك بكل خير.

قال ﷺ كما في الحديث الصحيح: «**من توضأ كما أمر**»، انتبه! لاحظ هذا الشرط المهم «**من توضأ كما أمر، وصلىٰ كما أمر غُفر له ما تقدم من عمل**»، صلاةٌ تؤديها بهذا الشرط، واللهِ إن كلام النبي ﷺ لحق، وإننا لنقسم عليه «**غُفر له ما تقدم من عمل**».

لكن ليس توضّأَ كيفما اتفق، وصلّىٰ كما رأىٰ الناسَ يُصلون، إنما تصلي كما أمرت أن تصلي، وما الذي أُمرت أن تُصليَ به؟ الجواب: صلاةُ النبي ﷺ، أليس هو القائل!: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**».

إذن عليك أن تُحافظَ، وأن تحرصَ علىٰ أن تتعلم صلاةَ النبي ﷺ، ويا لله العجب من إنسانٍ بَلَغَ من العُمْر شيئًا كثيراً، يبلغ الأربعين والخمسين والستين أو أكثر، وما جَلَسَ ولا يومًا في مجلس علم يطلب فيه علم صلاة النبي ﷺ، عجيبٌ والله! ربما يقرأ كل شيء، ربما يطّلِعُ علىٰ الصحيفة كل يوم، يقرؤها من الألف إلىٰ الياء، ويقرأ في المجلات، ويجلس الساعات أمام التلفاز، لكن ما كلف نفسه ولو مرة أن يقرأ كتابًا يُعلمه كيف كان النبي ﷺ يتوضأ، وكيف كان يُصلي، والله إنه لعجيب!، كأنّ شأن الصلاة شأنٌ ليس بذي بال، ولذلك ما أكثر الأخطاء التي تقع في الصلاة، ربما كانت أخطاء تؤدي إلىٰ بُطلان الصلاة، وربما كانت أخطاء تؤدي إلىٰ نُقصان أجرها، فالأجر الموفور للصلاة يكون علىٰ من حافظ عليها وأداها كما فعل النبي ﷺ.

إذن علينا أن نحرص علىٰ هذا الأمر يا إخواني، حذيفةُ رضي الله عنه رأىٰ رجلاً يُصلي فلا يُحسن صلاته، لاحظ حذيفةَ رضي الله عنه! فإنه يرىٰ شخصًا من طبقة التابعين، فلما انصرف قال له: منذُ متىٰ وأنت تصلي هذه الصلاة؟ قال: منذُ أربعين سنة، قال: " منذُ أربعين سنةً ما صَلَّيْتَ"، لأنه يقع في صلاته من الأخطاء ما يُبْطِلُها.

فعلينا يا إخواني أن نحرصَ علىٰ أن نُوافقَ النبيَّ ﷺ في صلاته، وهذا لا يتأتّىٰ إلا بأنْ تتعلّمَ كيف كان يُصلي النبي ﷺ كما جاء في الأحاديث الصحيحة، أدقُّ تفاصيل الصلاة محفوظة، وموجودةٌ ولله الحمد في كتب السُنة، ما بقيَ عليك إلا أنْ تتعلَّمَها، وهناك ولله الحمد كُتبٌ مُيسرة، كُتيّبٌ صغير لا يأخذ منك إلا دقائق فقط في قراءته وهو " كيفية صلاة النبي ﷺ " للشيخ بن باز رحمه الله ، أو صفة صلاة النبي ﷺ للشيخ الألباني رحمه الله، أو غيرُ ذلك من كتب أهل العلم الثقات، المقصود أن هذا من الأمر الذي ينبغي أن نُعْنىٰ بحفظه.

أيضًا مما جاء في القرآن من الأمر بحفظه **«الأيمان»**، قال جل وعلا: ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ﴾ وحفظ الأيمان يكون بأمرين:

أولًا: احفظوا أيمانكم بألا تحلفوا، لا ينبغي علىٰ الإنسان أن يبذُلُ أقسامَه وأيمانَه في كل شيء، بل ينبغي عليه أن يقتصد، وأن يحلفَ علىٰ الشيء الذي يستحق، وهذا من تعظيم اسم الله العظيم تبارك وتعالى، تقلَّلْ من الأَيْمان ما استطعت.

والأمر الثاني: احفظ اليمين فَحَنَثْتَ من عدم التكفير، بل عليك أن تُكفر عن يمينك إذا حَنَثْتَ، والوفاءُ باليمين فيما لم يجب ليس بواجب قال النبي ﷺ: «**من حلف على يمينٍ فرأىٰ غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليُكفر عن يمينه**»، وقال ﷺ: «**إني واللهِ إن شاء الله لا أحلف علىٰ يمين فأرىٰ غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير، أو أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني**».

فهذا أيضـًا من الأمور الْمُهمة، وكثيرٌ ما تأتي الأسئلة لطلاب العلم من الناس أنه يقول: أنا حلفت أيمانـًا لا أدري كم؟ منذُ كذا وكذا سنة ؟ ولم أُكفر عن هذه الأيمان؟ يعني حلف علىٰ أن يفعل فلم يفعل، أو حلف علىٰ أنه لا يفعل ففعل، وبالتالي تكونُ الكفارة قد لَزِمَتْهُ، لكنه تكاسل وسوّف حتىٰ نسيَ كم هذه الأيمان؟ ثم جاء يسأل، وهذا لا شك أنه تقصير، لا ينبغي أن يقع فيه المسلم، بل إذا وقع من الإنسان حِنْثٌ في يمينه فينبغي عليه أن يُبادرَ إلىٰ تكفيره حتىٰ لا يتطاول الأمد وبالتالي ينسىٰ ويكونَ ذلك دَيْنـًا في ذمته، ودَيْنُ الله ﷻ حقيقٌ بالوفاء.





قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المُحيط بكل شيء عِلما وقدرة ورحمة وقهرًا.



الشَّرح

من أسمائه سبحانه «**الْمُحيط**» ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ والإحاطة من صفاته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾ ، **والإحاطة تشمل معنيين أشار الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أحدهما:**

المعنى الأول: إحاطةُ العلم، والقدرة، والسمع والبصر، فالله جَلَّ وَعَلَا مُحيط بكل شيءٍ علماً، مُحيط بكل شيءٍ قُدرةً وقهراً، مُحيط بكل شيءٍ سمعاً وبصَراً.

وهذا راجعٌ إلىٰ عدة صفات مشمولةٍ في عدة أسماء، فهو يرجع إلىٰ اسم الله «**العليم**» وصفةِ «**العلم**»، واسمه «**السميع**» وصفته «**السمع**»، واسمه «**البصير**» وصفة «**البصر**»، إلىٰ غير ذلك، وعليه فهذا من الصفات الجامعة التي تجمع صفاتٍ كثيرة، ومن أسماء الله ومن صفاته سبحانه ما هو من الأسماء والصفات الجامعة التي تجمع صفاتٍ كثيرة، ومِنْ ذلك هذا الاسم الجليل وهو الْمُحيط وصفةُ الإحاطة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الأمرُ الثاني: أن الله سبحانه هو مُحيطٌ بكل شيء تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويرجع هذا إلىٰ معنىٰ العلو والسَعَة والعظمة، فالله العلي، والله الواسع، والله العظيم.

الله سبحانه هو نفسه جَلَّ وَعَلَا محيط بكل شيء مع أنه فوق كل شيء، فلعظمته سبحانه هو فوق السموات مستوٍ علىٰ عرشه ومحيطٌ بالخلائق أجمعين.

فالسموات والأرض في كف الرحمن كخَرْدلةٍ في كَفِّ أحدنا، والأرض قبضته يوم القيامة، الأرض تكون في قبضة الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ وإذا صلىٰ المسلم كما قال النبي ﷺ: «**إذا صلىٰ أحدكم فلا يبصُقْ قِبَلَ وجهه فإن الله** جَلَّ وَعَلَا **قِبَلَ وجهه**»، في أي مكان يُصلي الإنسان، في الشرق، في الغرب، في الشمال، في الجنوب، الله عَزَّ وَجَلَّ قِبَلَ وجهه مع كونه عالٍ علىٰ كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنه هو الْمُحيط بكل شيء تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإذن هذان المعنيان ينتظِمُهُما اسمه تعالىٰ الْمُحيط، وصفتُهُ تعالىٰ الإحاطة.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

القهار، القهار لكل شيء الذي خضعت له المخلوقات، وذلت لعزته وقوته وكمال اقتداره.



الشَّرح

«**القهار**»: كلمة علىٰ بناء الْمُبالغة من «**القاهر**»، فالله جَلَّ وَعَلَا هو القاهر وهو القهار، وهو الواحد القهار، وهذا الاسم دالٌ علىٰ صفة القهر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والقهر يعني أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد ذَلَّتْ له جميع الخلائق لعظمته، وانصاعت لسلطانه، فجميع العباد، بل جميع الكائنات، بل جميع المخلوقات مقهورة بسلطانه وبعزته ولعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حتىٰ الملوك، وحتىٰ الجبارون، وحتىٰ المتكبرون فإنهم تتلاشىٰ قوتهم، ويتلاشىٰ عِزُّهم، ويتلاشىٰ مُلْكُهُمْ أمامَ قَهْرِ الله جَلَّ وَعَلَا وعزته وسلطانه.

ويتجلّىٰ هذا يوم القيامة حينما يُفْني الله جَلَّ وَعَلَا الخلائق، ثم يَقْبِضُ الأرض ويقبضُ السموات ويَهُزُّهُنَّ ويقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض، ولذا يتجلىٰ هذا جليّاً يوم القيامة، وهذا ما نبّه عليه ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في سورة الفاتحة: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ إذن صفة القهر لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صفة عظيمة تدل علىٰ عظمة، وتدل علىٰ جبروت، وتدل علىٰ عِزّة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبالتالي فإن الإيمان بهذه الصفة يُورث الخوف، ويُورث الوَجَلَ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالله عزيزٌ ذو انتقام، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ كما أن هذا الاسم أيضاً يورث الإيمانُ بمعناه الرجاءَ في الله سبحانه وحُسنَ التوكل عليه، فإنه إنْ جارَ جائر، أو ظَلَمَ ظالم، فليطمئن العبد أنّ جَوْرَهُ وظُلْمَهُ عائدٌ عليه.

فالله جَلَّ وَعَلَا عزته أعظم، وسلطانه أكبر، وقوته أغلب، وبالتالي فإنه سينتصف، وينتصر للمظلوم إن لم يكن في الدنيا فإنه سيكون ذلك في الآخرة.

أما العباد فقَهْرُهُمْ في الغالب مذموم، غالباً ما يكون قهرُ المخلوقين مذموماً، ولذلك يذكره الله جَلَّ وَعَلَا عن الجبارين من عباده كفرعون، ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا

﴿فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾، ولكنْ لم ينفعه هذا الظلم وهذا الطغيان فقد أخذه الله ﷻ وجنوده وألقاه الله ﷻ في اليم، وأخذه أخذ عزيز مُقتدر.

ولذا نهىٰ الله ﷻ عن قهر الضعيف فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ والقهر هذا يقتضي ظلماً ويقتضي تعديًا، ويقتضي تكبراً وترفعًا، وهذا مما لا يليق بالمسلم، لاسيما مع ضعيف لا يستطيع أن ينتصر لنفسه كاليتيم، فقَهْرُهُ ظُلماً أشنع، والذنب في ذلك أشد، والله ﷻ أعلم.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المُقيت الذي أوصل إلىٰ كل موجودٍ ما به يقتات وأوصل إليه أرزاقها وصرَّفها كيف يشاء بحكمته وحمده.



«الْمُقيت» يدل علىٰ معنيين أشار الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ أحدهما: **«الْمُقيت»** بمعنىٰ **«القدير»** والله جَلَّ وَعَلَا علىٰ كل شيءٍ قدير.

وكنت علىٰ إجابته قديرًا

هكذا جاء في بعض أشعار العرب ويُرْوىٰ عن الزبير بن العوام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، الشاهد أن **«الْمُقيت»** يأتي في اللغة بمعنىٰ **«القدير»** والله جَلَّ وَعَلَا علىٰ كل شيءٍ قدير، وقد مضىٰ الكلام في اسمه الجليل **«القدير»**.

وأما المعنىٰ الثاني: فإن الْمُقيتَ هو الذي يُقدِّر الأقوات، ويُوصِلُها إلىٰ الأبدان والقلوب، الله جَلَّ وَعَلَا هو الذي يُقدِّرُ الأرزاق، وهو الذي يخلقها، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ﴾ يعني في الأرض ﴿أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ .

إذ ن أقوات العباد التي بها قيامهم وبها استقامة حياتهم هي من الله جَلَّ وَعَلَا فهو الذي يخلقها وهو الذي يُوصلها إلىٰ العباد، وهو الذي يجعل النفوس تنتفع بها، يوصِلُها إلىٰ الأبدان كما أنه يُوصِلُ إلىٰ القلوب أقواتَها، قوتُ القلب: العلم والإيمان، والله جَلَّ وَعَلَا هو الذي يُعطيه بمنه وكرمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فقوت القلب أرواح المعاني ... وليس بأن طعمت ولا شربت

فهذا وذاك من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فعاد اسم الْمُقيت إلىٰ معنىٰ الرزاق، وإلىٰ معنىٰ الوهاب، كما أنه دالٌ علىٰ أنه القدير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وإذا جعل الله جَلَّ وَعَلَا قوت أحدٍ من الخلق إليه، يعني إلىٰ العبد فإن عليه أن يتقيَ الله جَلَّ وَعَلَا، فمن أعظم الذنوب أن يُضيّعَ الإنسانُ مَنْ يقوت، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كفىٰ بالمرء إثما أن يُضيّعَ مَنْ

يقوت»، يعني من يُطعمه ويسقيه ممن يلوذ به من زوج ومن ولد، ومن أهل، فتضييع هؤلاء والبُخْلُ عليهم مع القدرة ذنبٌ عظيم، وأهم من ذلك أن يُضيِّعَهُمُ الإنسان من التربية الصالحة ومن الأمر بالمعروف، ومن النهي عن المنكر، ومن الاستصلاح، هذا أعظم من ذلك.

كثيرٌ من الناس ربما لا يَبْخَلُ علىٰ أبنائه بالطعام والشراب، يُنْفِقُ بلا حساب لكنه إذا رآه لا يُصلي فإنه لا يُحرك ساكنًا، إذا رآه يُشاهد أو يسمع ما لا يحل فإنه يمر عليه مرور الكرام، وهذا واللهِ من التضييع «**كفىٰ بالمرء إثما أن يُضيع من يقوت**».

قبل أن نبدأ درس اليوم فهذه مُتممات ثلاث تتعلقُ بدرس الأمس.

أولًا: في اسم الله المؤمن نبّه أهل العلم كابن قُتيبة وغيره أن هذا الاسم لا يتصرف، إنما يُذكر كما ورد فليس كالسميع يُقال: الله سميع وسَمِعَ ويسمع، وبصيرٌ وأبصر ويُبصِر، فلا يُقال في مؤمن: إن الله آمن ويُؤمن، وذلك لعدم الدليل.

فيُوقَفُ في هذا الاسم عند حد ما ورد، يُقال: الله هو المؤمن، ومعنىٰ ذلك بحسب ما مضىٰ بيانه.

الأمر الثاني: في اسم الله الحفيظ مر معنا أن هذا الاسم يدل علىٰ ثلاثة معانٍ:

الأول: من الحفظ الذي هو ضد النسيان، ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾.

الثاني: أنه يصون عِباده من كل ما يضرهم في دينهم ودنياهم وأخراهم.

والثالث: أنه الذي يحفظ أعمالَ عباده، ويُحْصيها ثم يُوفّيهم إياها يومَ القيامة، إذن هذا هو المعنىٰ الثالث، وأدلّتُهُ لا تكاد تُحْصَرُ.

التنبيه الثالث: في اسم الله «**الحسيب**»، وقلنا: إنّ «**الحسيب**» يدل علىٰ صفة العلم فالحسيب هو العليم، وكذلك الحسيب هو الْمُحاسِب، وثمة معنىً ثالثٌ لابد من التنبيه عليه وهو أن «**الحسيب**» هو «**الكافي**» من الحَسْب، والحَسْب هو الكفاية، والله ﷻ كافٍ عبادَه في كل ما يُهِمُّهُم وفي شؤون دينهم ودنياهم، وتأمَّلْ قولَ الله ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾

وانظر ما في هذه الآية العظيمة من تعليم التوحيد، التوحيد هو ألا يَشْرَكَ الله ﷻ شيءٌ في شيءٍ من خصائصه، وهذه الآية عَلّمَتِ المؤمنينَ التوحيد، فالله ﷻ له حقٌ لا يَشركه فيه غيره.

تأمل قوله سبحانه: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾، فالإيتاء يكون من الله، والإيتاء يكون من رسوله ﷺ أيضـًا، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ إذن هذا لا بأس بأن يُضاف إلىٰ الرسول ﷺ، لكنْ لما جاء إلىٰ الحسب ماذا قال؟ و قالوا حسبنا الله ؟أو قالوا: حسبنا الله ورسوله؟ قالوا: حسبنا الله، فالحسب خاصٌ بالله ﷻ لا يَشركه فيه غيره، ثم عاد ما يتعلق بالإيتاء ﴿سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾.

لكنَّ الرغبةَ لله فقط ﴿ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ وما قال: إنّا إلىٰ الله ورسوله راغبون، فالله ﷻ له حقٌ لا يجوز أن يُشاركه فيه غيره ﷻ.

إذن الحسبُ يعني الكفاية، هذه إلىٰ الله ﷻ، والنبي ﷺ لما قيل له: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، قال: «**حسبنا الله ونعم الوكيل**»، وقال ذلك المؤمنون في صحيح البخاري، أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل" قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال له الناس ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾.





قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الوكيل المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته، وشمول حكمته، الذي تولىٰ أولياءه فيسرهم لليُسرىٰ وجنبهم العسرىٰ وكفاهم الأمور، فمن اتخذه وكيلا كفاه، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

الشَّرْح

اسم الله **«الوكيل»**، **«وكيل»** **«فعيل»** بمعنىٰ **«مفعول»** يعني الذي اتخذه عبادُه وكيلاً، فتوكلوا عليه وفوّضوا أُمورهم إليه، والله جَلَّ وَعَلَا هو الحقيق بذلك، هو الذي يستحق هذا ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾.

وإذا توكل العبد علىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ وفوّض الأمور إليه فازَ بالسعادة كلِّها؛ لأنه ضعيف عاجزٌ مُحتاج، إلا إذا كان الله عَزَّ وَجَلَّ له، إذا تولّاه الله فليُبشرْ بالخير والسعادة، وإلا فإنه لا حول له و لا قوة إلا بالله العظيم سبحانه.

والعبد ربما يكون وكيلاً للعبد، لكن شتّان بين الأمرين، الوكيل من المخلوقين لا يكون وكيلاً إلا بتوكيل الأصيل، والله جَلَّ وَعَلَا يستحق أن يكون الوكيلَ علىٰ عباده جميعًا والْمُيسِّرَ لأمورهم، والمتوليَ لشئونهم دون توكيلٍ من أحد، فهو الْمُستحق لذلك تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لذاته.

ثم إنّ الوكيلَ يكون وكيلاً في بعض الأمور، أما الله عَزَّ وَجَلَّ فهو وكيلٌ لعبده في كل شيء، ثم إنَّ الوكيل إذا توكل مهما أحسن فإنه لابد من نقص، فلا يستطيع أن يُوَفِّيَ كلَّ شيءٍ علىٰ ما يُرام، أما الله جَلَّ وَعَلَا فإنه الوكيل الذي يتولىٰ شؤون عباده من جميع الأمور ولا يُخالط ذلك نقص، ولا يُخالطه عيب، ولا يُخالطه عجز تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

إذن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الوكيل الذي يجب أن يتوكل عليه العبد، ويفوضَ الأمر إليه، والتوكلُ

علىٰ الله ﷻ عبادةٌ عظيمة بل هي شرطٌ للإيمان ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ فأهل الإيمان سِمَتُهُمْ وعلامَتُهُمْ أنهم يتوكلون علىٰ الله ﷻ، أي يُفوضون الأمور إلىٰ الله، ويعتمدون بقلوبهم علىٰ الله، ويطمئنون إلىٰ حُكم الله، وهذا التوكل عاقِبَتُهُ العاقبةُ الحميدة، فمن توكل علىٰ الله فليُبشرْ بكل خير، سيُيسرُ له الله ﷻ أمورَهُ، ويزول عنه كل تعسير.

والتوكل لا يتنافىٰ وفعلَ الأسباب، بل فعل الأسباب من التوكل، وذلك أن التوكل عند أهل العلم كما قالوا: حركةٌ بلا سكون، وسكون بلا حركة، حركةٌ بلا سكون: يعني بالجوارح، بفعل الأسباب الْمُباحة دون تكاسل، ثم سكونٌ بلا حركة: يسكن القلب ويطمئن ويهدأ ولا يضطرب ولا يَجْزَع، إنما يطمئن إلىٰ حكم الله ﷻ وتقديره.

حركةٌ بلا سكون، وسكونٌ بلا حركة، أو كما قالوا: ترك الالتفات إلىٰ الأسباب بعد فعل الأسباب، لا تلتفت إلىٰ الأسباب بعد أن تقوم بالممكن من فعلها، فوِّضِ الأمر بعد ذلك إلىٰ الله ﷻ وأبشرْ بكل خير، فالله لا يُضيع من توكل عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذا تنبيهٌ لطيفٌ من الشيخ، وهو أن التوكل علىٰ الله، وأن اتخاذه وكيلاً ليس في أمر الدنيا فحسب، بل التوكل علىٰ الله ﷻ في أمر الدين أعظم فإن اللهَ وليُّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلىٰ النور، شتّان بين من يتوكل علىٰ الله في تحصيل رغيف، ومن يتوكل علىٰ الله في الإيمان بالله في أداء عِبادته والتذلل والطاعة له.

كثيرٌ من الناس إذا ذُكِرَ التوكل ما خَطَرَ في باله إلّا ما يتعلق بالتوكل علىٰ الله في الطعام والشراب والتجارة وتحصيل القوت، وما شاكل ذلك، ويغفَلُ عن التوكل علىٰ الله ﷻ في أداء حقه فإنك لن تستطيع القيام بعبادة الله إن لم يكن الله لك مُعيناً وميسِّراً وكما ذكرنا فيما سبق،إذا دُعِيَ المسلم إلىٰ الصلاة فقيل له: حي علىٰ الصلاة،حي علىٰ الفلاح،فوَّضَ الأمر إلىٰ الله وتبرَّأ من حوله وقوته وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله.

فأنا لا شيء وليس مني شيء ولا أستطيع شيئاً إن لم يكن الله مُعيناً لي ومُيسّراً للأمور، فالتوكل علىٰ الله في الطاعة أعظم من التوكل علىٰ الله في غيرها، وكلٌّ لا شك أنه مأمورٌ به ومطلوب، لكنْ شتّان أيضاً بين الأمرين.

فتنبَّهْ إلىٰ هذه اللفتة المهمة في كل شأنٍ من الشؤون، إذا أردت أن تذهب إلىٰ صلاة الجماعة، إذا أردت أن تقوم، إذا أردت أن تصوم، اعزم في قلبك وتوكل علىٰ الله ﷻ وفوّضِ الأمر إليه والتجئ إليه وأبشر بأن الأمور ستتيسر لك بتوفيقه ورحمته سبحانه.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذو الجلال والإكرام أي ذو العظمة والكبرياء، وذو الرحمة والجود والإحسان، العام والخاص، المُكرم لأوليائه وأصفيائه الذين يجلونه ويعظمونه ويحبونه.



ذو الجلال والإكرام، «**ذو**» بمعنى: صاحب، إذن هو صاحب الجلال وصاحب الإكرام، و«**الجلال**» هو العظمة والكبرياء، ومضى الكلام فيه فيما سبق، إذن الله صاحب الجلال **وهذا يشمل معنيين:**

الأول: أنه العظيم في نفسه ﷻ، فرجع هذا الاسم إلى اسمه العظيم.

والمعنى الثاني: أنه المعظَّم الذي يُعظمه عباده، والذي يُجِلُّهُ عبادُه، فالمؤمنون يحبونه ويعبدونه ويعظّمونه، ويُثْنون عليه، وهذا دليلٌ على أنه ﷻ هو العظيم، فلأنّه العظيم عظّمَهُ عبادُه.

إذن ذو الجلال: أي العظيم والْمُعظَّم.

أما ذو الإكرام: فإن الإكرام هو فِعْلُ ما فيه كَرَم، والإكرام يشمل أمرين:

الإكرام المُضاف إلى الله ﷻ يدل على معنيين:

الأول: أنه الْمُكرِم لعباده، فالله ﷻ يُكْرِمُ عبادَهُ ﷻ.

والثاني: أنه الْمُكْرَمُ الذي يُكْرِمُهُ عبادُهُ بطاعته فيَذِلّون له ويعبدونه ويُطيعونه، ويستجيبون لأوامره، إلىٰ غير ذلك من هذه المعاني.

فعاد ذو الإكرام إلىٰ معنىٰ الْمُكْرِمِ ومعنىٰ الْمُكْرَم، وهذه المسألة مهمة يجدر التنبيه عليها وهي أن **إكرام الله ﷻ نوعان:**

- **إكرامٌ عام.**
- **وإكرام خاص.**

أما الإكرام العام: فهو أنه يُنعم سبحانه بما فيه منفعة، وهذا لا يختص بالمسلم فحسب، بل هو عامٌ لجميع الخلق، فالله ﷻ لربوبيته علىٰ الخلائق أجمعين فإنه يُنْعِمُ ويتفضَّلُ بما ينفع العبادَ والخلائقَ أجمعين.

أما الإكرام الخاص: فهو الإكرام بما يُحِبُّ ﷻ، فمَنْ أكرمه هذه الكرامةَ الخاصةَ كان هذا دليلاً على أن الله ﷻ يُحِبُّهُ، وعلى أن الله ﷻ يُقَرِّبُهُ إليه، ويُدْنيه إليه، وهذا ليس إلا لأهل الطاعة.

وهاهنا يغلَطُ كثيرٌ من الناس حينما يَرَوْنَ الإنعامَ فيظنونه دليلَ الإكرام، يعني الإكرامَ الخاص، وبين الأمرين عمومٌ وخصوص، فكل إكرامٍ إنعام، وليس كل إنعامٍ إكرامًا، كل إكرامٍ فهو إنعام، وليس كل إنعامٍ إكرامًا بهذا المعنىٰ الخاص، بل ربما يكون ابتلاءً أو استدراجًا ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾.

انتبه إلىٰ الفرق بين الإكرام الذي جاء أولاً والإكرام الذي جاء ثانيًا، الإكرام الذي جاء أولاً هو الإكرام العام، ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ يعني أعطاه ومَنَّ عليه وأغدق عليه بالمال، بالثمار، بالأولاد، بالمناصب، بغير ذلك، هذا إكرامٌ عام.

لكنْ لا يدل علىٰ الإكرام الخاص إذا رأىٰ هذا اغتر فقال ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾، أنا كريمٌ علىٰ الله، لي عنده الكرامة فهو يحُبني وهو يرضىٰ عني وهو يُقربني إليه وهو يُجازيني علىٰ أعمالي الحسنة، وهذا ليس بلازم.

ولذا عَقَّبَ الله ﷻ بعد ذلك بقوله: كلا، ليس الأمر كذلك، ليس كل من أعطاه الله ﷻ الدنيا كان هذا دليلاً علىٰ كرامته عنده، بل هذا من الغرور أن يَظُنَّ الإنسانُ ذلك، النعمُ الدنيوية قد تكون إكرامًا وقد تكون ابتلاء، الله ﷻ قد يُعطي الدنيا بسبب الطاعة ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ إلىٰ آخر ما جاء في الآية، لكنْ انتبه! قد تكون النعم استدراجًا ابتلاءً لِيَعْلَمَ الله ﷻ شُكْرَ الشكور من كُفْرِ الكفور، فالله يعطي الدنيا لمن يُحب ولمن لا يُحب، أما الآخرة لا يُعطيها إلا لمن يُحب.

وفي السُنن بإسنادٍ حسن لا بأس به قال ﷺ: «**إذا رأيت الله يُعطي العبد من الدنيا ما يُحب وهو مُصِرٌّ علىٰ المعاصي فاعلم أنما ذلك استدراج**»، قد يُعطيك الله ﷻ يا عبد الله

وأنت مُقصر في طاعة الله، فإياك أن تظن أن هذا لكرامتك عند الله ولمنزلتك العالية عنده، ولو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقىٰ كافراً منها شربت ماء.

الدنيا ليست بشيء عند الله ﷻ، لا تساوي عند الله جناح بعوضة، فإذا أُغدق علىٰ الإنسان فلا ينبغي أن يغتر، بل ينبغي عليه أن يخاف، وأن يعلم أن هذا ابتلاء كما قال سليمان عليه السلام لما رأىٰ عرش بَلْقيس عنده قال: ﴿لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ هذا هو فعل الصالحين يتنبهون ويعلمون أن الله ﷻ يبتلي بالسراء، ويبتلي بالضراء ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، فهذه فتن يبتلي ويمتحن الله ﷻ بها، وليست دليلاً أبداً علىٰ الإكرام الخاص من الله ﷻ.

الإكرام الخاص: هو بطاعة الله ﷻ، من أحبه الله، ومن أراد الله الكرامة في الدنيا والآخرة وفقه لطاعته، هذه الكرامة الحقيقية، ولذا قد يُبتلىٰ أحب عباده إليه، الله ﷻ قد يبتلي الصالحين المتُقين، وليس هذا دليلاً علىٰ أنه يُبغضهم حاشا وكلا، ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ مسه الضر عليه الصلاة والسلام وهو نبيٌ كريم ورسول عظيم، ومع ذلك مسه الضر، ابْتُلِيَ في نفسه وابتُلِيَ في أولاده وابتُلِيَ في ماله، وأصابه ذلك مدة طويلة فصبر واحتسب ولجأ إلىٰ الله ﷻ، ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

إذن لا ينبغي أن يكون الميزان الذي يَزِنُ به الإنسانُ تقييمَهُ للأمور هو الدنيا، الدنيا ينبغي أن تُسْقَطَ من حسابات الإنسان في مثل هذا المقام، وهي منزلته عند الله.

إنما الميزان الذي ينبغي عليك أن تَزِنَ نفسَكَ به هو الدين، إذا كنت مُوفقـاً إلىٰ طاعة الله ﷻ فهذه علامة خير فاثْبُتْ، وسَلْ ربك أن يُديمَكَ علىٰ طاعته وأبشر بالخير، والعكس صحيح، إذا ابتُلِيَ الإنسانُ بالضراء وابتُلِيَ بالمصائب فإن هذا ليس علامةً علىٰ أنّ الله لا يُحب عبده، بل ربما تكون علامةً علىٰ أنه يُحبه، فمن يرد الله به خيراً أصاب منه ﷻ، وأشد الناس بلاءً الأنبياءُ ثم الأمثلُ فالأمثلُ، وهذه فتنةٌ لبعض الناس اليوم.

يقول:كيف يكون المسلمون هم أهل الحق، وهم المحبوبون عند الله ﷻ ، يُحبهم الله ويُكرمهم، ودينهم هو دين الحق، وهذه المصائب والبلايا تنزل عليهم وعلىٰ بلادهم؟

والجواب: كما سبق، الله ﷻ بالمصائب يُهَذّب، والله ﷻ بالمصائب يُثيب، والله ﷻ بالمصائب يُكفر، والله ﷻ بالمصائب يُصلح.

إذن لله ﷻ حكمة بالغة سبحانه في هذه المصائب التي تنزل، هي ابتلاء وامتحان، بها يكون التهذيب والإصلاح، وبها يكون تكفيرُ الذنوب والإثابة بالحسنات، والدنيا دُوَلٌ، لكنَّ العاقبةَ للمتقين ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ﴾ إذن هذا أيضاً من الأمر الذي ينبغي التنبّهُ له، وهو وقوع المصائب والبلايا والمحن في الدنيا لا ينبغي أن يكونَ سبباً لتشكك الإنسان في دينه، فالدنيا كما أسلفت ليست إلا ممرّاً، وليست عند الله ﷻ ذاتَ بال، إنما الشأنُ كلُّه في الآخرة.

الآخرة هي محلُّ النعيم الحقيقي ومحلُّ العذاب الحقيقي، وهناك ينقسم الناس انْقِساماً واضحاً، يكون الفُرقان،يكون التباين، فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير، سيكون هناك أهل السعادة حقًا، وأهل الشقاوة حقًا، فهذا من الأمور التي ينبغي أن تتنبّه لها يا رعاك الله.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الودود الذي يُحب أنبياءه ورسله وأتباعهم ويُحبونه فهو أحب إليهم من كل شيء قد امتلأت قلوبهم من محبته ولَهَجَتْ ألسنتهم بالثناء عليه وانجذبت أفئدتهم إليه وداً وإخلاصًا وإنابة من جميع الوجوه.

الشَّرح

اسمه تعالىٰ «**الودود**»، اسمٌ من الأسماء الحُسنىٰ دالٌ علىٰ صفة الوُدِّ لله جَلَّ وَعَلَا.

والود: هو لُبُّ المحبة وصَفْوُها، واختلف أهل العلم في هذا الاسم:

فمنهم من قال: إن «**الودود**» «**فعول**» بمعنىٰ «**مفعول**» يعني «**مودود**»، يعني «**محبوب**»، يعني الذي يُحبه عباده وأولياؤه.

ومنهم من قال: إن «**ودود**» بمعنىٰ «**اسم الفاعل**»، يعني وادٌّ، يعني محبٌ.

ومنهم من قال: إن «**ودود**» يشمل الأمرين «**اسمَ الفاعل**» و«**اسمَ المفعول**»، وهذا هو الصحيح إن شاء الله تعالىٰ، كما رجحه البغوي، وابن القيم وجماعة من أهل العلم المُحققين.

إذن «**ودود**» بمعنىٰ «**مودود**»، و «**ودود**» بمعنىٰ «**واد**»، فالله يُحب كما أنه يُحَب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ إذن الله عَزَّ وَجَلَّ يتصف بأنه يُحِب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومحبة الله عَزَّ وَجَلَّ مُتعلَّقاتها مختلفة:

فالله عَزَّ وَجَلَّ يُحب ذواتاً: يُحب المؤمنين، ويُحب المتقين، ويُحب التوابين، ويُحب المتطهرين.

والله يحب أعمالاً: فأحب الأعمال إلىٰ الله أدومها وإن قل، والصلاة علىٰ وقتها إلىٰ غير ذلك مما جاء في النصوص.

كما أنه يحب بقاعاً وأماكن: فأحب البلاد إلىٰ الله مكة، وأحب البقاع إلىٰ الله المساجد.

كما أنه يُحب صفاتٍ ﷻ: فالله عفو يحب العفو، جميلٌ يُحب الجمال، وِتر يُحب الوِتر، إلىٰ غير ذلك مما جاء في النصوص.

إذن متعلقات الله ﷻ كثيرة، والله ﷻ يُثبت له أهل السُنة والجماعة -السلف الصالح وأتباعهم- المحبةَ علىٰ ما يليق به ﷻ، فهو يُحب محبةً لا كمحبة المخلوق، محبةٌ ليس فيها له مُشارك ﷻ، علىٰ حد قوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ كما أن الله ﷻ يُحَب، يُحبه أولياؤه، بل محبة الله لُبُّ العبادة، حقيقةُ العبادة ولُبُّها المحبة، فالعبد هو الذي تذلَّلَ لله ﷻ محبةً وتعظيمًا، وياالله العجب من أُناس ينكرون محبة الله، لك أن تعجب أنّ من الناس من يقول: لا يمكن أن يحِب العبدُ ربَّه، هكذا طائفة من أهل البدع، يقولون: المحبة لا تكون من العبد للمعبود، يُمكن أن تكون من المعبود للمعبود، من إنسان لإنسان، لكنْ أن تكون من المعبود إلىٰ الخالق ﷻ فلا.

طيب، ماذا نصنع بقوله تعالىٰ: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ يقولون: هذه محبةُ الثواب، محبة النعم، محبة الجنة، أما أن يكون الله ﷻ هو المحبوب فلا، وهذا ضلالٌ ما بعده ضلال، سبحان الله العظيم، أي شيء ستكون العبادة إذن إذا فُرِّغَتْ من المحبة، بل المحبة لُبُّ العبادة وأهم أقطابها علىٰ الإطلاق.

فالله ﷻ لا شك أنه يُحَب من جميع الوجوه، يُحَب لذاته و يحَب لأسمائه، ويُحَب لصفاته، ويحَب لأفعاله ﷻ.

فالمحبة علىٰ الصحيح ثابتة من الطرفين، فالله ﷻ يُحِب عباده، والعباد يُحبونه، وأقرب الناس إلىٰ الله أعظمهم له محبة، وأكرم الناس عند الله مَنْ أحبهم سبحانه أكثر من غيرهم.

ولذا كان الخليلان عليهما الصلاة والسلام هما أقربَ الناس إلىٰ الله ﷻ وأرفَعَهُمْ درجةً لديه، اتخذهما الله ﷻ خليلَيْن، الله ﷻ اتخذ إبراهيم واتخذ محمداً عليهما الصلاة والسلام خليلين، والخُلة أكمل المحبة، أرفع درجات المحبة هي الخُلة ولذا اصطفىٰ لها

الله ﷻ هذين النبيين الجليلين، والله ﷻ يُحِب نبيه محمد ﷺ أعظمَ من محبة الخليل، ولذا كان هو سيدَ ولد آدم عليه الصلاة والسلام، فهو أفضل الخلق عند الله باتفاق المسلمين.

وتنبه هنا إلىٰ أن الثابت في النصوص فيما يتعلق بهذا الباب، بابِ المحبة الْمُضافة إلىٰ الله ﷻ أن أهل السنة يقفون عند حد ما ورد، والذي ورد في هذا الباب ثلاثة ألفاظ:

- المحبة.
- والود.
- والخُلّة.

دون بقية الألفاظ أو المراتب التي يذكرها العلماء للمحبة، فلا يثبتون مثلاً العِشْق، ولا يثبتون الصّبابة، ولا يثبتون التّتَيُّم، ولا يثبتون الهوىٰ، ولا غير ذلك مما يذكره العلماء لدرجات المحبة الواقعة بين الناس، إنما نُثبت هذه الدرجات الثلاث: المحبة، والود، و الخُلة؛ لأنها هكذا وردت.

و بهذا نعرف أن ما يقع في كلام بعض الناس من قولهم مثلاً: أعشقك يا الله، أو ربما تسمىٰ بعض الناس عاشق الله، أو عاشقُ إلهي، أو يقول مثلاً: أهواك يا الله، هذا كله غلط ولا يجوز، لا يُضاف إلىٰ الله ﷻ من الطرفين، لا من قِبَلِ ربنا لعبده، ولا من قبل العبد لربه.

ولا سيما وأن هذا الألفاظ قد يحتويها ما يحتويها مما لا يليق أن يُضاف إلىٰ الله، فالعشق مثلًا هو محبةٌ مع رغبةٍ في التمكن من المحبوب ومواقَعَتِهِ، ولا شك أن هذا المعنىٰ لا يجوز بحال أن يَخْطُرَ في بال الإنسان، وهو غيرُ مُرادٍ قطعًا لمسلم أطلق مثلَ هذه اللفظة، لكنْ هذا هو معنىٰ هذه اللفظة فيجب أن يُنهىٰ عنها.

كذلك الهوىٰ، الهوىٰ محبةٌ مع الْتِذاذٍ في غير الشرع،يعني بغير ما يُبيحه الشرع، ولذا كان الهوىٰ مذمومًا في عامة النصوص، الهوىٰ لا تجده في النصوص إلا مذمومًا ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ولذا يقولون: الهوىٰ سقطت منه نون الهوان،

فصريع الهوىٰ هو صريع الهوان.

فالمقصود أن علىٰ المسلم أن يتنبه لهذا الأمر، فهو يُثبت لله ﷻ المحبة وعليه أن يجتهد في أن يكون الله ﷻ أحبَّ شيءٍ إلىٰ قلبه، وحينما يصل إلىٰ هذه المرتبة حينها سيذوقُ طعم الإيمان.

«**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربـًا وبالإسلام دينـًا وبمحمدٍ ﷺ رسولاً، وأن يكون الله ورسوله**» كما قال النبي ﷺ: «**أحب إليه مما سواهما**»، هذا الأمر سهل باللسان وبالدعوىٰ، لكنه حين العمل والتطبيق صعب إلا علىٰ من يسّرَ اللهُ ﷻ عليه، وعلامةُ ذلك عند التعارض، إذا أردت أن تعرف مقدار حبك لله ﷻ فتأمل هذا الامتحان العظيم، امتحانَ الْمُعارضة.

المعارضة بين ما يُحبه الله وبين ما يُحبه العبد، فإذا كان الإنسان يُقدِّمُ ما يُحبه الله علىٰ ما تحِبُّه نفسه فليُبشر بالخير، هو صادقٌ في محبته لله، ومحبته لله عظيمة، وإذا كان العكس فعليه أن يُراجع نفسه فإن موافقة المحبوب هي أهم علامات المحبة.

قالت وقد سَأَلَتْ عن حال عاشقها ... بالله صفه ولا تنقص ولا تزد

فلو قلت لو كان رهن الموت من ظمأٍ ... وقلتِ قف عن ورود الماء لم يرد

هذه هي المحبة الكاملة،إذن علىٰ المسلم أن يمتحن نفسه،وأن يُراجع نفسه، وأن يجتهد في تحقيق محبة الله ﷻ، حتىٰ يكون مُحققـًا إيمانه باسمه تعالىٰ الودود.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الفتاح الذي يحكم بين عباده بأحكامه الشرعية، وأحكامه القدرية، وأحكام الجزاء الذي فتح بلطفه بصائر الصادقين، وفتح قلوبهم لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه، وفتح لعباده أبواب الرحمة والأرزاق المتنوعة، وسبّب لهم الأسباب التي ينالون بها خير الدنيا والآخرة، ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾.



اسمه تعالىٰ «الفتاح» دالٌ كما قد سمعت علىٰ معنيين:

علىٰ أنه «الحاكم»، وعلىٰ أنه «الوهاب الرزاق».

أما الأول: فإن الفتح بمعنىٰ الحُكم والقضاء ﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا﴾ أي: أُحْكُمْ بيني وبينهم يا الله، ولا شك أن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة.

فالحكم إليه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، وأصل الحكم في اللغة: هو المنع، وسُمِّيَ الحاكم حاكِماً؛ لأنه يمنع الفساد، لو تُرِكَ الناس بلا حُكْم، لَعَظُمَ حصولُ الفساد بين الناس.

إذن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي يحكم بين عباده في الدنيا وفي الآخرة جَلَّ وَعَلَا فالحكم إنما هو له، والتحاكم لا يجوز أن يكون إلّا إلىٰ شرعه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وقد مضىٰ مَعَنا بعض بيان ذلك في شرح اسم الله «الحكيم»، فالحكيم كما قد علمنا يدل علىٰ معنىٰ الحاكم، ويدل علىٰ معنىٰ الْمُحْكِم، ويدل علىٰ أنه ذو الحكمة، هذا الثلاثةُ معانٍ يَنْتَظِمُها اسمه تعالىٰ «الحكيم».

أما المعنىٰ الآخر: فهو بمعنىٰ الوهاب وبمعنىٰ الرزاق، ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ إذن علىٰ الإنسان إذا أراد نعمةً من النعم فَلْيَطْلُبْها ممن يفتح بها، وممن يُعطيها ويرزقها وهو الفتاح العليم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فعاد معنىٰ هذا الاسم إلىٰ معنىٰ الرزاق وإلىٰ معنىٰ الوهاب.





الرزاق، الرزاق لجميع عباده فما من دابة في الأرض إلا علىٰ الله رزقها، ورزقه لعباده نوعان: رزقٌ عام شمل البر والفاجر، والأولين والآخرين، وهو رزق الأبدان، ورزقٌ خاص وهو رزق القلوب وتغذيتها بالعلم والإيمان، والرزق الحلال الذي يُعين علىٰ صلاح الدين، وهذا خاصٌ بالمؤمنين علىٰ مراتبهم منه بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمته.

الشَّرْح

«**الرَّزْق**» صفة لله ﷻ و«**الرزاق**» اسمٌ له سبحانه، «**الرَّزق**» بالفتح صفته بمعنىٰ الإعطاء، و«**الرِزق**» هو الْمُعطىٰ، انتبه للفرق، هذا رَزق أو رِزق؟ هذا رِزق، وفعل الله الذي هو الإعطاء والمنح منه سبحان هذا يسمىٰ رَزقًا، هذا الأصل في اللغة، وقد يقع وضعُ هذا محلَّ هذا،لكنْ هذا هو الأصل.

إذن الرَّزقُ صفة لله ﷻ فهو الذي يُعطي وهو الذي يمنح وهو الذي يهب ﷻ.

و«الرِّزق» كما نبه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ينقسم إلى قسمين:

ينقسم إلىٰ رِزقٍ عام، وإلىٰ رِزقٍ خاص.

الرِّزق العام: هو كل ما يُنتفع به، سواءً كان من طريقٍ مشروعة أو من طريقٍ غير مشروعة، فكل ما يُنتفع به فهو رزق، وعليه فإن الحرام يُعتبر رزقًا أم لا؟ لو جاءنا إنسان وقال: أنا سرقت هذا وهذا رِزق، عندنا الآن رِزق من الله، هل كلامه صحيح أم لا؟ نقول رِزق بالمعنىٰ العام: نعم، فهو يُنتفع به وإن كان الله ﷻ لم يُحِلَّهُ.

ولذا يدخل هذا في حديث النبي ﷺ -حديثِ الصادق المصدوق -حينما يُرسل الله ﷻ الْمَلَكَ فيكتب للجنين رِزقه، أليس يُرسَلُ بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فهذا مما يُكتب في ذلك الرزق؛ لأنه مما يُنتفع به.

والثاني سَوْقُ القوت للأعضاء ... تلك المجاري سوقها بوزانِ

هذا يكون من الحلال كما يكو ... ن من الحرام، كلاهما رزقان

أما الرزق الخاص: فهو ما أحلَّه الله ﷻ، وهذا الذي يدخل في قوله تعالىٰ: ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ حينما تأتي إلىٰ هذه الآية فتقول: أنفق مما رزقك الله يا عبد الله،ما الذي يدخل من الرزقين الحلال أم الحرام؟ الحلال فقط، أما الحرام فلا يجوز الإنفاق منه، الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً، إذن هذا هو الرزق الخاص، **والرزق الخاص كما بين الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ نوعان:**

رزق القلوب، ورزق الأبدان.

رزق القلوب: بالعلم والإيمان.

ورزق الأبدان: بكل ما ينفعها مما أحل الله ﷻ.

رزق القلــوب العلــم والإيمــان	**والــرزق الْمُعَــدُّ لهــذه الأبــدان**

كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فهما إذن رِزقان: رزقٌ معنوي، ورزقٌ مادي، وهذا هو الـرِّزق الـذي أباحـه الله، والـذي حث علىٰ الإنفاق عليه، أما ذاك الرزق فإنه مما قدّره الله ﷻ، وممـا شـاء الانتفـاع بـه، ولكـنَّ الإنسانَ مُحاسَبٌ عليه، وسوف يُحاسَب الإنسان عليه يوم القيامة، سيُحاسَـب عـن مالـه، مـن أيـن اكتسبه وفيم أَنْفَقَهُ كما ثبت عن النبي ﷺ.

إذن لابد من التفريق بين الأمرين، بعض الناس يقول: الحرام ليس برزق؛ لأنـه تنـاقض أن يَمْنَعَهُ ويُحَرِّمَهُ الله ثـم يأمرَ بالإنفـاق منـه، فهـذا الكـلام يحتـاج إلـىٰ تفصـيل: صـحيح مـن وجه، وغير صحيح من وجهٍ آخر، فالرزق الخاص الـذي أمـر الله بالإنفـاق منـه هـذا الكـلام بناء عليه: الْمُحرَّم ليس برزق، فلا يجوز إطلاق الرزق عليه.

أما بالمعنىٰ العام وهو أنه مرزوق ومُعطىٰ ومُقدّر من الله ويُنتفع به انتفاعـاً ماديـاً ؛ فـإن هذا الكـلام غيـر صـحيح، فـالمحرم رزقٌ بهـذا الاعتبـار، ولـذا لابـد حـين الخـوض في هـذه المسألة من التفصيل والتبيين والتفريق بين النوعين، والله ﷻ أعلم.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الحكم العدل الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة بعدله وقسطه، فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يُحمل أحد وزر أحد ولا يُجازي العبد بأكثر من ذنبه ويؤدي الحقوق إلىٰ أهلها فلا يدع صاحب حقٍ إلا أوصل إليه حقه، وهو العدل في تدبيره وتقديره إن ربي علىٰ صراطٍ مستقيم.

الشَّرح

أشار في هذه القطعة من هذه الرسالة رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ اسمين، الأول: «**الحَكَم**»، والثاني: «**العدل**»، أما «**الحَكَم**» فإنه قد دلت عليه سنة النبي ﷺ كما عند أحمدَ وغيره بإسنادٍ صحيح من حديث هانئ بنِ يزيدرَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إن الله هو الحَكَم وإليه الحُكم**»، ويؤخذ أيضًا بالاشتقاق من قول الله تعالىٰ: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا﴾.

إذن «**الحَكَم**» اسمٌ ثابت لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، و قال بعض أهل العلم: «**الحَكَم**» أفضل من «**الحاكم**»؛ لأن «**الحَكَم**» هو الذي لا يَحْكُمُ دائمًا أو غالبًا إلا بالحق، أما الحاكم فقد يحكم بالحق وقد يحكم بالباطل، ولذا كان اسمه تعالىٰ «**الحَكَم**»، وليس «**الحاكم**».

المقصود أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو «**الحَكَم**» وهو الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة وهو الذي إليه الحُكم، وهو الذي يجب أن يُتحاكم إليه وهو الذي لا يجوز الحُكم إلا بشرعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾.

أما «**العدل**» فإنني لا أعلم له دليلاً بهذه الصيغة، أن الله يُسمىٰ بالعدل، إنما مَنْ ذَكَرَهُ في الأسماء أَخَذَهُ بالاشتقاق من قول النبي ﷺ الثابت في الصحيحين لَمّا قيل: إن هذه قِسمة لم يُعدلْ فيها، قال ﷺ: «**ومن لم يعدل إن لم يعدلِ اللهُ ورسولُه**»، هكذا جاءت الرواية في البخاري وجاءت أيضاً في مسلم «**ومن لم يعدل إن لم يعدل الله ورسوله**»، فالعدل إذن صفة ثابتة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ومَنْ أثبتها، أثبتها عن طريق الاشتقاق من هذا الحديث.

و«**العدل**» وضعُ الشيء مَوْضِعَهُ، وهو ضد الظلم، فالظلم قد حرمه الله ﷻ علىٰ نفسه، ونفاه عن نفسه قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾.

قال الله ﷻ في الحديث القدسي «**يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم مُحرّمـًا**»، فالله ﷻ حرم الظلم علىٰ نفسه وإن كان مقدوراً له، الله علىٰ كل شيءٍ قدير لكنه نزّه نفسَه عنه؛ لأنه لا يليق به، ومن ذلك -أعني من الظلم الذي نزه الله ﷻ نفسه عنه - ما ذكر الشيخ رحمه الله، فالله لا يُعاقب الإنسان بغير عمله؛ لأن له العدلَ التام سبحانه وتعالى، إنما يُجازي الإنسانَ علىٰ أعماله، ﴿هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ فالله لا يحاسب إنسانـًا علىٰ عمل غيره، وهذا من عدله سبحانه وتعالى.

كما أنّ مِنْ عدلِه أنه لا يُضيعُ عملَ عباده، بل يحفظ أعمال عباده ليوفّيَهُمْ إياها، وهذا المقامُ: اللهُ تعالىٰ يفعل فيه الفَضْلَ لا العدل، فالله لا يُجازي الإنسانَ بما يُقابل عملَه من الثواب، بل الله ﷻ لا يُثيب إلا ثوابـًا مُضاعفـًا، وهذا من كرم الله سبحانه وتعالى،لا يقع في ثواب الله أن يُثيب علىٰ العمل بما يُقابله من الثواب، بل يُثيب علىٰ العمل بقَدْرٍ مُضاعف.

ودلت النصوص على أن المُضاعفة تكون على درجات:

الدرجة الأولى: مُضاعفة الحسنة بعشر أمثالها، وهذه أقل درجات الْمُضاعفة، أقل ما يُثاب عليه الإنسان أنه يُقابَلُ عملُهُ بعشر أمثاله من الثواب، وهذا من رحمة الله ﷻ.

الدرجة الثانية: أن يُثاب علىٰ العمل أكثر من عشرة وإلىٰ سبعمائة ضعف.

والدرجة الثالثة: أن يُثاب علىٰ الحسنة أكثر من سبعمائةٍ إلىٰ أضعافٍ لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى.

إذن في باب العقاب: اللهُ ﷻ يتصف بالعدل، وفي باب الثواب: اللهُ ﷻ يتصف بالفضل، وهو محمودٌ علىٰ كليهما.





قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

جامع الناس ليومٍ لا ريب فيه، وجامعُ أعمالهم وأرزاقهم، فلا يترك منها صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، وجامع ما تفرق واستحال من الأموات الأولين والآخرين بكمال قدرته وسعة علمه.

الشَّرح

الله جَلَّ وَعَلَا يوصف بأنه جامعُ الناس ليوم لا ريب فيه، وهو يوم القيامة، وهذا الجمع يكون لذواتِهِم، ويكون لأعمالهم، ليكون الحسابُ فالجزاءُ، الله عَزَّ وَجَلَّ سيجمع الناس جميعًا ولن يفوتَهُ فائت، ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾.

كُلُّ أحدٍ، لا يمكن أن يفوت الله عَزَّ وَجَلَّ أحدٌ، أو يهرب منه أحد، فقد أحصاهم وعدّهم وسيجمعهم جميعًا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يوم القيامة.

وأما أعمالهم فالله عَزَّ وَجَلَّ قد جمعها أيضًا فلا يفوت منها شيء، ولا يَضيع علىٰ الإنسان منها شيء ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

كذلك في حسابها ثم في وَزْنِها فإن الله جَلَّ وَعَلَا لا يُضيع من ذلك شيئًا، فقد جَمَعَهُ جميعًا ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الحي القيوم كامل الحياة، والقائم بنفسه القيوم لأهل السموات والأرض، القائم بتدبيرهم، وأرزاقهم، وجميع أحوالهم، فالحي الجامع لصفات الذات، والقيوم الجامع لصفات الأفعال.

الشَّرح

أشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ هذين الاسمين العظيمين «**الحي**»، و«**القيوم**»، «**الحي**» جاء في مواضع من القرآن، وأما «**القيوم**» فجاء في ثلاثة مواضع، وكلُّها كان فيها مُقترنًا بالحي، في آية الكرسي، وفي مُفْتَتَحِ آل عمران، وكذلك في سورة طه، ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾.

وهذان الاسمان كل واحد منهما علىٰ انفراد، قد دل علىٰ أكمل ما يكون من المعاني، وبضَمِّ الاسمين أحدِهما إلىٰ الآخر يكون كمالٌ فوق كمال، و من أوجه حُسْنِ أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ بل بلوغِها الغايةَ في الحُسْن: أن كل اسمٍ علىٰ انفراد دال علىٰ أحسن وأبلغ ما يكون من المعاني.

فإن أُضيف وقُرِنَ الاسمُ بغيره حَصَلَ من الحُسْن ما هو أبلغ وأبلغ، فمِنْ ذلك اقتران الحي بالقيوم، فإنه دالٌّ علىٰ ثبوت جميع صفات الكمال المطلق لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وذلك أن الحي يستلزم جميع صفات الذات الكاملة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لأن الله هو الحي الحياة الكاملة.

ولازمُ ذلك أن تكون له الصفات الذاتية الكاملة: من العزة، والعظمة، والقوة، والكبرياء إلىٰ غير ذلك.

وأما القيوم فإنه سبحانه الذي له الكمال في القيّوميّة، وهذا يستلزم كمال الصفات الفعلية الاختيارية له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: من الإحياء، والإماتة، والرَّزق، وغيرِ ذلك من الصفات الفعلية له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وباجتماع الصفات الذاتية والصفات الفعلية يكون الكمال المطلق، وهو الذي يتصف به ربنا جَلَّ وَعَلَا.

الصفات الذاتية والصفات الفعلية مضىٰ في درس القواعد المثلىٰ شرح ما يتعلق بهما وذُكِرَ أن صفات الله ﷻ تنقسم بحسب اعتبارات، ومنها انقسامُها بحسب تعلُّقِها بذات الله ومشيئَتِهِ.

وعَلِمْنا أن **الصفات الذاتية:** هي التي لم يَزَلْ سبحانه ولا يزال متّصفاً بها، فلا تنفَكُّ عن الذات العَلِيَّة.

وأما الصفات الفعلية أو الصفات الاختيارية: فهي الصفات المتعلقة بمشيئة الله ﷻ، بمعنىٰ أنه يتّصف بها إذا شاء ﷻ، ولذا تأمَّلِ الفرق بين صِفَتَي الحياةِ والاستواء، أو صِفَتَي العظمةِ و الرضا، تجد أن الصفة الأولىٰ ملازمةٌ للذات لا تنفَكُّ عنها، فلم يزلِ اللهُ ولا يزال حيّاً، ولم يزلْ ولا يزال عظيماً، أما الاستواء مثلاً فالله ﷻ اتصف به لما شاء، والرضا يتصف الله ﷻ به إذا شاء، قال ﷻ ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ ففي هذه الحال رضي الله سبحانه عن هؤلاء المؤمنين.

إذن صفة الحياة صفةٌ كاملةٌ تستلزم جميعَ الصفات الذاتية، فالحي حياة كاملة لابد أن يكون قويـاً، ولابد أن يكون قديراً، ولابد أن يكون كبيراً، ولابد أن يكون عليماً إلىٰ غير ذلك من الصفات الذاتية.

كذلك كونه قيّوماً ﷻ وقيّوميّتُهُ كاملةً كمالاً مطلقاً فإن هذا يستلزم أن يكون ﷻ مُعْطياً ومانعاً، وواهباً ورازقاً، ومُحْيِيًا ومميتاً، إلىٰ غير ذلك من صفات الفعل له ﷻ.

المقصود أن اقتران هذين الاسمين هو من أحسن ما يكون ويدل علىٰ أعظم ما يكون من المعاني، ولذا عَظُمَ شأنُ هذين الاسمين العظيمين إذا اقْتُرِنا.

«الحي» دال علىٰ صفة الحياة، والله ﷻ حي لا يموت ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ حياتُهُ ﷻ حياةٌ كاملةٌ من كل وجه لم تُسْبَقْ بعَدَمٍ ولا يَلْحَقُها فناءٌ ولا يطرأ عليها خللٌ.

«والقيوم» أصلُهُ «قَيْوُوم» فهو علىٰ وزن «فَيْعول»، ثـم حُـذِفَتِ الـواو فصـارت الكلمـة «قيوم»، وهذه الصيغة تدل علىٰ المبالغة يعني: القائم بنفسه المقيم لغيره، إذن هـذا الاسـم يدل علىٰ معنيين: علىٰ معنىٰ غِناهُ بنفسه وعلىٰ معنىٰ افتقارِ كلِّ شيءٍ إليه، وأشـار إلـىٰ هـذين المعنيين ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله:

إحـــداهما القيـــوم: قـــام بنفســـه والفقـــر مـــن كـــلٍّ إليـــه الثـــاني

فهو سبحانه قد قام بنفسه واستغنىٰ عن كل ما سواه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالله جَلَّ وَعَلَا لا يحتاج إلىٰ أحد، والله جَلَّ وَعَلَا يُطْعِمُ ولا يُطْعَم، والله يرزق ولا يُرْزَق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهو الغني الغنىٰ المطلق من كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ،وكل شيء في مقابل هذا محتاج ومفتقِر إليه، بل لا قيام لشيء ولا وجود لشيء أصلاً إلا بإيجاده وإلابتدبيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآيِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ إذن كل شيء فهو فقير ومحتاج إلىٰ الله، الناس وغير الناس ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ إذن الله جَلَّ وَعَلَا يتصف بهذين الأمرين الذَيْنِ انْتَظَمَهُما اسمه الجليل «القيوم».

وقيّوميّة الله جَلَّ وَعَلَا علىٰ عباده، مَنْ آمن بها إيمانـًا صادقـًا فإنه سوف يتعلق قلبُهُ بكلّيّته فيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبالتالي فإنه لا يَفْزَعُ ولا يلجأ ولا يقصُد إلا إياه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنه هو القيوم بكل شـيء، وهـو الذي قامت السـموات والأرض بـأمره، وهـو الـذي يمسـك السـموات والأرض أن تـزولا، وهو الذي أحيا العباد وأغناهم وأعطاهم، وهو الذي يُفْقِرُهُمْ ويمنعهم ويميتهم ثـم يبعـثهم ويجازيهم، وبالتالي فالأمر منه وإليه، وكل شيء راجع إليه، فلأيِّ شيء يلجـأ الإنسـان إلـىٰ غيـره ويتجـه إلـىٰ سـواه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟! فتحقيـق الإيمـان بقيوميـة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يسـتلزم تحقيـقَ الألوهيـة والتوحيدَ الكاملَ لله جَلَّ وَعَلَا: توحيدَ القلب وتوحيدَ الجوارح، والله تعالىٰ أعلم.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

النور: نور السموات والأرض الذي نوّر قلوب العارفين بمعرفته والإيمان به ونور أفئدتهم بهدايته، وهو الذي أنار السموات والأرض بالأنوار التي وضعها، وحجابُهُ النور لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه.

الشَّرح

«**النور**»: من أسماء الله ﷻ كما عدَّهُ غير واحد من أهل العلم، ومنهم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بل ذكر كما في "مختصر الصواعق" أن هذا الاسم قد تلقَّتْهُ الأمة بالقَبول، ودليلُهُ الاشتقاق من قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ والناظر في النصوص بناءً علىٰ هذا يجد أن النور اسم له وصفة له وهو نور السموات والأرض وهو أيضا حجابه؛ فالنور حجاب رب العالمين ﷻ، فكما في صحيح مسلم قال ﷺ: «**حجابه النور لو كَشَفَهُ لأحرقَتْ سُبُحاتُ وجهه ما انتهىٰ إليه بصرُه من خلقه**».

إذن مواضع النور في النصوص فيما يتعلق بالمطالب الإلهية راجعة إلىٰ هذه الأمور الأربعة: «**اسمه، وصفته، وكونه نورَ السموات والأرض، وكونِ حجابِه ﷻ النور**».

وكونُ النور اسمًا له ﷻ دليلُه كما ذكرت لك عند من عدّه من الأسماء: اشتقاقُه من قوله تعالىٰ ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

وكونه صفةً لله ﷻ دليله قوله سبحانه ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ إذا كان يوم القيامة وجاء ربنا ﷻ لفصل القضاء فإن الأرض تشرق بنور الله ﷻ؛ فصفة النور مضافة إلىٰ الله كإضافة بقية الصفات، كإضافة الرحمة وإضافة العلم وإضافة القدرة إليه ﷻ، وهذا مما لا يختلف فيه أهل السنة والجماعة ألبتة؛ فلله ﷻ نور يتصف به لا كنور المخلوقين علىٰ حد قوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾.

وهو تعالىٰ أيضًا نور السموات والأرض، وفَسَّرَ هذا كثير من أهل العلم بأنه مُنَوِّرُهُما، وبناءً علىٰ هذا فالنور يضاف إلىٰ الله ﷻ إضافةَ صفةٍ إلىٰ موصوف، وإضافةَ فعلٍ إلىٰ فاعل، كما بيّن هذا ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "اجتماع الجيوش الإسلامية".

- إضافة الصفة إلىٰ الموصوف: في قوله ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾.

- وإضافة الفعل إلىٰ المفعول: في قوله تعالىٰ ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إذ مما قيل في تفسير هذه الآية ما ذكرتُ لك من أنه مُنوِّرُ السماوات والأرض.

والأمر الرابع: كونُ النور حجابَ الله ﷻ، وجاء هذا في صحيح مسلم، وفي روايةٍ في مسلم جاءت الرواية بالشك: «**حجابُه النور أو النار**» شَكَّ أحد الرواة، «**حجابه النور أو النار**»والأمران لا إشكال فيهما إنْ صحَّتْ هذه الرواية عن النبي ﷺ، فاجتمع الأمران: كون حجابه نوراً وناراً، والنار لا شك أن فيها نوراً، وعليه فحجابه ﷻ إنْ صحت هذه الرواية يجمع بين كونه نوراً وناراً.

وهنا موضعٌ ينبغي التنبه له، فكم زلّت فيه أقدام، وهو أن بعض الناس يختلط عليه النور الذي هو صفةٌ لله ﷻ، بالنور الذي هو مخلوق من مخلوقات الله ﷻ؛ فالنور في الجملة قد يكون صفةً لله، وقد يكون مخلوقاً لله، كالرحمة: هناك رحمة هي صفة قائمة بالله، وهناك رحمة مخلوقة خَلَقَها الله سبحانه كما خلق كل شيء.

كذلك النور: النور القائم بالله ﷻ صفةٌ له، ليس كنور أي مخلوق، أما النور المخلوق فهذا النور الذي ينبعث من الشمس والقمر والمصابيح وغيرِها فهذه مخلوقة لله ﷻ كما قال سبحانه ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ «**جعل**» هنا بمعنىٰ: خلق، يعني: خلق الظلمات والنور؛ فهذا نور مخلوق.

بعض الناس ممن ابْتُلِيَ بشيء من شُبَهِ أهل الحُلول والاتحاد إذا رأىٰ نوراً من الأنوار وربما كان نوراً غير معتاد ظنه أن ذلك من تجلّي الله ﷻ في الشيء الذي رآه فيقع في مَعاطِبَ عظيمةٍ، فتنبه يا رعاك الله إلىٰ هذا الأمر؛ فالنور الذي تراه نورٌ مخلوقٌ ليس هوَ نورَ الله ﷻ، النور المنبسط علىٰ الحيطان وعلىٰ الجبال والأشجار وبقية الأشياء هذا نور مخلوق ليس هو النورَ الذي هو صفةٌ لله ﷻ، وبذلك تنقطع علائقُ أهل الاتحاد من قلوب أهل التوحيد حينما يشهدون الفُرْقان بين الخالق والمخلوق، وبين صفة الخالق وصفة المخلوق.

والنور جعله الله ﷻ صفةً لكتابه وصفةً للإيمان والإسلام الذي يهدي الله ﷻ به أهل الإيمان ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ فهذا نور معنوي يجعله الله ﷻ في قلب مَنْ يشاء من عباده ممن اختارهم لهدايته، ولا شك أن الناس كلَّهم بين رجلين: إما رجلٌ يتخبّط في ظلمة، وإما رجل جعله الله ﷻ في نور، وبحسَب كونِ الإنسان في الظلمة والنور في الدنيا فإنه سيكون كذلك يوم القيامة، وذلك أنه قد صح عن النبي ﷺ أن الناس قُبَيْل مرورهم على الصراط يكونون في الظلمة، الله ﷻ يُلقي على الناس الظلمة، يكونون جميعًا في ظلمة، ثم يعطيهم الله ﷻ نورَهُمْ بحسب أعمالهم جزاءً وفاقًا، كما كان الحال في الدنيا، كما كان الإنسان في الدنيا في نور عظيم أو في نور قليل أو في ظلمة يكون الحالُ كذلك يوم القيامة، ثم يمضي على الصراط بحسب هذا النور.

أخبر النبي ﷺ أن من الناس من يُعطَى نورَه مثلَ الجبل بين يديه، ومنهم من يُعطى نورَه فوق ذلك، أكثرَ من ذلك، وبالتالي فهذا يمضي على الصراط مروراً سهلاً برحمة الله وتوفيقِه، قال: «**ومنهم من يُعْطى نورَه مثلَ النخلة بيمينه، ومنهم من يُعطى نورَه دون ذلك**»يعني: أقلَّ من ذلك، «**حتى يكونَ من يُعطى نورَه عند إبهام قدمه، يُضيءُ تارةً ويَطْفَأُ تارةً**» نورٌ قليلٌ عند إبهام القَدَم، وأيضًا يضيء تارة ويطفأ تارة، فإذا أضاء تقدم وإذا أُطفئ قام، وقف، وهذا كلُّه بحسب ما قدّم في الدنيا، فإن كنت تريد النور عند الله ﷻ يوم القيامة، فاحرص على أن تنال حظَّكَ من النور في الدنيا من العلم بالله ومن الإيمان به ومن القيام بعبوديته ﷻ.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بديع السموات والأرض أي: خالقهما ومبدعهما في غاية ما يكون من الحسن والخلق البديع والنظام العجيب المحكم.



الله جَلَّ وَعَلَا ذكر في كتابه في موضعين أنه ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وذكر طائفة من أهل العلم اسمَ «البديع» ضمن الأسماء الحسنىٰ اشتقاقًا من هذه الآية ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

والإبداع: هو الخلق أو الإحداث أو الإنشاء علىٰ غير مثالٍ سابق، ولاحظ أن الإبداع فيه إحداث مع إتقان، وهذا الذي أشار إليه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن الله جَلَّ وَعَلَا أحدث الخَلْقَ وخَلَقَ الخَلْق علىٰ غايةٍ ما يكون من الحُسْن والإتقان، وهذا معلومٌ في كلام العرب حينما يقال: «هذا شيء بديع» أي: شيءٌ باهرٌ وشيءٌ حَسَنٌ، بل غايةٌ في الحُسْن.

إذن الله جَلَّ وَعَلَا بديعُ السموات والأرض، مُنْشِئُهُما علىٰ غيرِ مثالٍ سابقٍ، مع ما أودع في هذه السموات والأرض من عجائبِ وغرائبِ وبدائعِ إتقانِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لخلقه، ولا شك أنّ هذا صفةٌ لفعلِه سبحانه، فإنه أحسنَ كل شيء خَلَقَهُ، وأتقن كل شيء خَلَقَهُ جَلَّ وَعَلَا.

وإذا أُطلِق «البديع» هكذا وصح في أسماء الله فإنه يدل علىٰ معنىً ثانٍ أيضًا وهو: أنه الذي لا مِثْلَ له، وذلك من قولهم: «هذا بديع» أي: عديمُ المثال، والله جَلَّ وَعَلَا ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ إذن البديع يشتمل علىٰ هذين المعنيين، وكونُ الله جَلَّ وَعَلَا ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾- أي: خالِقُهما وفاطرُهما ومُحْدِثُهُما علىٰ غير مثالٍ سابقٍ مع ما فيهما من العجائب والغرائب - من أعظم الدلائل علىٰ ربوبية الله وعلىٰ إلهيّته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمن أعظم الأدلة علىٰ ربوبية الله وألوهيّته دليلُ الآفاق، دليلُ خلق السموات والأرض وما بينهما، ولو تأملت لوجدت هذا الدليلَ مَبْثوثًا كثيرًا في القرآن، لاسيما ما يتعلق بخلق السموات، فإن الدلائل والبراهين علىٰ ربوبية الله وعلىٰ علمه وعلىٰ قدرته وعلىٰ حكمته في خلق السموات أعظمُ منها في خلق الأرض، بل الأمر كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "مفتاح دار السعادة": أن العجائب في خلق الأرض

كقطرة من البحر إذا ما قورِنَتْ بخلق السموات، ولا شك أن هذا صحيحٌ لا غُبار عليه، فإنّ السماوات أعظمُ وأشدُّ خَلْقًا وأكبرُ وأوسعُ وأكثرُ غرائبَ من الأرض بما لا مقارنة فيه، يَعْرِفُ هذا مَنْ يُحْسِنُ التأمّلَ في هذه الآيات العجيبة للسموات؛ ولذا فإنه لا تكاد تجد سورةً في القرآن كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ إلا وقد ذُكِرَتْ فيها السموات، بل السموات وما في السموات من أكثر ما أقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به، فهو سبحانه قد أقسم بالسموات وما فيها في مواضعَ كثيرة ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾إلىٰ غير ذلك من المواضع التي أكثر فيها سبحانه من الإقسام بالسموات وما فيها، وإقسامُهُ تعالىٰ بشيء - وله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، والمخلوقُ ليس له أن يُقْسِمَ إلا بالله العظيم- دليلٌ علىٰ عظمته وأنه آية وبرهانٌ علىٰ ربوبية الله وإلهيّته، وهذا من الحِكَم التي تَلْتَمِسُها إذا تأملت في أقسام القرآن.

إذن كلّما كَثُرَ القَسَمُ بشيء كان دليلاً علىٰ أنه آيةٌ عظيمةٌ علىٰ ربوبية الله وألوهيّته، وهذا الشأن في السموات؛ ولذا فرعون لما أنكر استكباراً ربَّ العالمين وسأل سؤالَ المستهزئ المستخِفّ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ عرَّفه موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بربه أوّلَ ما عرّفه بأنه رب السموات والأرض ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ فدل هذا علىٰ أن خَلْقَ الله جَلَّ وَعَلَا وربوبيَّتَهُ للسموات والأرض من أعظم الأدلة والبراهين علىٰ ربوبيتِهِ وألوهيّتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا يا أيها الإخوة من الأمور التي ينبغي أن نتواصىٰ بها، فما أكثرَ الغفلة عنه: ألا وهو التأمل والتفكر في آيات الله الكونية؛ فإن العزوف عن ذلك والغفلةَ عنه علامةٌ علىٰ نقصٍ في الإنسان ﴿وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ﴾.

فالله جَلَّ وَعَلَا خَلَقَ هذه السموات وهذه الأرض وما فيها من العجائب والغرائب؛ لأجل أن تكون لنا عبرةً نستدل بها علىٰ ربنا جَلَّ وَعَلَا وعلىٰ نعوته وجلاله وجماله وعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكثيرٌ من الناس يَلْهىٰ في هذه الدنيا وفي هذا العالم ويَغْفَلُ عن التأمل، ربما تمرُّ عليه الأيام بل الشهور وربما أكثر: وما جلس مع نفسه جَلسةً وتأمل وتفكر، ولا شك أن هذا من الحرمان، بل ينبغي عليك رعاك الله أن تتأمل كثيراً في ذلك، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيراً ما يرفع رأسه وينظر إلىٰ السماء عليه الصلاة والسلام، فهذا من الأمور التي ينبغي علينا أن نتواصىٰ بها، وأوصيك في هذا المقام بقراءة كتابٍ نافعٍ مفيدٍ يدلُّك علىٰ طَرَفٍ من هذه العجائب

والغرائب والآيات والبراهين في خَلْقِ الله ﷻ في الآفاق وفي النفس فيفيدَك علمـاً ويُكسبك إيمانـاً بإذن الله ﷻ، وهو ما سطَّره ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه العظيم "مفتاح دار السعادة" فإنـه فيما أعلم لا نظير له في هذا البـاب، ولاسيما في شـطره الثـاني الـذي خصَّـهُ في بيـان عجائـب مخلوقات الله وتأمُّلِ ما فيها من الحِكَم، فهو كتابٌ لا يستغني عنه طالبُ علـم، ويُفيـد كثيـراً كلَّ مسلم، ولاسيماَ في هذه الأيام التي هاجت فيها تيارات الإلحاد والمادية واللادينية التي شكّكت الناس ولا سيما الشباب في شأن ربوبية الله ﷻ وصحة الرسالة الْمُحمّديّة، فاعتناء الإنسان بمثل هذه الكتب والمواضع التي تزيده إيمانـاً وتَعْصِـمُهُ بتوفيـق الله مـن الوقـوع في الزلل والتشكيك هـذا مـن أهـم المهمـات في هـذا العصـر، وأعيـد لاسيما في شـأن الشـباب والناشئة فإنهم هم المستهدفون غالبـاً من سهام هؤلاء –قـاتلهم الله– ، فهـذا الكتـاب ينبغي أن يكون لك معه إن كنت حريصـاً علىٰ الفائدة جَـوْلات وقـراءات وتـأمُّلات، وأظـن أنـك ستستفيد كثيراً إن قرأت فيه.





القابض الباسط: يقبض الأرزاق والأرواح ويبسط الأرزاق والقلوب وذلك تبع لحكمته ورحمته.

الشَّرح

«القابض الباسط» اسمان لله دليلُهما ما خرّجه الخمسة إلا النسائي بإسناد صحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله هو المُسعِّرُ القابضُ الباسطُ الرازق**» فهذا الحديث دل علىٰ هذين الاسمين لله جَلَّ وَعَلَا، ويمكن أن يقال أيضـًا: إنهما أُخِذا من الاشتقاق في آية ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ فإذن دليلان علىٰ إثبات هذين الاسمين لله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **«القابض، والباسط»**.

القبض في اللغة: هو الطَّيُّ، **والبسط في اللغة:** هو النّشر.

والقبض والبسط المضاف إلىٰ الله جَلَّ وَعَلَا له أوجه كثيرة؛ فالله سبحانه يبسط الأرزاق والنعم وينشر فضله في عباده كما أنه يقبض ويُقتِّرُ إذا شاء سبحانه لحكمة راجعة إليه ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُ﴾ فإنَّ من الناس من يُصْلِحُهُمُ الغنىٰ فيَمُنُّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عليهم ويبسط في الرزق، ومن الناس من يُصْلِحُهُمُ الفقر فيَقْدُرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عليهم في الرزق، والعبدُ في غفلة لا يدري عن المصلحة في هذا وفي ذاك، والله له حكمة بالغة في كل ما يُقَدِّرُ سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

كما أن الله جَلَّ وَعَلَا يقبض الأرواح ويميتها ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ وقبضه تعالىٰ لأرواح العباد هو بأمره، وبواسطة الملائكة الذين يأمرهم بذلك: ملكُ الموت وأعوانه﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾.

وكذلك هو سبحانه يبسط القلوب والصدور ويشرحُها بالإيمان ومعرفته والعلم به وعبادته وذِكْره سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والعكس بالعكس؛ فالله جَلَّ وَعَلَا يضيِّق صدور البعيدين عنه والنائين عن شرعه، حتىٰ كأن صدورهم وأرواحهم تَصْعَدُ إلىٰ السماء فيضيق عليها الخناق وتكاد أن تَتْلَفْ، وذلك أن الإيمان هو روح القلوب، والله جَلَّ وَعَلَا هو الذي يُحْيي العبادَ بالإيمان

أو يميتهم، الحياة الحقيقية حياةُ القلوب هي علامة وميزة الإنسان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ فهذه هي الحياة الحقيقية، وهذا هو البسط النافع، البسطُ للقلوب والصدور الذي تنشرح به النفوس وتسعد ولو كان قد قُتِّرَ عليها وقُدِرَ عليها رزقُها، ولو كانت مبتلاة، ولو كانت في مصائب، ولذا أهل الإيمان الذين عَمَرَ اللهُ ﷻ قلوبَهُم به تجدُ أحدَهُمْ في مصيبةٍ وفي محنة وفي مرض، أو في فقر أو في سجن ومع ذلك إذا سُئِلَ عن حالِهِ فإنك تجدُهُ منشرحَ النفس مطمئنًا هادئَ البال يَنْطِقُ من قلبه بقوله: «الحمد لله» وهذا من توفيق الله ﷻ؛ وذلك أنّ قلبَهُ سعيدٌ ومنشرحٌ ومطمئنٌّ لقُرْبِهِ من الله ﷻ، وما بعد ذلك فأمرُه هيِّن، شأنُ الحياة شأنٌ هيّن؛ لأنها مرحلةٌ مؤقّتةٌ، مرورٌ وليست مقرّاً، وبالتالي المقصود أن يُحصِّلَ فيها الإنسان الغايةَ من خلقه، فإذا تحصّلَ ذلك كان ما عداه أمراً هينـًا، وليس المقصود أنه ينخلع من الإنسان شعورُهُ بالْمُؤْلِم، إنما المقصود أن يَغْلُبَ عليه إذا أصيبَ بذلك -يعني بالشيء المؤلم والمصائب ونحوها-يغلُب عليه أن يكون منشرحَ النفس هادئ البال ساكنـًا ؛ لأنه تَمُرُّ علىٰ قلبه أنواعٌ من رحمات الله ﷻ التي تكون جزاءً علىٰ أعماله الصالحة، وبالتالي فإنه لا يبالي كثيراً بما سوىٰ ذلك.

أيضـًا الله ﷻ يقبض السموات والأرضَ يومَ القيامة، يقبض ذلك قبضـًا حقيقيّـًا، وهذا فعلٌ يكون منه ﷻ حقيقيـًا، وبيّن ربنا ﷻ ذلك في قوله ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ وبيّن هذا نبيُّه ﷺ في غيرما حديث، في الصحيحين وغيرهما؛ فالله يقبض الأرض ويطوي السموات ﷻ بيده، يدُهُ حقيقةٌ، وقَبْضُهُ حقيقةٌ نؤمن به علىٰ ما أخبر ربنا ﷻ، وعلىٰ ما يليق به ﷻ، ليس كقبض المخلوق، ويَدُهُ ليست كَيَدِ المخلوق ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ فهذا بعض ما يتعلق بصفة القبض والبسط لله ﷻ.

والإيمان بهذين الاسمين وهاتين الصفتين: يورث في العبد تحقيقَ توحيد الربوبية، لأنه يَشْهَدُ أنّ كُلَّ حركةٍ في الدنيا فهي من بَسْطِ الله ﷻ، وأنَّ كُلَّ سكونٍ فهو من قبض الله ﷻ، فتدبيرُ كلِّ شيءٍ في العالم العلوي والسفلي يدور علىٰ هاتين الصفتين: «القبض»

و«**البسط**»، وذلك راجعٌ إلىٰ حكمة الله ﷻ، فإذا بَسَطَ الله فذلك لحكمة بالغة، وإذا قبض الله فذلك لحكمة بالغة.

أخيراً، يجدر التنبيه علىٰ أن العلماء -علماءَ أهل السنة- ينبّهون علىٰ أن هذا الاسم «**القابض**» لا يُطْلَقُ إلا بما يقارنه وهو «**الباسط**»، وكذلك ما سيأتي: «**المانع**» مع «**المعطي**»، وغيرُ ذلك مما سيأتي الحديث عنه إن شاء الله،فهذه الأسماء تُدعَىٰ عند العلماء بالأسماء المزدوجة، وفيها يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا ومن أسمائه ما ليس يطلق ... بل يقال إذا أتىٰ بقِران

وهي التي تدعىٰ بمزدوجاتها ... إفرادُها خطر علىٰ الإنسان

يعني: لا يحسن بك أن تُطْلِقَ اسمه «**القابض**» فحسب فتقول: الله القابض، إنما يكون الكمال بضم اسمه «**القابض**» إلىٰ اسمه «**الباسط**» فتقول: القابض الباسط، كذلك «**المانع**» تضمُّهُ إلىٰ «**المعطي**» فتقول: المانع المعطي؛ وذلك لأن الكمال إنما يتحقق بهذا الاقتران، أما لو أَطْلَقْتَ القبض أو المنع فحَسْب فربما توهَّمَ متوهِّمٌ أنَّ مَنْعَهُ سبحانه أو قَبْضَهُ كان لعجزه أو بُخْلِهِ وحاشا ربَّنا ذلك ﷻ؛ فالكمال في أن يجتمع الأمران وهو أنه يعطي ويمنع ﷻ، وتنبَّهْ هنا إلىٰ أنَّ مُرادَ العلماء حينما يأتون إلىٰ هذا الموضع هو في الاسم الذي قد يوهِمُ النقصَ إفرادُه، أما الاسم الذي لا يوهم و هو مقابله فلا مانع من إفراده بمعنىٰ: لا مانع من إفراد «**الباسط**»، ولا مانع من التعبيد له فيقال «**عبد الباسط**»، إنما الذي لابد من حصول الاقتران فيه هو«**القابض**»؛ لأنه هو الذي قد يحصل نوع من الاشتباه بإفراده فيزول هذا بضمِّه إلىٰ ما يقابله، أما «**المعطي**» وحدَه فلا بأس، ودليلُ هذا ما ثبت في "صحيح البخاري" من قوله ﷺ: «**واللهُ المعطي وأنا قاسم**» تلاحظ أن النبي ﷺ ذكر في هذا الحديث اسمَه «**المعطي**» فقط، ولم يَقْرِنْ معه «**المانع**» فدل هذا علىٰ أن إفراد هذا الاسم وحدَه لا بأس به؛ لأنه يدل علىٰ كمالٍ لا نقص فيه، وإن كان ضمُّهُ إلىٰ المانع أكمل، لكن هو في ذاته كمال، فدل هذا علىٰ أن هذه القاعدة عند العلماء مقيّدةٌ بهذا الأمر وليس تنسحب علىٰ كِلا الاسمين، إنما علىٰ الاسم الذي إذا أُفْرِدَ ربما أوهم نقصاً، والله تعالىٰ أعلم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المعطي المانع: لا مانع لما أعطىٰ ولا معطي لما منع، فجميع المصالح والمنافع منه تطلب وإليه يرغب فيها فهو الذي يعطيها لمن يشاء ويمنعها من يشاء بحكمته ورحمته.



«**المعطي المانع**» اسمان لله جَلَّ وَعَلَا، دل علىٰ «**المعطي**» الحديث السابق «**والله المعطي وأنا قاسم**» وأُخِذا بالاشتقاق أيضاً من قول النبي ﷺ في الذكر الذي يكون بعد الصلاة «**اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت**».

فالله جَلَّ وَعَلَا هو المعطي علىٰ الحقيقة وهو المانع علىٰ الحقيقة، وأما مَنْ سواه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الخلائق فإنما يَقْسِمون ما أعطىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فالله جَلَّ وَعَلَا هو الذي يَهَبُ وهو الذي يرزق وهو الذي يمنح ويعطي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإذا كان عند العبد شيء أعطاه فإنما هو في الحقيقة يَقْسِمُ من رزق المعطي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إذن الإعطاء حقًّا ابتداءً وانتهاءً وكذلك المنع راجعٌ إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالله هو الذي يرزق ويعطي ويهب، يعطي الإيمان مَنْ شاء ويمنع الإيمان مَنْ شاء، ويعطي الأرزاق الدنيوية من شاء ويمنعها من شاء، وكل ذلك راجع إلىٰ حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فعطاؤُهُ راجعٌ إلىٰ حكمته فهو يعطي العطاء الذي يضعه في محلِّه المناسب له، فلا تعارض بين عطائه وجوده وكرمه وبين حكمته، وهذا أحسن ما يكون من الكمال أن يكون العطاء والجود والكرم في محله المناسب له.

وكذلك الشأن في المنع: الله إنْ مَنَعَ ليس هذا عن بخل وليس هذا عن عجز حاشا وكلا، بل هذا لحكمة له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فكان هذا المنع حكمة وعدلاً من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إذا مَنَعَ نعمته وفضله عن محلٍّ ما فذلك لعلمه أن هذا المحَلَّ لا يليق به هذا الفضل وهذه النعمة فاقتضت حكمته المنع.

إذا منع الله عَزَّ وَجَلَّ أحداً الإيمان لم يكن هذا ظلماً من الله، بل هذا منه سبحانه عدل؛ لأن

مَنْعَهُ الإيمان لمن شاء راجعٌ إلىٰ إيقاع عقوبةٍ عليه، وإيقاعُ العقوبة عَدْلٌ محمود، وهذا الموضع يحتاج إلىٰ بسط طويل.

المقصود أن علىٰ الإنسان أن يوقن يقينـًا لا شك فيه أن الله ﷻ عدلٌ لا يظلم؛ فإذا مَنَعَ أيَّ شيءٍ فإنما مَنْعُهُ سبحانه راجع إلىٰ عظيم حكمةٍ له ﷻ، وحكمةُ الله حكمةٌ واسعة بالغة عظيمة، وأنّىٰ لعقول العباد أن تحيط بها ؟! بل ما يَعْلَمُهُ العباد من حكمة الله إنما هو كقطرة من بحر، العبد ناقص وعاجز وعَقْلُهُ محدود وضعيف، فكيف يروم أن يحيط بحكمة الله ﷻ العظيمِ الكبيرِ الحكيمِ الواسعِ ﷻ ؟!، لكن يكفيك أن تؤمن في الجملة أن الله يعطي بحكمةٍ ويمنع ﷻ بحكمة.

إيمان المسلم بأن الله ﷻ هو المعطي وهو المانع، يكسبه الطُّمأنينة والسكينة ويجعله هادئًا مرتاح البال في الدنيا ليس فزعـًا ولا مضطربًا ولا قلقًا، بل هذا شأنُ من ضَعُفَ إيمانُهُ بهاتين الصفتين، وذلك أنَّ كلَّ شيء فخزائِنُهُ بيد الله ﷻ، والله قدّرَ كل شيء: الأرزاق والأعمال، وكلُّ شيء قد قدّره الله ﷻ وكَتَبَهُ، فإذا أعطاك الله شيئاً أو قدَّرَ لك عطاءً فلا يمكن أن يَذهَبَ عنك هذا العطاء ولا يمكن لأحد أن يَحولَ بينك وبينه فاطمئن، وإنْ كان الله ﷻ مَنَعَكَ إياه فاطمئنّ، فالله ﷻ إنما منعك إياه لحكمة بالغة.

وعطاءُ الله ﷻ قد يكون بالمنع، مَنْعُهُ عطاءٌ ﷻ ؛ لأنه إذا منعك شيئـًا فلعِلْمِهِ بأنه لا يصلُحُ لك، وربما كان سببَ مفسدة وطغيان ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ﴾ فيطمئن الإنسان ويسكُنُ ويهدأ ولا يضطرب، وأمرٌ آخر و هو: أن إيمانَه بعطاء الله ﷻ ومنعِه وأن ذلك منه وإليه ﷻ يحقّق له معنىٰ العبودية الخالصة له، وبالتالي يذهب مِنْ قلبه كل تعبُّدٍ وذُلٍّ للمخلوق، وذلك أنّ بعض الناس إذا أعطاه مَنْ أعطاه فإنه يشعرُ بمِنّةٍ عظيمةٍ، ويرىٰ أن هذا المخلوق قد تفضل عليه بفضل عظيم، ويكون قلبُهُ مُنْبَسِطـًا بالشعور بالمنة له وبالتفضل عليه، وهذا كلُّه ليس من تحقيق التوحيد، تحقيق التوحيد يقتضي أن تشهدَ المعطيَ الحقيقيَّ وهو الله ﷻ، أما المخلوق فله الشكر، تشكره؛

لأنه لا يشكرُ اللهَ مَنْ لم يشكرِ الناس، تشكره وتثني عليه وتجازيه إن استطعت، أما الشعور بالمنة والتفضل وأن العطاء قد حَصَلَ من فلان، وبالتالي يحصل الذل لهذا المخلوق، فهذا ليس من تحقيق التوحيد، فهذا من الأمور التي ينبغي أن تتنبه لها، **مُحققِّوا التوحيد هم بين أمرين:**

أولًا: يحرصون على أن لا يسألوا الناس شيئًا، قلوبُهُمْ معلَّقةٌ بالله ﷻ، هو الذي قال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ وبالتالي فإنهم لا يلتفتون إلى الناس ولا ينظرون إليهم، وبالتالي فإنهم لا يَحْسُدونَهُمْ ؛ لأنه أصلاً لا نَظَرَ لهم إلى ما في أيديهم، قلبُهُمْ معلّقٌ بالله ﷻ، هكذا الكُمَّلُ من أهل التوحيد، وهذا الذي كان يربّي النبيُّ ﷺ أصحابَهُ عليه، وفي عدة أحاديث في السنن والصحاح وغيرها أخذ العهدَ النبيُّ ﷺ على بعض أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئًا، تكميلاً وتتميماً للتوحيد والتفريد وأن يكون اعتمادهم والْتفاتهم وتعلُّقُهم على الله ﷻ وحدَه، لا يسألون الناس شيئًا، حتى إنّ أحدهم ربما كان على بعيره فسقط سوطه فلا يسأل مَنْ بجواره أن يعطيَه إياه، بل ينزل ويأخذ سوطَه بنفسه، وهذا لا شك أنه من كمال التوحيد، وفي صحيح مسلم لَمّا ذكر النبي ﷺ أهل الجنة الثلاثة قال: «**وعفيفٌ متعفِّفٌ ذو عيال**» «**عفيف**»: لا يسأل وهو محتاج، ومع ذلك لا يمكن أن يُذِلَّ نفسَه لأحد، بل و «**متعفف**»: يصابرُ نفسَهُ ويجاهدُها على التعفف، وقال بعض الشراح: بل هو الذي إذا أعطيَ دون سؤال لا يأخذُ مبالغةً في التعفف مع أنه يجوز له، لكنْ عنده من كمال الثقة بالله والاعتماد عليه والأَنَفَةِ من الذل للمخلوق ما يجعله لا يقبل شيئًا مع كونه محتاجًا، قال في الحديث «**ذو عيال**» عنده أسرة وعنده مسؤوليات وحالتُهُ ضعيفة، ومع ذلك لا يَذِلُّ لمخلوق ولا يمُدُّ يدَه إليه، بل إذا أعطيَ لا يقبل، بشّره النبي ﷺ بأنه من أهل الجنة.

إذن من كمال التوحيد أن تشهد عطاءَ الله ﷻ، وبالتالي فيلتفتْ قلبُك إليه ويعتمدْ عليه ويسألْه هو وحده لا شريك له.

ثانيًا: الحال الثانية: أنه إذا أعطيَ وإذا أهديَ له وإذا وُهِبَ فإنه يشهد أولًا منةَ الله ﷻ لا منةَ المخلوق، يستحضر قولَه ﷺ «**والله المعطي وأنا القاسم**» فهذا المخلوق مجرّدُ

وسيلة، الله ﷻ أعطاك من خلاله، فعليك أن تشهد منّةَ المعطي، لا منّةَ القاسم مع شكره والثناء عليه، لكنْ قلبُكَ يشهدُ الذلَّ لله تبارك وتعالى لا للمخلوق، فهذا من الأمر المهم الذي ينبغي أن نستفيدَه من إيماننا باسمه تعالىٰ «**المعطي**»، وكذلك من الإيمان باسمه «**المانع**».

إذا مَنَعَ اللهُ ﷻ فعليك أن ترضىٰ بقضائه سبحانه وتعالى؛ فالله مَنَعَكَ لحكمة، وعطاءُ الله ﷻ خيرٌ، ومَنْعُهُ أيضًا خيرٌ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

ومن ذلك أيضًا أن علىٰ الإنسان أن يعطي؛ فالله ﷻ هو الْمُعطي ويحب من عباده أن يُعْطوا، والله ﷻ حينما أعطاك يا أيها الْمُعطَىٰ ويا أيها المرزوق فهو قد ابتلاك، كما أنه ابتلىٰ ذاك بالمنع ليبتليَ صبرَهُ، فقد ابتلاك بالعطاء لينظرَ كيف تصنع، ولذلك تأمّلْ في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ ثم قال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يعني: سوف يحاسبكم ويجازيكم؛ لأن القضية قضيةُ امتحانٍ وابتلاءٍ، فهو إذا بَسَطَ عليك في الرزق ابتلاكَ كما أنه إذا قَبَضَ سبحانه وقَدَرَ عليك رزقَكَ فهو ابتلاء، إذن عليك أن تراعيَ هذا الأمرَ وعليك أن تحرصَ علىٰ أن تكونَ الْمُعطي وأن لا توكِيَ فيوكِيَ الله عليك، ولا تمنعَ فيمنعَكَ الله، ولا تُقَتِّرْ فيقترَ الله ﷻ عليك، وكلّما كنت أكثر عطاءً في سبيل الله ﷻ كان هذا بابًا من أبواب الرزق، وهذا معلوم بالدليل وبالمشاهدة؛ فلا يمكن أن تكون الصدقة منقصةً للمال، بل هي في الحقيقة عند أهل الإيقان سببٌ لزيادته، أسأل الله أن يرزقني وإياكم هذا الإيقان.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الشهيد: أي المطلع على جميع الأشياء، سمع جميع الأصوات خفيها وجليها وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليلها صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه.

الشَّرح

«**الشهيد**» «**فعيل**» بمعنى «**فاعل**»، والشهادة في أصلها تُطلق على أمور، وبالتالي فإن **الشهيد في أسماء الله جَلَّ وَعَلَا يدل على أمور:**

أولًا: الشهادة بمعنى الحضور، يعني مقابلَ الغَيْبة ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾يعني: مَنْ حَضَرَ الشهر فليصمه، وبالتالي فإن الله جَلَّ وَعَلَا مُطَّلِعٌ على عباده فتكون هذه الصفة دالةً على صفة المعيّة لله جَلَّ وَعَلَا: المعيّةَ العامة، معيةَ العلم والسمع والبصر والقدرة والإحاطة، فالله جَلَّ وَعَلَا ليس بغائب عن خلقه ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ بل الله جَلَّ وَعَلَا شهيد يطّلع على كل شيء ولا يخفى عليه شيء ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ إذن الله جَلَّ وَعَلَا شهيد بمعنى مطّلع ولا يغيب عنه شيء سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

ثانياً: معنىً قريب ذكره العلماء، وهو بمعنى العليم، وهو ليس ببعيد عن المعنى السابق، وبعض أهل العلم يخُصُّ الشهادةَ بالعلم بالظاهر أو بظواهر الأمور **وبالتالي فتكون المراتب ثلاث:**

١) العلم بالظاهر، ويدل عليه اسمه «**الشهيد**».

٢) والعلم بالبواطن، ويدل عليه اسمه «**الخبير**».

٣) والعلم العام الشامل مطلقاً بالظواهر والبواطن، ويدل عليه اسمه سبحانه «**العليم**».

الأمر الثالث الذي يدل عليه اسمه «الشهيد»: أنه الذي شَهِدَ لنفسه بالوَحْدانية ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وهذه أعظمُ شهادةٍ من أعظم شهيدٍ على أعظم مشهودٍ به: وهو انفراده تعالى بالألوهية جل ربنا وعز، وشهادته لنفسه بالوحدانية تتضمن إعلامَهُ وإخبارَهُ بذلك مع علمه به سبحانه وبيانِه وإلزامِه.

إذن عندنا أربعة أمور:

١) فالله أخبرَ وأعلمَ بأنه لا إله إلا هو، وهذا كثير في الكتب السماوية جداً وفيما أوحاه الله إلى أنبيائه.

٢) ثم هو يعلمُ سبحانه أنه لا إله إلا هو، و الشهادة لابد فيها من العلم ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

٣) ثم أبان ﷻ أنه لا إلا هو، وأقام الدلائل والبراهين المسموعة والمرئية على أنه لا إله إلا هو، وأعظمُ الدلائل على الإطلاق وأكثرُها وأوضحُها هي الدلائل الدالة على وحدانيته ﷻ.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

٤) والأمر الرابع: أنه أَلْزَمَ وأَمَرَ وقضى جميعَ العباد أن يوحّدوه سبحانه في ألوهيّته ﷻ.

إذن هذا مقتضى شهادته لنفسه بأنه لا إله إلا هو.

الأمر الرابع الذي يتضمنه اسمه تعالى «الشهيد»: أنه الذي يشهد على عباده بأعمالهم يوم القيامة فهو يُحْصيها عليهم في الدنيا ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ والله ﷻ أحصى كل شيء، وإنْ كان العبادُ ينسَوْنَ ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ ثم ينبئُ العبادَ يوم القيامة ويذكِّرُهُمْ ويحاسبُهُمْ على ذلك.

إذن انتظم معنا في اسمه تعالى «الشهيد» هذه المعاني الأربعة.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المبدئ المعيد، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ ابتدأ خلقهم ليبلوهم أيهم أحسن عملا، ثم يعيدهم ليجزي الذين أحسنوا الحسنىٰ، ويجزي المسيئين بإساءتهم، وكذلك هو الذي يبدأ إيجاد المخلوقات شيئًا فشيئًا، ثم يعيدها كل وقت.

الشَّرْح

ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذين الاسمين «**المبدئ والمعيد**»، وهما مستفادان بالاشتقاق من قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ وجاء النص علىٰ هذين الاسمين في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي وغيره في سرد الأسماء الحسنىٰ، نُصَّ في هذا السرد علىٰ اسمَي «**المبدئ والمعيد**»، والحديث كما تكرر غير مرة ليس بثابت عن النبي ﷺ، والأصح أنه مشتقٌ أن هذين الاسمين يُشْتَقّان من هذه الآية التي سمعت، ومعنىٰ كونه جَلَّ وَعَلَا «**مبدئًا معيدًا**»: أنه متصف بالإبداء والإعادة، أي هو الذي أنشأ خلقَه علىٰ غير مثال، ثم يعيدُهم بعد فنائهم، وهذا وصفٌ مختصٌ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يَشْرَكُهُ فيه غيرُه، فهو الذي خَلَقَ الخَلْق من عدم، خَلَقَهُمْ من لا شيء، ثم يعيدُ تركيبَهُمْ كما خَلَقَهُمْ أول مرة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ﴾ وكلا الأمرين هيّنٌ علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فاللهُ لا يُعْجِزُهُ أن يوجِدَ ويُنْشِئَ ويُحْدِثَ من العدم، أو أن يُعيدَ شيئًا كان موجودًا ويُنْشِئُهُ من أصلِهِ تارةً أخرىٰ، والإبداءُ والإعادةُ يمكن أن تكون أعمَّ من ذلك، فالله يُبْدِئُ كلَّ شيءٍ في هذا الخَلْقِ ويعيدُه، ولذا فالأرض مثلاً يَبدأ الله جَلَّ وَعَلَا فيها الإنباتَ ويحييها بإنزال المطر فيظهر فيها النبات والزرع، ثم يعود بعد ذلك فيكون هشيمًا تَذْروه الرياح، ثم يعيدُ الله جَلَّ وَعَلَا إنباتَهُ تارةً أخرىٰ، إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهكذا دوالَيْك.

وهكـذا العبـاد يخلقُهـمُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا، ويعيشـون في هـذه الحيـاة، ويَكُـدّون ثـم ينـامون ثـم يعيدهم الله عَزَّ وَجَلَّ إلىٰ هذه الحياة، وهكذا ما شاء الله أن يبقَوْا في هذه الدنيا.

إذن الله ﷻ يُبدئ ما شاء ويعيد ما شاء ﷻ، وبالتالي فيكون أظهرُ معاني المبدئ المعيد هو الخالق والباعث، يعني الذي يخلق من العدم والذي يبعث بعد الموت ﷻ، وقضيةُ الخلق كانت قضيةً مُسَلَّمَةً عند المشركين، أما قضيةُ البعث فلها عندَهُمْ شأنٌ آخر، إذ أنكروها أشدَّ الإنكار، فأعظمُ قضيّةٍ أنكرَها المشركونَ الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ، هي قضيةُ التوحيد، ثم قضية البعث ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ مع أنهم لو عَقِلوا لأدركوا أنّ ما أقرّوا به وهو الخلق من العدم أهونُ من الإعادة بعد الموت، هم يقرّون بأن الله خالقُهم من العدم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ ومع ذلك ينكرون البعث بعد الموت، ولذا ألزمَهُمُ اللهُ ﷻ بذلك، ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وهذه حجّةٌ مُلْزِمةٌ لهم، والله ﷻ أعاد في هذه الدنيا إلىٰ الحياة مَنْ مات في قصصٍ كثيرة جاءت في كتاب الله وتداوَلَتْها الأمم، ولم ينكرْها أحدٌ لا من هؤلاء المشركين ولا من غيرِهِمْ، وقد قَصَّ اللهُ ﷻ لنا ذلك في كتابه في مواضعَ وفي سور عديدة لاسيما في سورة البقرة، ليكون هذا دليلاً علىٰ أن هذا الأمر سهلٌ ميسورٌ لله ﷻ، لا مشقَّةَ علىٰ الله ﷻ فيه، وبالتالي فأيُّ استبعاد له، فالله علىٰ كل شيء قدير ﷻ، والمقصودُ أن ابتداءَ الخلق وإعادتَه لله ﷻ فيه حكمة بالغة، فالله خَلَقَ الخلْق كما عَلِمْنا بالحق، وهذا الحقُّ يتضمّن غايَتَيْن، غايةً مرادةً من العباد، وغايةً مرادةً بالعباد.

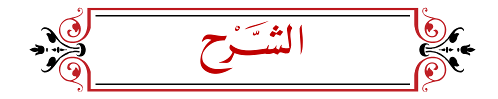
أما الغاية المرادة من العباد: فهي أَنْ يعبدوا الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

أما الغاية المرادة بهم: فالجزاء، يجازيهم ﷻ بفضله علىٰ إحسانهم، وبعدله علىٰ كُفرهم وطغيانهم، فهذا هو الذي لأجله خلَق الله الخلْق، ولأجله يعيدهم ﷻ.



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الفعال لما يريد،وهذا من كمال قوته ونفوذِ مشيئته وقدرته، أن كـل أمـر يريـده يفعلـه بـلا ممانع ولا معارض، وليس له ظهير ولا عوينٌ علىٰ أي أمر يكون، بل إذا أراد شيئًا قـال لـه كـن فيكون، ومع أنه الفعال لما يريد فإرادته تابعة لحكمته وحمده، فهـو موصـوف بكمـال القـدرة ونفوذ المشيئة، وموصوف بشمول الحكمة لكل ما فعله ويفعله.



الشَّرح

ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أن الله جَلَّ وَعَلَا فعّال لما يريد، وهذا قد دل عليـه كتـاب الله جَلَّ وَعَلَا وسـنة نبيـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالله موصوف بالفعل بل بكثرة الفعل، كمـا تـدل عليـه صـيغة «**فعّـال**»، فـالله فعـال لمـا يريـد، والفعـل مـن أظهـر صـفات الربوبيـة، فـالرب هـو الـذي يفعـل بمشـيئته دون مغالبـة وممانعة، وهو سبحانه فعالٌ لما يريد، **فنستفيد من هذا فوائدَ عديدة:**

أولًا: أن الله جَلَّ وَعَلَا لم يزل فاعلاً، أي: لـم يـأت زمـن مـن الأزمـان كـان الله فيـه معطَّـلاً عـن الفعل، بل لم يزل يفعل تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يفعل شيئًا بعد شيء، وهذا يـدلك علىٰ خطـأ مـن يظـن أن الله ابتدأ الفعل بعد أن لم يكن فاعلاً، ابتدأ الخلق بعد أن لم يكن خالقًا، ابتدأ الكلام بعـد أن لـم يكن متكلمًا، هذا غلط.

بل لـم يـزل الله عَزَّ وَجَلَّ فـاعلاً، وإذا كـان الله عَزَّ وَجَلَّ هـو الأول، فكـذلك أفعالـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هـي أفعـالٌ أزلية، وكلُّ فعلٍ يفعلُهُ الله جَلَّ وَعَلَا فقـد فَعَـلَ قَبْلَـهُ فعـلاً، وهكـذا إلـىٰ مـا لا بدايـة؛ لأن هـذا هـو الكمال، الذي كان به ربًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثانياً: أن نعلم الارتباط بين الفعل والإرادة، فكـلُّ مـا فعلَـه اللهُ جَلَّ وَعَلَا فهـو يريـدُه، وكـلُّ مـا أراده فإنه يفعله، فالأمران متلازمان، ما فعلَه الله فقد أراده، وكل ما أراده فإنـه يفعلـه، ولـيس ثم فعّال لِما يريد إلا الله وحده، أما المخلوق فإنه قد يفعل ما لا يريد، وقد يريد ما لا يفعـل، وقد يفعل ما يريد لكنْ ليس هذا ضربةَ لازمٍ في حقه، أما الله عَزَّ وَجَلَّ فلم يزلْ ولا يزال فعالاً لمـا يريد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وتنبه هنا إلىٰ أن الإرادة التي نتحدث عنها الآن هي الإرادة الكونية القَدَريّة، فالتنبه

إلىٰ هذه القضية من الأهمية بمكان، أعني إلىٰ أن الإرادة في النصوص الشرعية جاءت علىٰ ضَرْبَيْن، إرادة كونية كما في هذه الآية، وهي أن الله فعال لما يريد ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ وثمةَ إرادة أخرىٰ وهي الإرادة الشرعية، وبين الإرادتين فروق، والإرادتان تنفرد إحداهُما عن الأخرىٰ وتَنْتَفيان وتجتمعان، ومن الخطأ العظيم الذي سَبَّبَ وقوعَ فئام من الناس في الخطأ والضلال والانحراف عدمُ تفريقهم بين الإرادتين، فبعضُهم جعل الإرادة كلَّها إرادةً شرعية، وآخرون جعلوا الإرادة كلَّها إرادةً كونية، فأخطأ هؤلاء وأخطأ هؤلاء، والصواب هو ما عليه أهل السنة والجماعة، ثمةَ إرادةٌ يريدها الله كَوْنًا، وثمةَ إرادةٌ يريدها الله شرعًا، ففرقٌ مثلاً بين قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ وبين قوله تعالىٰ: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾؛ فالإرادة الأولىٰ إرادة شرعية، والإرادة الثانية إرادة كونية، والفرق بين الأمرين أن الإرادة الكونية هي بمعنىٰ المشيئة، فكلُّ ما أراده الله كَوْنًا يعني شاءه، وما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن، فمتعلَّقُ المشيئة، متعلق الإرادة الكونية: هو ما يقع، ما يكون، ما يحصل في هذا الكون، فقد أراده الله ﷻ كَوْنًا قطعًا؛ لأنه لو لم يُرِدْهُ كَوْنًا - يعني لو لم يشأه- لم يقع، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

أما الإرادة الشرعية فمتعلَّقُها المحبة، متعلَّقُها المحبوبات لله ﷻ، ما أراده الله شرعًا فقد أحبه، وقد يقع وقد لا يقع.

إذن تنبه إلىٰ هذين الأمرين المهمين حتىٰ يتضّحَ لك المقام، بعض الناس يقول: هل المعاصي، هل الكفر، هل الظلم الذي يقع في الأرض، هل وجود إبليس الذي يُضِلُّ الناسَ أراده الله ﷻ أو لم يُرِدْهُ؟ وجودُ الكفر والمعاصي والظلم والطغيان في الأرض مرادٌ لله، أو غير مراد؟ إن قلت لهم: أراده الله هكذا غلط، وإن قلت لهم: لم يرده الله هكذا أيضًا غلط، والصواب التفصيل: أراده الله كَوْنًا، ولم يُرِدْهُ الله شرعًا، أراد الله هذه المعصية التي وقعت كونًا، والدليل: أنها وقعت، فكل ما وقع فقد أراده الله كَوْنًا يعني شاءه ﷻ، لا يمكن أن يقع في هذا الكون أي شيء إلا بمشيئة الله ﷻ، مستحيل، أبعد المحالات، وأمحل المحالات، أن يقع شيءٌ في هذا الكون دون مشيئة الله ﷻ، فكل ما وقع فقد شاءه الله، يقع عقيبَ مشيئة

الله مباشرة، فمشيئةُ الله هي الموجبة للأشياء على الحقيقة، المشيئة – مشيئةُ الباري ﷻ – هي الموجبة للأشياء على الحقيقة، بمعنى: الشيءُ الذي شاءه الله فإنه يقع عقيبَ مشيئة الله ﷻ دون تأخُّر، نقول: المعاصي شاءها الله – يعني أرادها الله – بوجه، ولم يُرِدْها بوجه آخر، لم يُرِدْها شرعًا بمعنى لم يحبَّها.

الله لا يحب المعاصي، ولا يحب الكفر، ولا يرضى لعباده الكفر، قد يقول قائل: كيف يريد الله كَوْنًا ما لا يحب؟ الجواب: لأنه يترتب على وجوده ما يحب، المرادُ كَوْنًا إنْ كان غيرَ محبوبٍ لله ﷻ، فقد شاءه، فقد أراده كونًا؛ لأنه يترتب على وجوده ما يحب، وإن كان هو غيرَ محبوب لله ﷻ، فصار وجودُهُ مُرادًا لغيره لا لذاته، صار وجودُه مرادًا لغيره لا لذاته، لَمّا وُجِدَ إبليس وُجِدَتِ المعاصي فوُجِدَتِ التوبة، والله يحب التوابين، وُجِدَ الجهاد في سبيل الله، حصلت الآثار التي تترتب على صفات الله ﷻ وهي كونُه يغفر، وكونه ينتقم، وكونه يعذِّب، وكونه يعفو، وكونه يُنعِّم، إلى غير ذلك من هذه الآثار التي وقوعها أحبُّ إلى الله ﷻ من عدم وقوعها.

إذن الخلاصة رعاكم الله أنّ كلَّ ما وقع فقد شاءه الله، فقد أراده الله ﷻ كَوْنًا، حتى المعاصي فالله أعز من أن يكون في كَوْنه ما لا يريد، والعبادُ أَحْقَرُ من أن يُغالبوا اللهَ ﷻ، الله لا يريد منهم شيئًا وهم يريدون ! فتغلب إرادة العبد إرادة الله ! هذا أمر مستحيل، إذن أراد الله ﷻ كلَّ شيء، كلُّ شيء وقع فقد أراده الله، من الطاعات، من المعاصي، من المباحات، من الأعيان التي يحب أو التي لا يحب، كلُّ شيء وقع فقد أراده الله ﷻ كونًا، وفي مقابل ذلك كل شيءٍ أحبه من العباد فقد أراده منهم شرعًا، لكن قد يقع وقد لا يقع، قد يقع هذا الأمر الذي أراده كالإيمان، فالله أراده شرعًا من جميع العباد، فهل آمن جميع العباد؟ ما آمن جميع العباد، آمن بعضهم، بل القليل، وكفر البعض، بل الأكثر، وهذا يدلُّكَ على أنه ليس كلُّ ما أرادَهُ الله ﷻ شرعًا فإنه يقع، إذن كيف تُفرّقُ بين الإرادتين، انظر إلى متعلَّقِ الإرادة الكونية، وانظر إلى متعلَّقِ الإرادة الشرعية، متعلَّقُ الإرادة الكونية: هو الواقعات، الأمورُ الحاصلات، ومتعلَّقُ الإرادة الشرعية: المحبوبات.

فمتىٰ ما رأيت الشيءَ يحبه الله فاعلم أنه مراد له شرعًا، ومتىٰ ما رأيت الشيءَ غير محبوب لله ﷻ، فإنه غير مراد لله شرعًا، صلاة المغرب التي صليناها أرادها الله منّا كونًا ؟ نعم، كيف ؟ ما دليلكم، كيف عرفتم؟ أنها وقعت، ولو لم يُرِدْها الله كونًا لا يمكن أن تقع، أليس كذلك؟ لو كان الله لا يريد منا أن نصليَ المغرب واللهِ ما صلينا، لكن لما صلينا علمنا أن الله أراد هذا الأمر كونًا، طيب، صلاة المغرب التي صليناها، أرادها الله شرعًا؟ ما دليلكم؟ أن الصلاة محبوبة لله، جميع الطاعات محبوبة لله، إذن الطاعات التي وقعت اجتمع فيها الإرادتان، إذن الإرادتان قد تجتمعان، فالطاعة التي وقعت، نعلم أنه قد اجتمع فيها الأمران، طيب، لنقل مثلاً أنه حصل أمسِ سرقةٌ في مكان ما، سَمِعْنا الخبر، السؤال الآن هذه السرقة التي وقعت أرادها الله كونًا؟ نعم، والدليل أنها وقعت، طيب، تلك السرقة مرادة لله شرعًا؟ لا، حاشا، الله لا يريد شرعًا، يعني لا يحب المعاصي، إذن وجد في هذه الحال الإرادة الكونية فقط، إذن المعاصي التي وقعت مرادة لله كونًا لا شرعًا.

طيب مثالٌ ثالث: صلاة المغرب التي صليناها بالنسبة لفلان النصراني أو اليهودي أو المجوسي هو صلاها؟ ما صلاها، مرادة لله كونًا؟ صلاة المغرب بالنسبة لفلان الكافر أرادها الله كونًا؟ نعم أو لا؟ أرادها الله كونًا وهو ما صلاها؟ هو نصراني ما صلّىٰ، ما أرادها الله كونًا، دليلكم؟ أنها ما وقعت، كيف أعرف الشيء الذي أراده الله كونًا أو الذي لم يرده الله كونًا؟ أَنْظُرُ إلىٰ مسألة الوقوع، ما أرادها الله كونًا، إذن هذه غير مرادة لله كونًا، طيب أراد الله منه تلك الصلاة شرعًا ؟ نعم، لأن الله أراد الطاعات والإيمان من البشر جميعًا، ولذا دعاهم، ولذا أمرهم بذلك، أليس ذلك ؟ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ فالله يحب العبادة من جميع الخلق، لكن لم يُرِدْ هذه العبادة منهم كونـًا.

أمر رابع: خلال هذه الدقيقة التي مضت، نحن الجالسون، وقعت منا معصية السرقة؟ لا، طيب، السؤال الآن؟ السرقة منا خلال الدقيقة الماضية أرادها الله كونًا؟ لا، دليلكم؟ ما وقعت، الحمد لله، طيب أرادها الله منا شرعًا؟ لا، والدليل، الله لا يحب السرقة، إذن قد تنتفي الإرادتان في المعاصي التي لم تقع، معصيةٌ لم تقع إذن لم يردها الله كونًا، ولم يردها الله شرعًا، إذن هذه أربعة أمور ينبغي أن تفرق فيها بين هاتين الإرادتين.

ولـذلك يمثـل العلمـاء بمثـالٍ يعرفـه طـلاب العلـم، إيمـانُ أبـي بكـر اجتمعـت فيـه الإرادتان، أراده الله كونًا والدليل أنه وقع، آمن، أراده الله شرعًا ؛ لأنه يحبه، كفـر أبـي جهـل هل أراده الله شرعًا؟ لا، أراده الله كونًا فقط، بدليل أنه وقع، ولـم يـرده شـرعًا، لأنـه لا يحـب الكفر.

الأمـر الثالـث: إيمـان أبـي جهـل، أراده الله كونـًا؟ لا، بـدليل: أنـه مـا وقـع، مـات علىٰ الكفر، أراده الله شرعًا؟ نعم، لأن الله يحبه، ولذا أمر به أبـا جهـل وغيـرَهـم، كـلَّ النـاس، إذن وُجِدَ هاهنا في إيمان أبي جهل الإرادةُ الشرعية فقط.

المثـال الرابـع: كفـر أبـي بكـر، أراده الله كونـًا؟ لا، وحاشـا، مـا أراده الله ؛ لأنـه مـا كفـر رضـي الله عنْـه وأرضـاه، أراده الله شـرعًا؟ لا ؛لأن الله لا يحـب الكفـر، إذن انْتَفَـتْ في هـذه الحال الإرادتان، هذه الحال، المعصية التي لم تقع لم يردها الله كونًا ولم يردها الله شرعًا.

إذن أعود فأقول: الله فعال لما يريد، ما الإرادة هنا؟ هي الكونية، فكل ما أراده الله كونـًا فإنه يقع، سواءً تعلق بفعله هو ﷻ، أو تعلق بفعل العبـد، يعني إذا نـزل الله ﷻ نـزولاً لائقًـا به، إذا جاء ثلث الليل الآخر إلىٰ سماء الـدنيا فإنـه ينـزل بمشـيئته، كـذلك الفعـل الـذي يتعلـق بالعبـد أو التصـرف أو الإيجـاد، فإنـه يفعلـه ﷻ أيضًـا بمشـيئته، إذن بـين الإرادة والحكمـة أيضًـا تلازُم، فكلُّ ما أراده فله فيه حكمة، وكل ما لم يُرِدْهُ فله فيه حكمة.

ولابد أن تظهرَ لنا الحكمة؟ هل هذا صحيح؟، لا، لـيس بصـحيح، قـد تظهـر الحكمـة لنا وقد لا تظهر، ولذا ينبغي عليك أن تعرف قَدْرَكَ، وأنـت تعـرف عظمـة الله ﷻ، فـالله هـو العظيم والله هو الحكيم، والله هو الكبير، والله هو الواسـع، ولـه ﷻ حِكَـمٌ لا يَبْلُغُهـا عقلُـكَ الضعيف، عقلُكَ لا يستوعب إلا أشياءَ قليلةً ومحدودةً ومحصورةً في الحواس الخمس، ما تستطيع أن تفكر في شيء أبعـد مـن ذلـك، ولـذا فإنـك لا يمكـن أن تحـيط علمًـا بحكمـة الله ﷻ.

بعض الناس يدخل في هذا الباب فيَزِلُّ، وربما يضِلُّ، وهو أنه يطلب أن يعرف حكمة الله في كل شيء، في مسألة الهداية والإضلال مثلاً التي نتحدث عنها، كونُ هذا صلّىٰ وهذا لم يُصَلِّ، بل هذا آمنَ وهذا لم يؤمن، وكلُّ هذا بمشيئة الله ﷻ، شاء من هذا الإيمان وشاء

من هذا الكفر، ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ لله الحكمةُ في هذا، ولله الحكمة في هذا، وقد تظهر لنا، وقد لا تظهر لنا.

إذن حذارِ من السؤال بلِمَ في أفعال الله، وقد حفظ الإخوة ولا بأس من الإعادة ؛فإنها قاعدة مفيدة لطالب العلم، قاعدةٌ مهمة: «**كلمتان ممنوعتان في بابين؛ «كيف»** في باب الغيب، و«**لِم**» في باب القدر»، هاتان الكلمتان احذفهما من قاموسك، إذا جاء الأمر إلىٰ مسألة الغيب، كالذي يتعلق بصفات الله ﷻ، أعني بكيفيتها وكُنْهِها وحقيقَتِها، كيف استوىٰ الله علىٰ العرش، وكيف ينزل الله إلىٰ سمائه الدنيا، وكيف وجهُه، وأمثالُ ذلك من هذه الأسئلة، نقول «**كيف**» هنا ممنوعةٌ لا مجال – خط أحمر إياك أن تتجاوزه – فالكيف في الغيب بالنسبة لنا غير معقول، نحن ما رأينا الله ولا رأينا مثيلاً لله، فكيف لنا أن نعرف كيف هو.

و «**لم**» في باب القَدَر، لم أعطىٰ ولم منع، لم هدىٰ ولم أضل، لم أوجد، ولم أعدم، إلىٰ غير ذلك، نحن نؤمن في الجملة، أن لله حكمة بالغة ثم التفاصيل قد يظهر لنا شيء، وقد لا يظهر لنا شيء، لكننا نجزم أن لله حكمة بالغة، وأنه عدلٌ لا يَظلم ﷻ.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الغني المغني، هو الغني بذاته الذي له الغنىٰ التام المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات لكماله وكمال صفاته، فلا يتفرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنيًا لأن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا خالقًا قادرًا رازقًا محسنًا، فلا يحتاج إلىٰ أحد بوجه من الوجوه، و هو الغني الذي بيده خزائن السموات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة، المغني جميعَ خلقه غنًا عامًا، والمغني لخواص خلقه بما أفاض علىٰ قلوبهم من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية.

الشَّرح

الله جَلَّ وَعَلَا هو «الغني المغني»؛ أما كونه «الغني»، فهذا جاء في كتاب الله في مواضع، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ وأما كونه «المغني» تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فقد جاء في روايةٍ لحديث سرد الأسماء من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والحديث لا يصح كما قد علمت، لكن من ذكره في الأسماء أخذه بالاشتقاق من قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ «أغنىٰ» يعني مَنَّ بالغِنىٰ ووهب الغنىٰ لمن شاء، و«أقنىٰ» قالوا: يعني أرضىٰ، وهذا كمالُ وأتمُّ ما يكون من النعمة، أن يغنِيَك الله ويرضِيَك، ومَنْ مَنَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عليه بهذا فقد فاز بالغنىٰ الحقيقي، لا تكون نفسُهُ متطلّعة، ولا تكون نفسُه شَغوفه، ولا تكون نفسُه متحسّرةً علىٰ كل شيء فاته ولم يقع تحت يديه، وإنما هو غنيٌّ وأيضًا راضٍ، وقيل: أقنىٰ يعني مَلَّكَ، جعل الأشياء عند من شاء غناه قُنْيَةً، أو قِنْيَة، يصح الوجهان، القِنية أو القُنية: الشيء المملوك، وهذا أيضًا من كمال الغنىٰ، و من كمال النعمة، أن يعطِيَك الله عَزَّ وَجَلَّ النعمة وأيضًا يملِّكَكَ إياها، تصبح مملوكة تنتفع بها انتفاعًا أتمَّ مِمَّا لو كانت تحت يدك ، لكنها غير مملوكة.

المقصود أن الله جَلَّ وَعَلَا متصف بالأمرين، متصف بالغنىٰ في ذاته، ومتصف بالإغناء لمن شاء، فالغنىٰ وصفُ ذات، والإغناء وصفُ فِعْلٍ، غنىٰ الله جَلَّ وَعَلَا وصف ذات، فلم يزل ولا يزال غنيًا، ويستحيل أن لا يكون غنيًا، بعكس العبد، فالفقر وصفُ ذاتٍ له، يقول شيخ

الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أبيات بعثها إلىٰ تلميذه ابن القيم، لما ذكرها في "المدارج"، يقول:

والفقــر لـي وصـفُ ذات لازم أبـدا كمـا الغنـىٰ أبـدا وصـف لـه ذاتـي

الفقر بالنسبة للعبد وصفُ ذات ملازم، لأنه دائمًا وباستمرار محتاج إلىٰ الله، وفقيرٌ إلىٰ الله، ولا يمكن أن يكون له غنىً في شيء إلا بالله، أما الله جَلَّ وَعَلَا فإنه الغنيُّ أبدًا، أزلاً وأبدًا وفي كل وقت، وفي كل حال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلم يزل ولا يزال غنيًا، ويستحيل أن لا يكون غنيًا؛ لأنه لو لم يكن غنيًا ما كان ربًا، وبالتالي لَمَا وُجِدَ مخلوقٌ أصلاً، فوجودُ المخلوقِ مُسْتَلْزَمٌ لكونه غنيًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالمخلوق فقير، محتاج: ممكن، وأما الله جَلَّ وَعَلَا فله الغنىٰ التام، ولذا فإنه إذا خلق عباده فليس بمحتاج إليهم، وإذا أمرهم بعبادته فليس بمحتاج إليه، وإذا جازاهم فإنه أيضًا غير محتاج إليهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إنما يفعل ما يفعل جَلَّ وَعَلَا ويُقدِّرُ ما يقدِّرُ لحكمة يحبُّها، وليس لاحتياجٍ ولا لِفاقَةٍ ولا لفقر، حاشا وكلا، بل الله جَلَّ وَعَلَا لو كَفَرَ أهلُ الأرض جميعًا ما ضرَّهُ شيءٌ ولا نَقَصَ ذلك من غناه و مُلْكِهِ شيءٌ، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ﴾ و يقول الله جَلَّ وَعَلَا في الحديث القدسي كما في حديث مسلم: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا علىٰ أتقىٰ قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا**» أطعت أو أطاع أهل الأرض كلُّهم واللهِ ما انتفع الله بذلك، ولا زاد هذا في غناه و ملكه شيئًا، قال: «**ويا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا علىٰ أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ذلك ملكي شيئًا**»، لو كفرت أو كفر أهل الأرض جميعًا وارتدوا عن دين الله فواللهِ إن هذا لا يضر الله شيئـًا ولا يُنقِص شيئًا من غناه، «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا في صعيد واحد فسألوني فأعيطت كل واحد مسألته ما نقص ذلك في ملكي شيئـًا إلا كما يُدخِل أحدُكم المِخْيَطَ في البحر فلينظرْ بِمَ يرجع**»، إذا أدخلت الإبرة في البحر وأخرجْتها ماذا أنقصَتِ الإبرة من البحر؟ لا شيء، فكذلك خزائنُ الله جَلَّ وَعَلَا ملأىٰ لا يُغيضها نفقةٌ ألبتة مهما أنفق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من ابتداء الخلق وإلىٰ انتهاء هذه الدنيا فإنه لم يَنقُص ذلك من ملك الله جَلَّ وَعَلَا شيءٌ، إذن الغنىٰ غناه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والإغناء إغناؤه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إذن إذا طلبت

الغنىٰ، طلبت أن تستغنيَ فاطلُبْ هذا مِمَّنْ بيده ذلك الأمر، وهو الله ﷻ، فالإغناء من الله ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ ولاحظ ذلك الضمير هنا ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾ إذن هذا منه ﷻ خاصةً لا يشركه فيه غيرُه، وبالتالي علىٰ القلوب والنفوس أن تلجأ إلىٰ الله ﷻ وأن تتعلق به وألا تتعلق بالخلق.

فالخلق لا ينفعون ولا يضرّون، وإذا عرفتَ هذا عِشْتَ مستريحًا، قال الفضيل بن العياض: "مَنْ عَرَفَ الخلق استراح"، كلمةٌ جميلة "من عرف الخلق استراح"، يعني من عرف أنهم لا ينفعون ولا يضرّون ولا يُقدّمون ولا يُؤخّرون إلا بمشيئة الله ﷻ، أما منهم: لا شيء، فإنه يعيش مستريحًا، يعيش مستريحًا من هَمِّ التطلّع إليهم، والحسد، ووقوع شيءٍ في النفوس، والهمّ والغمّ، إذا رأىٰ ما عند الناس ورأىٰ عدمه، كما أنه يستريح من التعبد لهم والتذلل لهم، لأنك إذا كنت متعلقَ القلب بهم وتطلبُ الأشياء من قِبَلِهِمْ فإنك ولابد أن تذِلَّ لهم، وهذه شعبةٌ من التعبد، يأنَفُ منها أهل التوحيد الخالص، قلوبُهُمْ معلقةٌ بالله لا بالخلق، ولذا أخبر النبي ﷺ كما في الصحيحين، قال ﷺ: «**ليس الغنىٰ عن كثرة العَرَض، ولكنَّ الغنىٰ غنىٰ النفس**»، ليس الغنىٰ عن كثرة العرض، هذا العَرَض، وهذه التي هي من حطام الدنيا وعند الناس وأموال وعقارات.. إلخ، هذا ليس هو الغنىٰ الحقيقي وليس هو الغنىٰ النافع، إنما الغنىٰ الحقيقي هو غنىٰ النفس، وغنىٰ القلب، وأنْ يكون الإنسان مستغنيًا عن الخلق، متعلقًا بالله راضيًا برزقه ﷻ، كما قالَ الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما يُنسبُ له: "وليس الغنىٰ إلا عن الشيء لا به"، حتىٰ تكونَ غنيًا تكونُ مترفِّعًا، غنيًا عن هذه التذلّلات وعن هذه التعبّدات للناس أو حتىٰ للأشياء، سبحانَ الله !ربما يكون الإنسان عبدًا لحطام للدنيا، ربما يكون عبدًا لثوبه، ربما يكون عبدًا لنعله، يمكن؟ نعم، قال ﷺ: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة**»، يمكن أن يكون الإنسان قلبُه متعلّقًا بهذه الأشياء فقط، ويقدّمُها علىٰ طاعة الله، ولا يرضيه إلا وجودها، ولا يُحْزِنُهُ إلا عدمُها، هذه شعبة من التعبد، شعبةٌ من التعبد لغير الله ﷻ، وإذا عَظُمَ ذلك، عَظُمَ التعلق بغير الله، قد يُخْرِجُ الإنسانَ إلىٰ الشرك الأكبر، وقد يكون دون ذلك، فيكون شيئًا أو شعبةً من الشرك الأصغر، المقصود أن الغنىٰ إنما هو من الله ﷻ هو وصفه، وهو

عطاؤه، وهو هِبَتُهُ ﷻ، وإذا كان الأمر كذلك فالتعلق بغير الله ﷻ في كل شيء سواءً في تحصيل الرزق، أو في المغفرة، أو في الرحمة، أو في النجاة من النار، أو في التوفيق للطاعة إنما هو من الله ﷻ، فهو الذي يُغْني مادِيًّا ومعنويًا، يُغني من أرزاق الدنيا ويُغني أيضًا ﷻ من الإيمان والعمل الصالح، فتكونُ القلوب غنيةً وإنْ كانت مُعْدَمَةً من المال، كثيرٌ من الناس ربما يَقْدُرُ الله ﷻ عليهم في الرزق، ما عندَهُمْ شيءٌ، فقراء، لكنهم أسعد الناس، تجد عنده مكافأة قليلة، أو راتبًا ضئيلاً، أو ربما ليس عنده حتىٰ هذا، ومع ذلك تجده سعيداً، يضحك ملءَ فيه، ويهدأ ويهنأ ويَسْكُن ولا يتبرّم، سعيد، والعكس صحيح، بعض الناس وأنتم رأيتم وأنا رأيت، وغيري رأىٰ، وغيركم رأىٰ أنه يكون عنده الأموال الطائلة ومع ذلك دائمًا في هَمّ، ودائمًا في غَمّ، ودائمًا في نَكَدٍ، سبحان الله، مع أنه من أغنىٰ الناس، وكلُّ حطام الدنيا إن شاءه فهو بين يديه، يطلبُ فيجدُ ما يريد، و مع ذلك يجد الهَمّ والغَمّ في نفسه، فـ«**ليس الغنىٰ عن كثرة العَرَض، ولكنَّ الغنىٰ غنىٰ النفس**» الإغناء من الله، والمخلوق لا يقدّم ولا يؤخّر، مهما عَلَتْ مَرْتَبَتُهُ، لذا فالتعلّق والتعبّد لغير الغنيّ ﷻ سَفَهٌ، لو كنت تعلم غيرَ الله ﷻ غنيًا بذاته ومُغنِيًا لغيره فلا حرج، تعبّدْ له، يقول ﷻ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ابحث، ربما يكون هذا الذي تعبُدُهُ مالكًا لشيء،أيَّ شيء في هذا الكون له مِلكية خاصة، ومِلكية تامة له دون الله ﷻ إن وجدته فاعبده، لكن هل يوجد؟ لا يوجد، ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ حتىٰ هذا القليل ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

طيب ربما لا يكون مالكًا لكنه شريك مع الله ولو في شيء قليل، فيناسب أن تتعبّدَ له، لكنْ حتىٰ هذا غير موجود ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ حتىٰ الشراكة مُنتفية، ما لهم شراكة مع الله في هذا الكون، طيب ربما لا يكون هذا الشيء الذي يُعبَدُ من دون الله مالكًا ولا شريكًا، لكن ربما يكون معاونًا لله مساعدًا وزيرًا ظهيرًا، قال: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ من معاون، حتىٰ الإعانة وحتىٰ الوَزارة وحتىٰ المساعدة فإنها منتفية، الله هو الغني لا يحتاج إلىٰ أحد، طيب انتفت هذه الأمور الثلاثة بقي أمر رابع.

نتعبد لهذا المعبود دون الله لأجله، وهو أنه يملك الشفاعة، حتىٰ هذا نفاه الله، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ سبحان الله، قال أهل العلم: هذه الآية تقطع عروقَ الشرك من القلب، تأمَّلْها، فلا مِلك، ولا شراكة، ولا إعانة، ولا حتىٰ شفاعة، سبحان الله، كيف و لا حتىٰ الشفاعة؟ أليست الشفاعة حاصلةً يوم القيامة ؟ والحظ الأكبر منها لنبينا ﷺ كما أنها تكون لغيره من الملائكة والأنبياء والمؤمنين ؟

الجواب: بعض الناس ربما يظن في الوليِّ أو في النبيّ أن الشفاعة عنده بمعنىٰ أنَّ لمكانته عند الله ولدالَّتِهِ علىٰ الله فإنه يمكن أن يؤثّر في الله حتىٰ إذا كان غيرَ مريدٍ يجعله مريدًا، هذا ما عَرَفَ الله ولا عَرَفَ عظمةَ الله، الله أعزُّ من ذلك وأعظم، الشفاعةُ لله، لا لغيره، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا﴾ والشافع ليس منه شيء، الله ﷻ هو الذي حرَّكَ قلب الشافع لكي يشفع، والله ﷻ هو الذي أذن له أن يشفع، واللهِ لا يُمْكِنُ أحدًا أن يتقدم بين يَدَيِ الله بالشفاعة كما يفعلُ الناس في الدنيا؛ إما شفاعةَ محبة، وإما شفاعةَ وجاهة، يأتي الحبيب لِمُحِبِّهِ فيشفع عنده رَغْمًا عنه، أليس كذلك؟ يشفعُ الابن عند أبيه، تشفع الزوجة عند الزوج، يشفع الصديق لصديقه شاء أم أبىٰ، أما الله فالله أعظم من ذلك، ولا حتىٰ شفاعةَ وَجاهة؛ يأتي الوزير يشفع عند السلطان، أو يأتي التاجر الكبير أو رئيس الجند يشفع عند الملك، لأن له وَجاهة يعملُ اعتبارَه هذا الْمَلِك، فيقبلُ شفاعته، اللهُ أعظم من ذلك، هذا الذي ظنَّهُ في ربه ما قَدَرَهُ حق قَدْره، إذن الله هو الذي يأذن، بل الله هو الذي يأمر الشافع أن يشفع، الحقيقة أن الشافع مأمور، يقول الله ﷻ يوم القيامة للنبي ﷺ: «**واشفع تُشفَّع**»، اشفع، الله يأمره، ولا يملك الشافع إذا أُمِرَ إلا أن يستجب، هذا الأمر الثالث.

الأمر الرابع: الله هو الذي تفضّل بقَبول الشفاعة بعد ذلك، إذن من البداية إلىٰ النهاية، الأمرُ كلُّه إلىٰ الله، وصدق الله ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا﴾ حقيقةُ الأمر كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"أن الله شَفَعَ من نفسه إلىٰ نفسه"، ما فائدة الشفاعة ؟ رِفعة درجة الشافع، الله أراد أن يُكْرِمَ الشافع، ويرفعَ درجته في ذاك المقام العظيم، وإلا فالله ﷻ هو الذي أراد أن يرحم، وأن يعفوَ عن هذا المشفوع له ﷻ، وجَعَلَ هذا مجرّد وسيلة، والأمر لله من قبلُ ومن بعدُ،

إذا فَهِمْنا الشفاعةَ علىٰ هذا الوجه هل يبقىٰ بعد ذلك تعلُّقٌ للقلب بالشافع؟ أو بالله؟ بالله ﷻ، تؤمن وتوقن بقوله سبحانه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾.

أعود فأقول: إيمانُنا بأن الله هو الغني المغني يجعلُ قلوبَنا متعلقةً بالله لا بغيره ﷻ، ما أعظم التأمل والتدبر لهذين الاسمين العظيمين، سبحان الله العظيم، تقودك إلىٰ التوحيد، وتجعلك ليس موحدًا بل محققًا للتوحيد بتوفيق الله ﷻ، فأنا أوصي نفسي وإخواني بالتأمل الْمَلِيِّ والمزيدِ لهذين الاسمين العظيمين، الله هو «**الغني**» والله هو «**المغني**» ﷻ.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الحليم الذي يَدُرُّ على خلقه النعم الظاهرة والباطنة مع معاصيهم وكثرة زلاتهم، فيَحْلُمُ عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويستعتبهم كي يتوبوا، ويُمْهِلُهُمْ كي يثيبوا.



الله جَلَّ وَعَلَا هو «**الحليم**»، كما جاء هذا الاسم في الكتاب والسنة كثيراً، فلا يَعْجَلُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعقوبة عباده بل يُمْهِلُهُمْ، ويَمُدُّ لهم في الفُسْحة لعلهم يتوبون ولعلهم يستعتبون.

وحِلْمُهُ تعالى يجمع بين أمرين: بين الأناة، والحكمة، فلا يكون الحليم حليمًا إلا باجتماع الأمرين، والله جَلَّ وَعَلَا له كمالُ الحِلْم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الأناة: عدم الاستعجال، الذي يستعجل هو المحتاج، يريدُ أن يتدارك الأمور، يريد أن يحصِّلَها قبل فوات الأوان، واللهُ جَلَّ وَعَلَا ليس بحاجة إلى ذلك، فهو الغني سبحانه.

والأمر الثاني: الحكمة، التي تُنافي السَفَهَ وتنافي الطَّيْش، والله جَلَّ وَعَلَا ذو الحكمة البالغة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إذن حِلْمُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يعني أناتَهُ وحكمتَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومقتضى ذلك أنه لا يَعْجَلُ بالعقوبة بل يُمْهِلُ جَلَّ وَعَلَا، وإن كان لا يُهْمِلُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولو أن اللهَ عاجل العباد بالعقوبة على معاصيهم ما أبقى على ظهر هذه الأرض من دابة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكنه يُمْهِلُهُمْ، ولكنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لحكمته يؤخِّرُهُمْ، وهذا الإمهال له وجهان:

للمؤمن لعله يتوب ويرجع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وللكافر عقوبةً واستدراجًا، مكرٌ منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذلك حتى إذا وافَوْهُ يومَ القيامة أخذَهُمْ أخذَ عزيزٍ مقتدِر، وحِلْمُهُ تعالى إنْ تأملْت وجدت له أعظمَ الأثر في هذا الكون، سبحان الله العظيم، أثرٌ عظيمٌ لهذه الصفة في ملكوت الله جَلَّ وَعَلَا، في الصحيح يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا أحد أصبرَ على أذىً سَمِعَهُ من الله، ينسِبون له الولد وهو يعافيهم ويرزقهم**»، سبحان الله العظيم، هؤلاء الكفار يسبّون الله أعظمَ مسبّة، ينسِبون له الشريك والصاحبة والولد، وهل هذا بالأمر الهين؟! لا والله ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟

لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾.

ومع ذلك أنت ترىٰ أرزاق الله ونِعَمَهُ الدنيوية علىٰ هؤلاء الكفار تَتْراً، ترىٰ عندهم من المال وعندهم من المصانع، وعندهم من الثمرات، وعندهم من الأمطار، وعندهم من الخُضْرة، وعندهم، وعندهم، مع أنهم كفار، ومع أنهم يسبّون الله بنسبة الولد له، ومع أنهم مُعْرِضون عن طاعته، مكذّبون لنبيه ﷺ، وكلُّ ذلك من حِلْمِهِ ﷻ، وإلا فالله ﷻ قادر علىٰ أن يأخذهم من أول وَهْلَةٍ كفروا فيها بالله ﷻ، لكنه يُمْهِلُهُمْ ويحلم لحكمة يعلمُها ﷻ، كذلك العبد المؤمن، الله ﷻ لا يعاجله بالعقوبة لحكمته ﷻ، بل يمهله، وإذا رأيت حِلْمَ الله ﷻ عليك يا عبد الله فإياك أن تغترّ فهذا موضع يخطئ فيه كثير من الناس، فإنه إذا رأىٰ حِلْمَ الله عنه اغترّ، وظن أن الأمر قد نُسِيَ، وأن معاصِيَهُ قد غُفِلَ عنها، انتبه يا عبد الله، الله ﷻ يمهلك لكنه لا ينسىٰ ﷻ، ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ وإذا رأيت أنك مقيم علىٰ معاصي الله ومُقصّرٌ في أوامره وفي نواهيه وهو يغدق عليك من النعم، فينبغي عليك أن تخاف، فربما كان هذا منه استدراجًا، فعليك أن تستحيِيَ من الله أولاً، وعليك أن تخاف منه ثانيًا، فالمقام مقامٌ عظيم، الله ﷻ حليم، ولكنَّ حلمَهُ ليس عن ضعف، وليس عن نقص، وليس عن نسيان ﷻ.

ثم علينا أن نعلم أن الحِلْمَ صفة له ﷻ، ولأجل هذا فإنه يحب مَنْ يتخلّقُ بمقتضىٰ هذه الصفة، كما عَلِمْنا هذا سابقًا، فالله حليمٌ ويحب العبد الحليم، يقول النبي ﷺ لأشجِّ عبدِ القَيْس: «**إنّ فيك خَصْلَتَيْنِ يحبُّهما الله ورسوله: الحِلْم والأناة**»، والحِلْم مستلزِمٌ للأناة، ولا يلزم أن يكون ذو الأناة حليمًا، أما الحليم فلابد أن يكون ذا أناةٍ، أي: عدم استعجال.

الله ﷻ حليم ويحب الحِلْم كما مر معنا قبل قليل، «**إنّ فيكَ خَصْلَتَيْنِ يحبُّهما الله ورسوله: الحِلْم والأناة**»، وبالتالي فعليك أن تتخلّق بهذا الخُلُق، وعامِلِ الناس كما تحبُّ أن يعامِلَكَ اللهُ ﷻ، إذا كنت تحبُّ أن يَحْلُمَ الله ﷻ عنك فاحْلُمْ أنت عن الناس، وهذا من الأخلاق المرضيّة العظيمة التي ينبغي علىٰ الإنسان أن يحرصَ علىٰ التخلُّقِ بها، وكثيرٌ من

مشكلات المجتمع المسلم لو تأمّلْتَ لوجدت أنَّ ذلكَ راجعٌ إلىٰ عدم العناية بهـذا الخُلُـق، والوقوعِ في ضده، كثيرٌ من المشكلات الأسرية غالبًا ما يكون سببُها عـدمُ الحِلْـمِ، والعجلةُ والغضبُ والفعلُ الطائش، تترتّب علىٰ هذا مشكلات، لو تأمّلْتَ في مسائلِ الطلاق الواقعة بين الناس لوجدت أكثرَها سببُه الغضب وعدمُ الحِلْم، يغضب الرجل في موقف أو تغضب المـرأة في موقـف، فتطلـب الطـلاق و يسـتعجل الـزوج، وبالتـالي يتهـدّم البيـت، يتشـتّت الأولاد، ثم يحصل الندم بعد ذلك، ولا ينفع الندم أحيانًا، كذلك في العلاقـات والصَّـداقات والقرابـات، كـم تقطّعـت أواصـرُ و اضـمحلّتْ علاقـات بسـبب عـدم الحِلْـم والاسـتعجالِ والغضب، فما أحرىٰ المسلمَ أن يكون آخِذًا نفسَـهُ بهـذا الخُلُـق الكـريم، لا تَعْجَـلْ، وتَرَيَّـثْ وخُذِ الأمورَ بأناةٍ وخُذْها بهدوء، ودَعْ عنك الغضب، فالغضب جِماع الشر، جـاء رجـل إلـىٰ النبـي ﷺ، فقـال يـا رسـول الله أوصـني، يريـد وصـية ينتفـع بهـا، فقـال ﷺ: «**لا تغضـب**»، كلمتان فقط، كلُّ الوصية كلمتان، فقال يا رسول الله: أوصني، أريـد وصـية أكـبر مـن ذلـك، فأعاد النبي ﷺ الجملة نفسَها، «**لا تغضب**»، فكـرر الرجـل مـرة ثالثـة، فكـرر ﷺ الجـواب ثالثًـا، والحـديث في البخـاري، في خـارج البخـاري يقـول أبـو هريـرة رضي الله عنه: " فتأمّلْـتُ فـإذا الغضـب جمـاع الشـر"، وصَـدَقَ، أكثـر المشـكلات وأكثـر المصـائب وأكثـر الجـرائم كمـا ذكرت، القطيعة والطلاق وربما القتل وربما غيرُ ذلـك سَـبَبُهُ الغضـب، وتـرك التخلُّـقِ بهـذا الخُلُـقِ العظـيم وهـو الحِلْـم، وأولـىٰ النـاس بهـذا الخُلُـقِ بالنسـبة لـك أنْ تعـامِلَهُمْ بـه هـم الأقربون منك: الوالدان، وأهلُ بيتك:الزوجة والأولاد، ثم الأقرب فالأقرب، ينبغي عليـك أن تكون الصفةُ الغالبة عليك ما استطعت هو أن تكـون حليمًـا تاركًـا للاسـتعجال متأنِّيًـا في أمورك، فإنك تَبْلُغُ حاجَتَكَ وتَصِلُ إلىٰ صفو الحياة وسعادتها وهنائِهـا بتوفيـق الله ﷻ، والله أعلم.





الشاكر الشكور: الذي يشكر القليل من العمل ويغفر الكثير من الزلل ويضاعف للمخلصين أعمالهم بغير حساب ويشكر الشاكرين ويذكر من ذكره، ومن تقرب إليه بشيء من الأعمال الصالحة تقرب الله منه أكثر.

الشَّرح

ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ اسميه سبحانه الجليلين: «**الشاكر، والشكور**».

أما الشاكر: فدليله قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ ونحوُ هذه الآية من الآيات التي جاء فيها اسمه تعالىٰ «**الشاكر**».

وأما الشكور: فجاء في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ونحوِها من الآيات والأحاديث، و«**الشكور**» كما قد تعلَّمْنا سابقًا أبلغ من «**الشاكر**»؛ لأن صيغة «**فعول**» أبلغ من صيغة «**فاعل**»، فالله يَشْكُرُ بل هو كثير الشكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومعنىٰ كونه جَلَّ وَعَلَا شاكراً وشكوراً: هو أنه يشكر إحسان عباده ويُضاعِف مَثوبَتَهُمْ لجوده وكَرَمِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وشُكْرُهُ سبحانه بيِّنٌ ظاهرٌ في أمور كثيرة؛ فالله جَلَّ وَعَلَا واسعُ الشكر، عظيم الإحسان، كبير الْمَنِّ جَلَّ وَعَلَا، ولذا فإنه يشكر علىٰ الحسنة ولو دقَّتْ، بل إنه يشكر علىٰ الهَمِّ بالحسنة، فإذا عَمِلَها أثابه الله جَلَّ وَعَلَا عليها إثابةً عظيمة، ثبت في الصحيحين عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك، فمن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإنْ هو عملها كتبها الله عنده بعشر حسنات إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة**» وهذا شكر عظيم من الباري تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهو الذي وفقك إلىٰ الطاعة، وهو الذي هدىٰ قلبَك للقيام بها، **ثم إذا فَعَلْتَها جازاك عليها بجزاءَيْن:**

أولًا: بالثواب عليها الثوابَ المضاعف، ثم إنه يهديك إلىٰ حسنة أخرىٰ، فمن شُكْرِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنّ مَنْ عمل طاعةً شَكَرَهُ عليها بهدايته إياه إلىٰ طاعة أخرىٰ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾.

وقد مر معنا سابقاً أن مضاعفة الله ﷻ للحسنات ثابتةٌ في نصوص قطعية، وأنها في الجملة على ثلاث درجات:

أما الدرجة الأولى: فالله ﷻ يثيب على الحسنة بعشر حسنات يعني: بعشر ثواب أو بعشرٍ من المضاعفة المقابِلة لهذه الحسنات، وذلك أدنى ما يكون من المضاعفة يعني: هي لازمة لكل حسنة، فأدنى درجات المضاعفة أن يضاعف الله ثواب الحسنة إلى عشر أمثالها.

الدرجة الثانية: أنْ يضاعف الله الحسنة أكثر من عشرة وإلى سبعمائة ضعف.

والدرجة الثالثة: أنْ يضاعف الله الحسنة من سبعمائة ضعف إلى أضعاف لا يُحْصيها إلا هو تبارك وتعالى، ومن ذلك حسنةُ الصبر ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وكذلك الصوم: «**الصوم لي وأنا أجزي به**» فثوابه مضاعف مضاعفة عظيمة ؛ لأنه صَبْرٌ بل هو من أرفع درجات الصبر، فكان ثوابه ثواباً عظيماً.

إذن هذا كلُّه من شكر الله تبارك وتعالى على الحسنات؛ فالله شاكر عليم، والله غفور شكور، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ وإذا عَلِمَ الإنسان ذلك فقد قامت عليه الحُجَّةُ، وما بقي عليه إلا أن يَجِدَّ ويجتهدَ، وإلّا فإنه هالك لا محالة، ولا يَهْلَكُ على الله ﷻ بين مغفرته وشُكْره إلا مخذول، بين مغفرة الله وشُكْره لا يَهْلَكُ على الله إلا هالك؛ فالعبد في الدنيا بين حسنة وسيئة، حسنةٍ وعملٍ صالح يفعله وسيئةٍ يجترحُها، والله وَعَدَهُ على السيئة بالمغفرة، ووَعَدَهُ على الحسنة بالشكر والقَبول والإثابة والمضاعفة، فماذا بقي يا عبد الله إلا أن تجِدَّ وتجتهدَ في طاعة ربك وتَوَقّي محارمه سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.





قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

القريب المجيب: أي هو تعالىٰ القريب من كل أحد فقربه تعالىٰ نوعان: قرب عام من كل أحد بعلمه وخبرته ومراقبته ومشاهدته وإحاطته، وقرب خاص من عابديه وسائليه ومحبيه، قرب لا يُدْرَك له حقيقة وإنما تُعْلَم آثاره من لطفه بعبده وعنايته به وتوفيقه وتسديده، ومن آثاره الإجابة للداعين والإنابة للعابدين فهو المجيب إجابةً عامة للداعين مهما كانوا وأينما كانوا، وعلىٰ أي حال كانوا كما وعدهم بهذا الوعد المطلق وهو المجيب إجابة خاصة للمستجيبين له المنقادين لشرعه وهو المجيب أيضا للمضطرين ومن انقطع رجاؤهم من المخلوقين وقوي تعلقهم به طمعًا ورجاء وخوفًا».



الشَّرح

ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ اسميه تعالىٰ: «**القريب والمجيب**»، وقد جمعهما سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة هود ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾.

أما «**القريب**»: فمعناه: المتصف بالقُرْب، **والقُرْب ذكر الشيخ أنه نوعان:**

١) **قرب عام:** لجميع الخلائق بعلمه سبحانه وبسمعه وببصره وبقدرته وبإحاطته.

٢) **وقرب خاص:** وهذا القرب، قرب منه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا تُدرَكُ حقيقته وإنما تُعرف آثاره، فهو قريب من عابديه باللُّطْفِ بهم والإحسان إليهم، ولداعيه بإجابتهم، ونحوِ ذلك من هذه المعاني.

والذي يظهر والله أعلم أن التقسيم الأوضح لقرب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يقال: إن قربه سبحانه قرب بصفاته وقرب بذاته.

أما القرب بصفاته: فهو ما ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا قد يكون عامًا لجميع الخلائق وقد يكون خاصًا لبعض الخلائق:

١) أما قربه العام لجميع الخلائق: فإنه يتضمن معنىٰ المعيّةِ العامة خلافًا لمن نازع في ذلك؛ فالصواب أن قربَه العامَّ كمعيّته العامة بسمعه وبصره، بعلمه وقدرته وإحاطته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٢) وهو قريب من العابدين بالقَبول وقريب من الداعين بالإجابة، ويدل علىٰ ذلك

قول النبي ﷺ لما سمع الصحابة يرفعون أصواتهم بالدعاء قال عليه الصلاة والسلام: «**يا أيها الناس ! ارْبَعوا علىٰ أنفسكم**» يعني: ترفّقوا بأنفسكم «**إن الذي تدعونه أقرب إلىٰ أحدكم من عنق راحلته، إن الذي تدعونه قريب مجيب**» فدلَّ هذا علىٰ أن الله ﷻ قريبٌ من الداعي بإجابته وبسمعه وببصره سبحانه وتعالى، وإن كان هو ﷻ في ذاته عالٍ علىٰ خلقه لا يختلط بهم، ومستوٍ علىٰ عرشه، وإن كان قريبًا منهم بهذا القرب.

أما قربه بذاته سبحانه وتعالى فقد دلت عليه أنواع من الأدلة:

من ذلك قربه تعالىٰ إذا نزل إلىٰ سماء الدنيا إذا كان ثلث الليل الآخر؛ فهذا منه تبارك وتعالى قُرْبٌ من عباده، فبَيْنَ النزول والقُرْب تلازم، فكلُّ نزول منه سبحانه وتعالى فهو قُرب، الله يَقْرُب من عباده إذا شاء ويُقَرِّب من عباده إليه من شاء؛ فالنبي ﷺ لما عُرِج به إلىٰ السماء كانَ أقربَ إلىٰ الله تبارك وتعالى منه لما كان في الأرض.

فالله يَقْرُبُ ممن يشاء ويُقَرِّبُ إليه من يشاء.

وتنبه هنا إلىٰ أنه ﷻ ولو قَرُبَ من عباده بذاته فلا يزال عَلِيّا ولا يزال فوق كل شيء، فالعلوُّ صفة ذاتية له سبحانه وتعالى لا تنفكُّ عن ذاته بحالٍ، وإدراكُ ذلك وكيفيّتُه بالنسبة لنا غيرُ معقولة، لكنّنا علىٰ يقينٍ بذلك، فالله سبحانه وتعالى لم يزل ولا يزال عليّا، ويَقْرُبُ ممن يشاء إذا شاء، ومع ذلك فهو لا يزال عليّا سبحانه وتعالى.

إذن تنبّهْ إلى هذين الأمرين: إلىٰ أنّ قُرْبَهُ تعالىٰ قُرْبٌ بصفاته وقربٌ بذاته، وإلىٰ أنه إذا قَرُب سبحانه وتعالى ممن يشاء إذا شاء أو قرَّب إليه من يشاء فهو لا يزال عليّا سبحانه وتعالى.

أما «**المجيب**» فإنه الذي يُجيب سائليه وداعيه، والله ﷻ أكرمُ الأكرمين، وهو الجواد سبحانه وتعالى فلا يُخَيِّبُ سائلاً، فإذا دعاه عبدُه وإذا سأله وإذا لجأ إليه فإنه تبارك وتعالى يجيبه سبحانه وتعالى.

وإجابة الله ﷻ لسؤالِ عبده حاصلةٌ قطعًا، ولكنْ لها صور بيّنها النبي ﷺ فيما خرَّج الإمام أحمد وغيرُه قال ﷺ: «**ما من داعٍ يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعةُ رَحِمٍ إلا**

أعطاه الله بها إحدىٰ ثلاث: إما أن يُعجِّلَ له دعوتَهُ في الدنيا، أو يَدَّخِرَها له في الآخرة، أو يصرفَ عنه من السوء مثلَها».

إذن الله ﷻ يجيب يا عبد الله ولابد، ولكن هذه الإجابة راجعة إلىٰ حكمته ﷻ، قد تقتضي حكمتُهُ أن يعطيَك سُؤْلَكَ الذي سألت، إذا سألته أمراً ما من خَيْرَيِ الدنيا والآخرة فإن الله ﷻ قد يجيبك، وقد يعطيك وقد يَهَبُكَ ويمنحُكَ ذلك، وقد يجعل لك هذا الدعاء ثوابًا يثيبك عليه في الآخرة فهذا نوع من الإجابة أيضًا، وقد يصرف عنك من السوء بمثل ما يقابل هذا الدعاء مما يُقدّره الله ﷻ وهذه إجابة أخرىٰ أيضًا، إذن الإجابة حاصلة قطعًا.

والله ﷻ يجيب من دعاه ﷻ، ولكنَّ الأمرَ في ذلك راجع إلىٰ حكمة الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ بعض الناس يقول: أنا أدعو الله ﷻ ولا أجدُ أثراً للإجابة؟

فيُقال: يا عبد الله تَرَيَّثْ، الإجابة حاصلةٌ قطعًا، إنْ دعوت الله بدعاء استجمعت فيه شروطَ قَبوله، دعوت الله مخلصًا في الدعاء، دعوته وحده ولم تُشْرِكْ معه غيرَه في الدعاء، ودعوته بقلب صادق لا بقلب لاهٍ، وسألتَهُ سؤالَ متضرع ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ سألتَ باضطرار وبتضرّع فإن الإجابة حاصلة قطعًا ولكنك لا تدري ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ربما تقتضي الحكمة أن يُعَجَّلَ لك بسُؤْلك، وربما تقتضي الحكمة أن تكون الإجابة بغير ذلك، وأنت لا تدري عن مصلحتك، الله أعلم بما يُصْلِحُكَ، والله أعلم بما ينفعك، وربما تسأل شيئًا يكون فيه هَلَكَتُكَ، فالله ﷻ من حكمته ومن رحمته قد يؤخِّرُ ذلك، فالإيمانُ بحكمة الله ﷻ شأنٌ مهمٌّ وعظيم، ويجعلُ الإنسان مطمئِنًّا ساكنًا هادئًا، وأكثر ما يدخل الشياطين علىٰ المسلمين سواءً أكانوا من شياطين الإنس أو من شياطين الجن أكثرُ ما يدخلون علىٰ أهل الإيمان من هذا الباب أعني: بابَ الحكمة، فيُلَبِّسون علىٰ الناس من جهة ما يكونُ من فعل الله ﷻ ومن حُكْمِهِ الكوني ومما يُقدِّره ﷻ ويقولون: انظروا، أين الحكمة في هذا الأمر؟ بل ربما تذرّعوا مما زعموه من نفي الحكمة

إلىٰ نفي وجود الله ﷻ.

وقد تكرر في الدرس وفي غيره بيانُ أن حكمة الله ﷻ ثابتة قطعـًا بمئات بل بآلاف الأدلة التي تدل علىٰ ثبوت أن الله ﷻ حكيم في كل شيء، حكيم في فعله، حكيم في خلقه، حكيم في شرعه، حكيم في تقديره ﷻ، ولكن قد تظهر الحكمة وقد لا تظهر.

وهاهنا قاعدة مهمة احفظها فإنها نافعة: «العلم بأصل الحكمة يكفي عن العلم بتفاصيلها»، انتبه لهذه القاعدة: العلم بأصل الحكمة يكفي عن العلم بتفاصيلها، إذا عَلِمْتَ ثبوتَ وصفِ الحكمة لله ﷻ فذلك كافٍ، ولا حاجة لك إلىٰ العلم بالتفاصيل في كل جزئية وفي كل قضية لابد أن تكون واقفـًا علىٰ الحكمة فيها، هذا أمر غير مُتَأَتٍّ، بل هذا أمر مستحيل ؛ لأن عقلَكَ ضعيفٌ وحكمةَ الله ﷻ أوسع من ذلك، فكيف تروم أن تحيط علمـًا بحكمة الحكيم العظيم الواسع ﷻ، لكن يكفي أن تعلمَ أن الله ﷻ متصف بالحكمة، إذا ثبت هذا فإن هذا كافٍ في أن تعتقد أن الله ﷻ حكيم وله حكمة في هذا الأمر، وإن كان الأمر قد حصل لك فيه اشتباه.

أَضْرِبُ لك مثالًا يُقَرِّبُ لك الأمر:

تعرفون سيبويه؟ من هو سيبويه وماذا يكون؟ عالِمٌ في ماذا؟ في النحو، مِنْ أعلم الناس بالنحو، ما رأيكم لو أن إنسانـًا عِلْمُهُ بالنحو ضعيف، عندَهُ شيء لكن قليل، فجاء وقرأ في الكتاب لسيبويه، ومرَّتْ به ثلاثةُ أو أربعةُ أسطر غيرُ واضحة ما فَهِمَها أو استشْكَلَها، فما رأيكم إذا أغلق الكتاب وقال: سيبويه ليس عنده علم بالنحو جملة و تفصيلاً ، هذه أسطر أنا ما فهمت منها شيئـًا، ما رأيكم ؟كلامه مقبول أو غير مقبول؟ هذا الكلام قطعـًا غير مقبول؛ لأنه لا يمكن من جهلك بكلامه في النحو في موضعٍ أن تحكم عليه جملةً وتفصيلاً بجهله بالنحو مع ثبوت علمه بالنحو من قَبْلُ قطعـًا، هذه القضية بالنسبة لك قطعية، وكَوْنُكَ تجهل هذه الجملة فينبغي عليك أن تعودَ علىٰ نفسك بالنقص، تَتَّهِمُ نفسَكَ بالنقص، أنا أجزم أنّ هذا الكلام كلامٌ مستقيم وصحيحٌ في قواعدِ لغة العرب، ولكن أنا لجهلي فإنني لا أفهم وجهَ ذلك.

حكمة الله ﷻ أعظم من علم سيبويه بالنحو، وقَطْعُنا وجَزْمُنا واعتقادُنا بثبوت الحكمة لله ﷻ أعظمُ من جَزْمِنا وقَطْعِنا بأنَّ سيبويه عالِمٌ بالنحو.

أضرب لكم مثالاً آخر: أعطني جوالك -يقوله الشيخ لأحد الحاضرين- هذا الآن يا إخواني جوال، نَظَرْنا فيه، فَتَحْناه، جَرَّبْناه، وَجَدْنا أنَّ مَنْ صَنَعَ هذا عندَهُ تَقنيةٌ عاليةٌ، عنده علم وعنده دراسة بدليل أنّا لَمّا جَرَّبْنا الجهاز وجدناه جهازاً فائقاً في الجَوْدة أليس كذلك؟ هذا أمر ثبت عندنا الآن قطعاً، طيب، ما رأيكم ؟ أنا إنسان خبرتي ضعيفة، فجئت وأخذت هذا الجوال، واللهِ الجوال ما شاء الله كل شيء فيه، كل ما تريد من الخدمات موجودة فيه، لكنْ هذا الزر مثلًا أنا لا أفهم لماذا هو موضوع لا أعرف له حكمة، فما رأيكم إذا قلت: إذن هذا الجوال لا حكمةَ فيه، الذي صنعه لا يفهم شيئًا ما رأيكم؟ كلام مقبول أو غير مقبول؟

أنا لا أفهم هذا الزر ماذا فيه، لماذا تلومونى علىٰ أن أقول: هذا الجهاز جهازٌ يدل علىٰ أن صاحبه لا يفهم شيئًا، أنا لا أفهم هذا الزر ماذا فيه، لماذا وضعه؟ ماذا تقولون؟

ستقولون: ثبت عندنا قطعاً أن هذا الجهاز جهاز بالغ في التقنية والجودة، وهذا دليل قطعي علىٰ أن صانعه إنسان عالم ومُتمكِّنٌ في صَنْعَتِهِ، جَهْلُكَ بجزء ما لا يدل علىٰ أن الصانع ليس بعالم، بل سببُ الإشكال راجع إليك أنت، أما صانعه فنحن نقطع أنه صانع متقن وجيّد ويفهم ماذا يصنع، ولذلك أخرج لنا هذا الجهاز.

عِلْمُنا وقَطْعُنا بحكمة الله ﷻ أعظم من ذلك وأعظم، فكَوْنُنا نقف عند صورٍ معيّنةٍ لا ندري عن الحكمة فيها، لماذا قَدَّرَ الله ﷻ عليَّ هذا الأمر أو نزلت بي هذه المصيبة أو حصل بالبلد الفلاني كذا وكذا أو أصاب المسلمين هناك كذا وكذا؟

أنا أجزم وأنا أقطع بأن الله ﷻ حكيم لا يفعل شيئًا عَبَثًا، وأن الله عَدْلٌ لا يظلم، وعندي من الشواهد علىٰ هذا مئاتٌ بل آلافٌ مُؤلَّفة.

إذن إذا وقفت أمام نازلة أو مشكلة أو مسألتين أو أقلَّ أو أكثرَ فإن هذا لا ينبغي أن يُعارِضَ الأصلَ المتقرّر، فيكفي علمي بحكمة الله ﷻ في الجملة ولا حاجة إلىٰ أن أعلم الحكمة في كل جزئية وفي كل تفصيل.

أنـا أعيـد وأكـرر في هـذه القضـية يـا إخـواني لأهمِّيَّتِهـا ولعلمـي بالحاجـة إليهـا، فكـم يستشكل بعض الناس وكم تُعْرَضُ عليه شُبَهٌ بسبب هذه القضية.

وأصـل ضـلال الخلـق مـن كـل فرقـة هـو الخـوض في فعـل الإلـه بعلـةِ

فـإنهمُ لـم يفهمـوا حكمـةً لـه فصـاروا علـىٰ نـوع مـن الجاهليـةِ

وهذا شيء قديم وشيء حـديث أيضًـا ومستمرٌّ، فعلىٰ الإنسـان أن يتنبـه لهـذه القضـية المهمة.

الملاحدة قاتلهم الله في هذا العصر يُلبِّسون علىٰ شباب المسلمين من خلال قضية الحكمة بالذات، انظر إلىٰ المغالطة العقلية التي يفعلونها، أعود إلىٰ مثال الجوال، ما رأيكم إذا قلت: أنا لا أفهم حكمةً لهذا الزر، ثم أبني علىٰ هذا بأن أقول: هذا الجوال لا صانع له ، لماذا أنا قلت: لا صانع له؟ علّتي أني ما فهمت الحكمة من شيء في الجوال، فَحَكَمْتُ بأنّ الجوال لا صانع له، هذا منطق؟ هذا كلام معقول؟

الملاحدة علىٰ هذا المنطق بالضبط، هو يقول: انظر، يقع في العالم ظلم، يقع في العالم شر، يقع كذا، يقع كذا، هذا مُنافٍ للحكمة، إذن الله غير موجود، فهمت القضية؟ هي نفسها قضية الجوال.

أولًا: نقول تَنَزُّلاً: الله ﷻ هو الصانع، ولو قلتَ: إنه غير حكيم، هذا لا يتعارض مع كونه الخالقَ والصانع والفاعل ﷻ، ثم إننا نقول: الأدلة قطعية بما نشاهده في أنفسنا قبل غيرنا أن الله ﷻ حكيم قطعـًا، كل جزء منك يدل علىٰ أن الله الذي خلقك حكيم، أو نشك في هذا يا إخوان؟

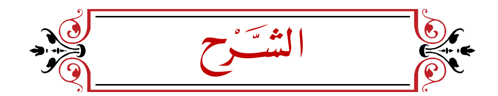
كل جزء، تأمَّلْ في كل شيء من رأسك إلىٰ قدمك إلىٰ أصابعك إلىٰ أذنك إلىٰ عينك إلىٰ رئتك إلىٰ قلبك إلىٰ صدرك إلىٰ ركبك إلىٰ مفاصلك إلىٰ عظامك إلىٰ كل شئ فيك، سوف تجد أن الحكمة لائحةٌ وظاهرةٌ ظهوراً بَيِّنـًا في كل شئ.

إذن نحن نقطع أن الله ﷻ حكيم،ثم إذا جاء لنا أمرٌ وما فَهِمْنا له حكمة فإننا نقول: لله فيه حكمة وإن كنت لا أعلم، والله تعالىٰ أعلم.



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الكافي، الكافي عباده جميع ما يحتاجونه ويضطرون إليه: الكافي كفاية خاصة مَنْ آمن به وتوكل عليه واستمد منه حوائج دينه ودنياه.



الشَّرْح

الله عَزَّ وَجَلَّ هو الكافي، وهذا الاسم اشْتَقَّهُ مَنْ أثبته لله جَلَّ وَعَلَا من قوله تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾، ومضىٰ الكلام عن كفاية الله عَزَّ وَجَلَّ عبادَه، فهو يكفيهم كلَّ ما يُهِمُّهُم، يكفيهم في كلِّ مُهِمٍّ، ويَدْفَعُ عنهم كُلَّ مُلِمٍّ، مضىٰ هذا في الكلام عن اسمه تعالىٰ «**الحسيب**» ولَهَجُ المؤمنين دائماً: "حسبنا الله ونعم الوكيل" ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ يعني: كافينا، فعاد اسم «**الكافي**» إلىٰ بعض معنىٰ اسم الله «**الحسيب**» وهذا كلُّه قد تقدَّمَ الكلام عنه.



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأول والآخر والظاهر والباطن: قد فسرها النبي ﷺ تفسيراً جامعاً واضحاً فقال: «أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شيء».

الشَّرح

هذه الأسماء الأربعة جاءت في سياق واحد في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وهذه الأسماء الأربعة أسماءٌ عظيمةٌ دالّةٌ على إحاطة الله عَزَّ وَجَلَّ الإحاطةَ التامة: الإحاطةَ الزمانية والإحاطةَ المكانيّة؛ فالله بكل شيء محيط سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقد فَسَّرَ هذه الأسماء أعلمُ الخلق بربه سبحانه وهو النبي ﷺ، فقال كما خرّج الإمام مسلم في صحيحه «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ، وأنت الآخر فليس بعدك شئ، وأنت الظاهر فليس فوقك شئ، وأنت الباطن فليس دونك شئ**».

هو أول هو آخر هو ظاهر ... هو باطن هي أربع بوزان
ما قبله شيء كذا ما بعده ... شيء تعالىٰ الله ذو السلطان
ما فوقه شيء كذا ما دونه ... شيء وذا تفسير ذي البرهان

ﷺ، فهذا هو تفسيرها الذي هو أحسن ما يكون من التفاسير.

الله عَزَّ وَجَلَّ هو «**الأول**»: سابقُ الأشياء ليس قبله شئ، قال ﷺ كما في حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كان الله ولم يكن شئٌ قَبْلَه**» فالله قبل كل شيء وسابقُ كل شيء، والأول الذي ليس لأوّليّته ابتداءٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فكلُّ زمن يُقَدِّرُهُ عقلُكَ ويَسْبَحُ فيه خيالُك، فالله كان فيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موجوداً وقائماً بنفسه ومُتّصِفاً بصفاته، وما قَبْلَ ذلك أيضاً إلىٰ ما لا بداية، فاللهُ الأوّلُ الذي ليس قبله شيء، كما أنه الأول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كُلِّ خير، فهو يَبدؤك بالخير ويمنحك حتىٰ قبل أن تسأل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

كما أنه «**الآخر**» الذي يبقىٰ بعد كل شيء، فكل شئ هالك إلا وجهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما أنَّ إليه

المنتهىٰ، فآخرُ وأقصىٰ ما يكون من القَصْدِ والتوجُّهِ فإليه ﷻ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ فالله ﷻ كما قال النبي ﷺ: «**هو الآخر الذي ليس بعده شئ**» فاللهُ يُفْني الأشياء ولا يبقىٰ إلا هو ﷻ يوم القيامة فيقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ ثم يجيب نفسَهُ، ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، ولربما قال قائل: أليست الجنة وما فيها والنار وما فيها خالدتان باقيتان إلىٰ ما لا نهاية؟

فالجواب: نعم، إنها باقيةٌ إلىٰ ما لا نهاية، ولكنْ بإبقاء الله ﷻ، أما الذي له صفة الآخريّة الذاتيّة فالله وحده، أما ما حَكَمَ الله ﷻ ببقائه وخلوده فإنه باقٍ بإبقاء الله، ولو شاء الله أن يُفْنِيَهُ في لحظةٍ لأفناه.

إذن لِمَ تتماثل الصفتان؛ فالله ﷻ هو الآخِرُ لذاته ﷻ، فيستحيل عليه الفناء ﷻ.

كما أنه ﷻ «**الظاهر**»، «**الظاهر**» في اللغة: هو المرتفع ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ «**يظهروه**» يعني: يَعْلوه، ومنه قيل: ظهر الدابة ؛ لأنه مرتفع؛ فالله ﷻ هو الظاهر بمعنىٰ أنه العلِيُّ الذي هو فوق كل شئ ﷻ، وكل شئ فَتَحْتَهُ ﷻ، الله له العلو المطلق بأدلةِ الكتاب والسنة والعقل والفطرة وإجماع الخلائق، لا أقول: إجماعُ البشر، بل إجماعُ الخلائق، كلُّهُمْ مُطْبِقون علىٰ أن الله ﷻ هو العلي الأعلىٰ ﷻ، وصفةُ العلو قد مضىٰ الكلام عنها غير مرة.

الصفة الرابعة: أنه الباطن ﷻ له صفةُ البُطون، وكَوْنُهُ باطنـًا سبحانه فسّرَهُ النبي ﷺ بقوله «**وأنت الباطن فليس دونك شئ**» والمراد بذلك: إحاطته ﷻ بكل شئ وعلمُه بكل شئ فلا يخفىٰ عليه شئ ﷻ، لا يَسْتَتِرُ عليه شئ ولا يَحُولُ شيء دونَ عِلْمِهِ واطّلاعِهِ وسَمْعِهِ وبصرِهِ ﷻ بكل شيء مع كونه عاليًا علىٰ كل شيء ﷻ.

إذن هذه الأسماء الأربعة دالَّةٌ علىٰ ثُبوت هذه الصفات الأربعة لله ﷻ، وخُلاصَتُها أنها دالَّةٌ علىٰ إحاطته ﷻ بكل شيء إحاطةً زمانية وإحاطةً مكانية.



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الواسع: الواسع الصفات والنعوت ومتعلقاتِها بحيث لا يحصي أحد ثناء عليه بل هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه، واسع العظمة والسلطان والمُلك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم.



«الواسع» اسمٌ ثابت لله ﷻ ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وهذا الاسم يجمع صفاتٍ عدةً لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يجمع صفةَ المجد وصفة الكِبَر وصفة الغنىٰ وصفة الكَرَم وغيرَ ذلك من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فهو من الأسماء الجامعة، وقد عَلِمْنا فيما مضىٰ أن من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ ما هو جامع لصفات عدةٍ له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

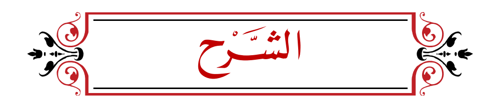
الله عَزَّ وَجَلَّ هو الواسع، وَسِعَ كل شيء رحمة وعلماً ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ وَسِعَ كل شيء سلطانـاً وقُدْرَةً، وسع كل شيء كَرَمـاً وجوداً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فالله عَزَّ وَجَلَّ وَسِعَ كُلَّ ذلك، كما أنه في ذاته هو الكبير، بل هو أكبر من كل شيء، والعظيم، بل هو أعظم من كل شيء، والمحيط أحاط بكل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فعاد اسمه «الواسع» ﷻ إلىٰ هذه المعاني كلِّها، بل ما هو أعظم منها بحيث لا نستطيع أن نتصوَّرَهُ؛ فهذا الاسم من أسماء التعظيم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.





الهادي الرشيد: أي الذي يهدي ويرشد عباده إلىٰ جميع المنافع وإلىٰ دفع المضار ويعلّمهم ما لا يعلمون، ويهديهم هداية التوفيق والتسديد ويُلهمهم التقوىٰ ويجعل قلوبهم منيبة إليه منقادة لأمره.

وللرشيد معنىٰ بمعنىٰ الحكيم: فهو الرشيد في أقواله وأفعاله، وشرائعُه كلها خير ورشد وحكمة، ومخلوقاته مشتملة علىٰ الرشد.



ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ اسميه تعالىٰ «**الهادي والرشيد**».

أما «الهادي»: فمشتق من قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ في نصوص كثيرة فيها إثبات هذه الصفة وهذا الفعل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالله عَزَّ وَجَلَّ هو الهادي.

والهداية المضافة إلى الله جَلَّ وَعَلَا جاءت في النصوص على أربعة أنحاء:

أولًا: الهداية العامة من الله جَلَّ وَعَلَا، والمرادُ بذلك أنه هدىٰ جميعَ المخلوقات إلىٰ ما يُصْلِحُها وإلىٰ ما يعود عليها بالنفع، كلُّ شيءٍ هداه الله عَزَّ وَجَلَّ إلىٰ ما ينفعه وإلىٰ ما يستقيم به حالُهُ، ولولا هدايةُ الله عَزَّ وَجَلَّ له ما حَصَلَ له هذا الأمر ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ فهو الذي هدىٰ الطائرَ إلىٰ أنْ يَطير، هو الذي أَلْهَمَهُ وعَلَّمَهُ الطيران، وهو الذي ألهَمَ الصبي أن يَلْتَقِمَ ثَدْيَ أمِّه، وهو الذي ألهم العين للإبصار، وألهم السمع للاستماع، وألهم الأيادي للقبض والبطش، هو الذي ألهم الحيوان والإنسان والطير والملائكة والجن، ألهم كلاًّ لفعل ما ينفعه وفعل ما يُصلِحُه، وهذه الهداية عامةٌ شاملةٌ لكل شيء، للبَرِّ والفاجر، للعالَمِ السفلي والعالَمِ العلوي،كلُّ شيء هداه الله عَزَّ وَجَلَّ بهدايته العامة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثانيًا: الهداية التي هي بمعنىٰ الدِلالة والإرشاد؛ فالله جَلَّ وَعَلَا هدىٰ الناس جميعًا إلىٰ الحق بمعنىٰ: علَّمهم وأرشدَهم وبيّن لهم الحق وأقام أمام أعينهم دلائلَ هذا الحق، وهدايتُهُ هذه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليست بموجبةٍ للاستقامة علىٰ الحق، إنما هي دلالةٌ وبيانٌ وإعلام، ثم بعد ذلك ربما اهتدىٰ إلىٰ الحق بمعنىٰ: استقام عليه، هذا الذي هُدِيَ إلىٰ بيانه، وربما لم يحصل له هذه

الهداية، تأمل قول الله ﷻ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ لكنْ ما الذي حصل؟ ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ أضلَّهم الله تبارك وتعالى بعد أن هداهم، فهذه الهداية منه تبارك وتعالى عامة لجميع الأمم والخلائق ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ الله ﷻ أرسل الرسل وجعل لهم هذه الهداية، هدايةَ الدِلالة والإرشاد، وهي التي عناها ﷻ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

الهداية الثالثة: هي هداية التوفيق، التوفيق إلىٰ الحق وإلىٰ العمل به، وهذه هي التي تتبادر إلى الأذهان غالبـًا من كلمة«**الهداية**»،فالله ﷻ خص بهذه الهداية مَنْ يشاء مع تعميمِهِ للهداية السابقة﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ﴾ هذه تدل علىٰ هداية الدلالة،﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ لاحظِ الاختصاص، خَصَّ اللهُ عز وجل بعد هذا التعميم من يشاء سبحانه وتعالى.

هذه الهداية مُنْضَبِطَةٌ عند أهل السنة والجماعة بضوابط انتبه لها:

أولًا: الهداية من الله، لا يمكن للإنسان أن يصلَ إلىٰ الحق وإلىٰ التزامه إلىٰ بهدايةٍ من الله ﷻ.

والله لـــولا الله مـــا اهتـــدينا ولا تصَـــدَّقْنا ولا صــــلَّيْنا

﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ ومَنْ هداه الله فهو المهتدي، ومن لم يُهْدِهِ الله فلا يمكن أن يهتديَ، هذه قضيةٌ قطعيةٌ.

والأمر الثاني: أنّ تفضُّلَ الله عز وجل بالهداية نعمةٌ محضةٌ من الله عز وجل، يتفضَّلُ بها ﷻ بمحض كَرَمِهِ وإحسانه تبارك وتعالى، وليس علىٰ الله عز وجل في ذلك حقٌّ يوجب عليه أنْ يَهْدِيَ، ليستِ القضيةُ في باب الهداية قضيةَ مُعاوضة، الإنسان فَعَلَ فعلىٰ الله أنْ يُجازِيَهُ علىٰ ذلك وجوبـًا بأن يهدِيَهُ، كلّا، بل القضية تفضُّلٌ محضٌ من الله تبارك وتعالى، نعمةٌ مَحْضَةٌ ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ فالأمر راجع إلىٰ تفضُّلٍ محضٍ من الله سبحانه وتعالى.

الأمر الثالث: أنّ تفضُّلَ الله بنعمةِ الهداية راجعٌ إلىٰ علم الله وحكمتِهِ، ليست القضيةُ عشوائيةً كما يقولون، ليست القضية عَبَثِيَّةً، ليستِ القضيةُ مشيئةً محضةً، إنما هي مشيئةٌ مقترنةٌ بعلمِ الله وحكمَتِهِ؛ فالله ﷻ لعلمه بالمحَلِّ المناسِبِ للهداية اقتضَتْ حكمتُهُ وَضْعَها في هذا الموضع اللائقِ بها، تأمَّلْ قولَ الله ﷻ ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ هؤلاء المشركون يقولون: هؤلاء الصحابة ما بين عبدٍ وما بين ضعيف وما بين فقير، ونحن السادة ونحنُ الأشراف ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ يعني: لو كان هذا حقّاً ما كان هؤلاء هم أهلُه، ماذا كان الرد؟ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

إذن عَلِمَ اللهُ ﷻ أنّ هذه القلوبَ هي القلوبُ التي تَصْلُحُ للهداية وتَزْكُو بالهداية ويناسِبُها شأنُ الهداية، فأعطاها الله ﷻ هذه النعمة، تأمَّلْ في قول الله ﷻ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ هو لا غيرُه، وليس أنت مهما فَعَلْتَ، برياضة، بأفعال تفعلها، بخلوة، بشيء من هذا لا تحصل لك الهداية إن لم يَهْدِكَ الله ﷻ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ هذه هي الهداية، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ ثم قال: «حقـًا علىٰ الله» ؟: لا ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ إذا هدىٰ الله مَنْ هدىٰ فكان هذا عن علمٍ منه سبحانه وحكمة؛ إذ الحكمة: وضع الشيء في موضعه المناسب له.

إذن، اعلمْ يا عبد الله أنّ اللهَ إذا هدىٰ فإنه يهدي عن علم وحكمة ﷻ.

الأمر الرابع: أن هداية الله ﷻ **لها وجهان:**

الوجه الأول: أن يبتدِئَ اللهُ ﷻ بالهداية من يشاء، وأنّ للهِ لطيفةً يبتدئ بها من أراد ويوقِعُها في قلب مَنْ أحبَّ فيعودَ عليه بالرُّشْد؛ فالله يبدأ من يشاء بهذه الهداية ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ هذه الهداية الابتدائية.

ثم هناك هداية أخرىٰ وهي **الوجه الثاني**: إذا بصّره الله ﷻ وأحياه وقذف في قلبه الخير فعمل صالحـًا هداه الله ﷻ بهدايةٍ إلىٰ عمل صالح آخر، فإذا عَمِلَ العملَ الصالِحَ الآخَرَ هداه إلىٰ عمل صالح آخر وهكذا دواليك ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ وهذا من فضله ﷻ.

إذن هدايات الله ﷻ هذه لا حَدَّ لها، هذه الهداية لا حد لها، كلما كان الإنسان عاملاً بتقوىٰ الله ﷻ كلما هداهُ الله هدايةً فوق هداية، وهذا أمر لا يُحْصَىٰ وأمرٌ لا يُحْصَر، فما بقي علىٰ العبد إلا أن يَجِدَّ ويجتهدَ ولْيُبْشِرْ بأن الله شكور سيهديه هدايةً بعد هداية وهدايةً فوق هداية.

إذن أنت محتاج كثيرًا إلىٰ دعاء الله ﷻ بهذا الدعاء العظيم، ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ قال العلماء: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ العبد محتاج في هذا الدعاء إلىٰ **أن يستحضر أمرين:**

- الهدايةَ إلىٰ الصراط المستقيم، والهدايةَ في الصراط المستقيم: أن تهتديَ إلىٰ الإسلام، إلىٰ الإيمان، إلىٰ الدين الحق في الجملة، هذه هداية، ثم بعد ذلك كلُّ عمل صالح يحتاج إلىٰ هداية خاصة، كل عمل صالح يحتاج إلىٰ هداية خاصة، قد يُنْعِمُ اللهُ ﷻ عليك بها وقد لا يُنْعِم، ربما تهتدي إلىٰ أن تصليَ صلاةَ الجماعة، لكنك لا تهتدي إلىٰ أن تصليَ السنةَ الراتبة مثلاً، الله ﷻ ما هداك إلىٰ هذه، وهذه عقوبة من الله ﷻ، حَرَمَكَ هذه الهداية الخاصة ؛ بسبب ذنب فَعَلْتَهُ، فإنّ السيئاتِ من عقوبتها حرمانُ التوفيق إلىٰ الطاعة.

إذن هذه هي الهداية الثالثة المضافة إلىٰ الله جلّ وعلا.

قال العلماء وهو الأمر الرابع: وهذه الأمور الأربعة ذكرها ابن القيم رحمه الله في كلام طيب حسن في كتابه "بدائع الفوائد" قال: النوع الرابع: الهداية الأُخْرَوِيّة، وهي الهداية إلىٰ الجنة ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ﷺ: «**إذا خَلَصَ المؤمنون من الصراط أُوقفوا علىٰ قنطرة بين الجنة والنار**

فيُقتَصُّ لبعضهم من بعض مظالمَ كانت بينهم حتىٰ إذا هُذِّبوا ونُقّوا أُذِن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدىٰ بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا» نسأل الله من فضله يا إخواني، في رواية في البخاري: «**فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم أدلُّ بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا**» يعني: أنت حتىٰ تصلَ إلىٰ بيتك الآن تحتاجُ إلىٰ عناء ومشقة؟ أو أنك تمشي كما يقولون: تلقائيًا فتصل إلىٰ بيتك؟ ما رأيكم؟

تمشي تلقائيًا، الأمر بالنسبة لك أصبح كما يقولون وأنت مغمض.

مَنْ وفقه الله ﷻ وأنعم عليه ومنَّ عليه بدخول الجنة، وأسأل الله أن نكون منهم سوف يهتدي إلىٰ محلِّه ومنزله في الجنة أهدىٰ من هذه الهداية، وهذه هدايةٌ شَمَّرَ لها الْمُشَمِّرونَ وتاقَ إليها المؤمنون، نسأل الله أن نكون منهم.

إذن هذه هدايات أربعٌ مضافة إلىٰ الله ﷻ.

أما «**الرشيد**» فلا أعلم دليلًا علىٰ ثُبوت هذا الاسم لا اسمًا ولا صفةً أيضًا، إلا ما ذَكَرَ بعضُهم من اشتقاقٍ من قوله تعالىٰ ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرۡشِدًا﴾ وإن كان هذا فيه بُعد كما ترىٰ، وربما يكون أصرحَ منه ما جاء عند الترمذي وغيرِه من قوله ﷺ: «**اللهم أَرْشِدِ الأئمةَ واغفرْ للمؤذنين**» ربما يكون مَنْ أَثْبَتَهُ لله ﷻ اشتَقَّهُ من هذا الحديث، علىٰ كل حال «**الرشيد**» له معنيان أشار إليهما الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أولًا: «الرشيد»: «**فعيل**» بمعنىٰ «**مُفْعِل**»، «**رشيد**» بمعنىٰ «**مُرشِد**»، فعاد هـذا الاسـم إلـىٰ معنىٰ «**الهادي**».

أما المعنى الثاني: «فالرشيد» هو «**ذو الرُّشْد**»، وإنْ شئت فقل: «**ذو الرَّشَد**»، فعاد هذا الاسم إلىٰ معنىٰ اسمه تعالىٰ «**الحكيم**»؛ فالله ﷻ ذو رشد ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ منزَّهٌ عن اللهو، منزه عن العبث في كل شيء، في خلقه وفي أمره وفي نهيه وفي قَدَرِهِ وفي كل شيء ﷻ، اللهُ ذو رشد وعلىٰ صراط مستقيم وله الحكمة البالغة ﷻ.



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحق: الحق في ذاته وصفاته فهو واجبُ الوجود كامل الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به؛ فهو الذي لم يزل ولا يزال بالجلال والجمال والكمال موصوفا ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفًا، فقوله حق وفعله حق ولقاؤه حق ورسله حق وكتبه حق ودينه هو الحق وعبادته وحده لا شريك له هي الحق وكل شيء يُنسب إليه فهو حق ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ ﴾ ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم إ لىٰ يوم الدين.

قال ذلك وكتبه العبد الفقير إلىٰ ربه: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر السعدي، غفر الله له ولوالديه ومشايخه وأحبابه وجميع المسلمين آمين.



الشَّرح

ختم الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه النُبذة اللطيفة النافعة في تفسير أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وشرْحِها باسمه تعالىٰ «الحق»، **ومعنى كونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الحقّ يرجع في الجملة إلى ثلاثة أمور:**

أولًا: أنه متحَقِّق الوجود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو كما قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وكما يعبر المناطقة «**واجبُ الوجود بنفسه** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»، فوجودُهُ وجودٌ ذاتيٌّ لا يفتقر إلىٰ موجِد، ولا يفتقر إلىٰ سببٍ للوجود وعِلَّةٍ، بل وجودُهُ من ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، و وجودُ كل شيء راجعٌ إليه، وكلُّ شيءٍ مُفْتَقِرٌ إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أما المعنى الثاني لكونه تعالى «الحق»: أنه الرب الحق والإله الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ وبهذا تعلمُ أنَّ قول المسلم «**لا إله إلا الله**» يعني: أنه لا معبودَ حقٌّ إلا الله، فالله جَلَّ وَعَلَا هو ذو الربوبية والإلهية الحقّة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

المعنى الثالث: أنه ذو الحق في كل ما يضاف إليه، الله جَلَّ وَعَلَا ذو الحق في كل ما يضاف إليه؛ فقوله حق، وفعلُه حق، ولقاؤه حق، وقَدَرُهُ حق، وأَمْرُهُ حق، ونهيُه حق، وكلُّ شئ يُنسب إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهو حق، فهو منزّه عن الباطل ومنزه عن الشر بجميع الوُجوه «**والشر ليس إليك**» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذا هو معنىٰ كونه تعالىٰ الحق، فالحق اسمه، والحق وَصْفُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هذا ما يسّر الله عَزَّ وَجَلَّ وهذا ما أعان عليه سبحانه من الكلام عن هذه الأسماء الحسنىٰ التي جمعها وتكلم عن تفسيرها الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ وغفر له وجزاه عنا خير الجزاء، ونسأله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يعفوَ عنا وأن يغفرَ لنا وأن يتجاوزَ عن خَوْضِنا في الكلام عن أسمائه وصفاته تعالىٰ مَعَ ضعف الإيمان وقلةِ العلم، فهذا مقام عظيم، والخوض فيه عظيم، ولكنْ نسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يعفو ويسامح ويتجاوز علىٰ هذه الجُرْأة التي حَصَلَتْ من المتكلم في هذا المقام العظيم.

وينبغي أن نعلم أنَّ ما عَلِمْناه من هذه الأسماء ما هو إلا مثلُ قطرة من بحر؛ فنعوتُ جلاله وجماله وكبريائه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أعظمُ من ذلك وأعظم، وما أَحَطْنا إلا بالشيء القليل بل القليلِ جداً من معاني هذه النعوت الجليلة له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يرزقنا النفع بهذا العلم؛ فوالله إن لم يكن لعلمنا بمعاني أسماء الله وصفاته، إن لم يكن لهذا العلم أثر في قلوبنا وفي أعمالنا فلَيْتنا واللهِ ما عَلِمْناها

إذا ما لم يُفِدْك العلم شيئًا … فَلَيْتَكَ ثم لَيْتَكَ ما عَلِمْتا

هذه الثمرة التي ينبغي أن تكون من العلم بهذا الأمر العظيم أنْ يكون هناك أثر في السلوك وأثرٌ في الإيمان للعلم بأسماء الله وصفاته، وإلا فإنها واللهِ حجة علينا يا أيها الإخوان.

نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يتقبل وأن يغفر وأن يتجاوز وأن يهدي قلوبنا إلىٰ الحق إن ربنا لسميع الدعاء، والله أعلم، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

